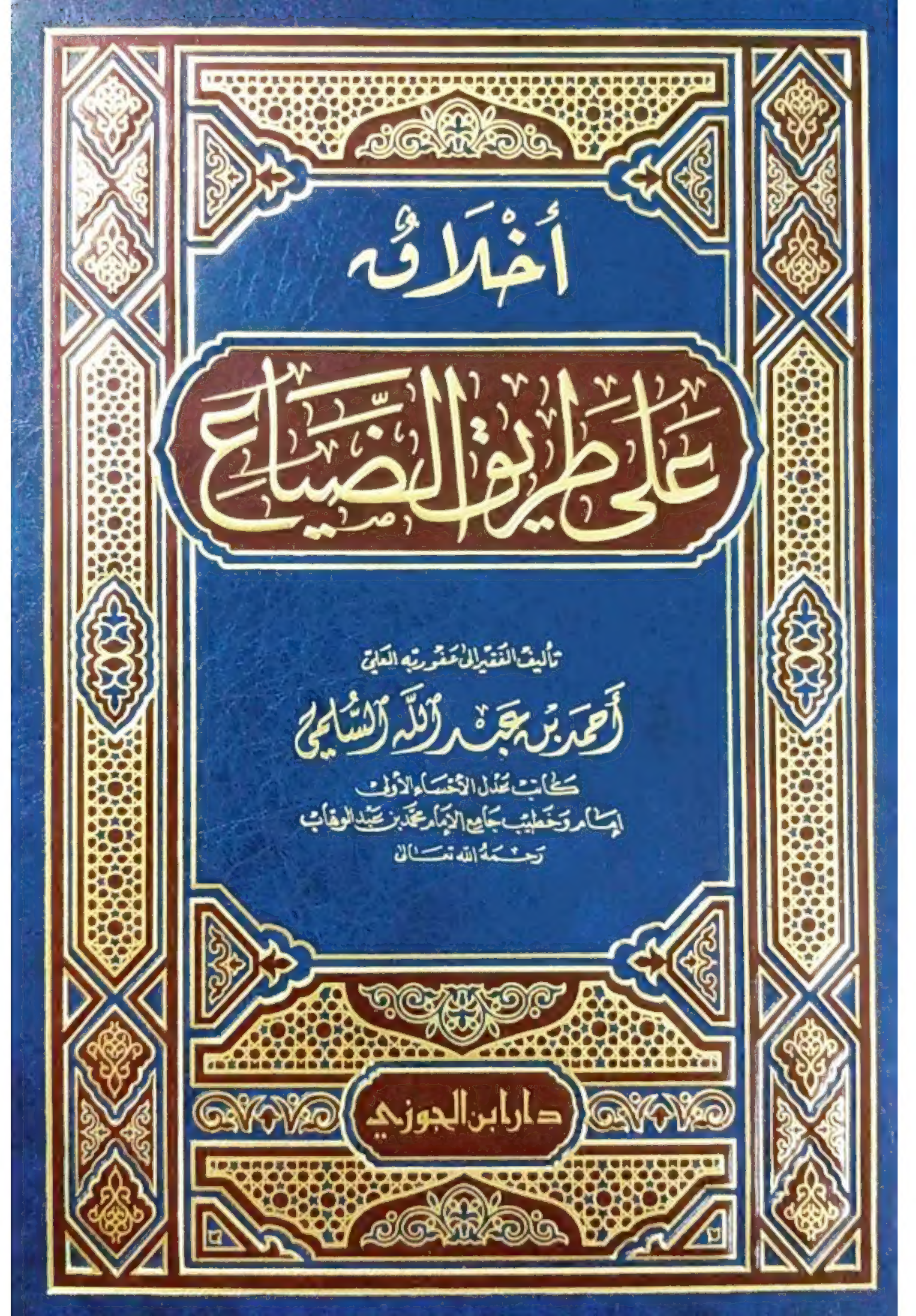


أخلاق
على طريق الضياع
تأليف الفقير إلى عفو ربه العلي
أحمد بن عبد الله السليمي
كاتب عدل الأحساء الأولى
إمام وخطيب جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى
دار ابن الجوزي

أَخْلَاقُه

على طريق الضياع

الطبعة الأولى
محرم ١٤٢٤



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٦٥١٦٥٤٩ - ٦٨١٣٧٠٦
الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩
القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٢٧٨٢
تلفاكس: ٠٢٢٥٦١٤٧٣

أخلاقٌ

على طريقِ الضياع

تأليف الفقير إلى عفو ربه العلي

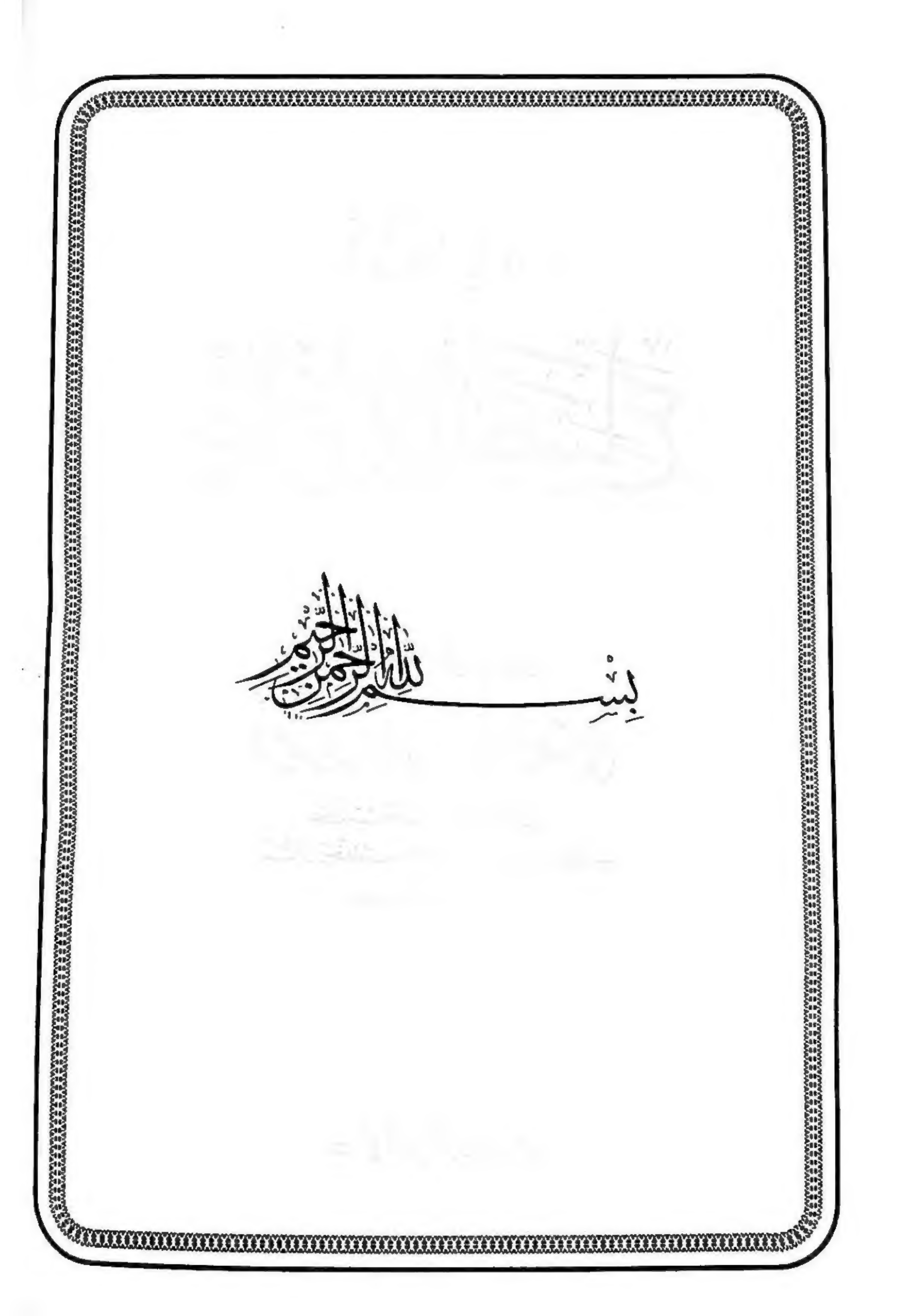
أحمد بن عبد الله السّليمي

كاتب عدل الأحساء الأولى

إمام وخطيب جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن الإسلام ليهدف لبناء مجتمع متكافل متراحم متعاطف متعاون متكاتف تسوده الألفة والمحبة والمودة، ويسيطر عليه حب الخير. مجتمع بعيد عن الحقد والبغضاء والأنانية والإحن، بعيد عن القطيعة والفرقة والتفكك، يقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه»[1]، وفي الحديث الآخر: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

وعندما ينظر المسلم المعاصر إلى الواقع الإسلامي يجد الأمر الأليم والواقع الحزين والبَون الشاسع والبُعد السحيق بين أحوالنا وبين ما يدعونا إليه ديننا، يجد أن المسلمين مختلفون فيما بينهم متصارعون على دنياهم لا يحزنون لدينهم بقدر ما يحزنون لدنياهم. ويقف المسلم ـ الغريب في سلوكه عن الناس لأنه التزم بالإسلام، والغريب عن أهله لأنه تمسك بالقرآن، والغريب في أصحابه لأنه اعتصم بسنة سيد الأنام ﷺ ـ يقف وحيداً لا يجد له أعواناً على الخير وإن وجد فقدهم بعد حين.

وذلك لما بعد العهد بزمن النبوة وغابت شمس الشريعة عند الكثير من

(١) متفق عليه: البخاري (٥/ ٧٢ ـ ١٠/ ٣٧٦)، مسلم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٠/ ٣٦٧) مسلم (٢٥٨٦).

الناس وتشاغلوا بأمور الدنيا، واندرس كثير من الأخلاق التي نشأ عليها الصدر الأول من هذه الأمة المشرفة، وأضيعت الحقوق وتساهل بها وفرِّط فيها وعمَّت البلوى في ذلك إلا ما رحم ربي وقليل منهم خاصة فيما يتعلق بأقرب الناس وأولاهم وألصقهم بالإنسان، أو مَن تحت ولايته من والدين وأولاد وذي رحم وجار ويتيم وأرملة وخادم وعامل، بل تعدى الأمر إلى الإيذاء والظلم والعدوان والقطيعة والهجران، وذلك يعود إلى ضعف الوازع الديني لديهم وجهلهم ما يجب عليهم تجاه من ذكرنا وغلبة حب الدنيا وتباعد وتنافر القلوب وكثرة المشاغل.

ولما للأخلاق الفاضلة من أهمية تفوق الحاجة إلى الطعام والشراب ذلك أنه بهذه الأخلاق يعيش حياته السعيدة في الدنيا ويصير إلى حياة أسعد في الآخرة، وإن الإنسان بدون مكارم الأخلاق يصبح عديم الخير والفائدة كثير الشر والضرر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولمحاسن الأخلاق في الإسلام مكانة فريدة لم تكن في دين من الأديان أو منهج من المناهج، وقد بلغ بها الإسلام من المكانة أن قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم ـ وفي رواية. صالح ـ الأخلاق»[1]، وقال ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[2]، وقال أيضاً: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً»[3]، وقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[4]، وقال ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخَّره فشكر الله له فغفر الله له»[5]، وفي رواية: «مر

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، مسلم (٢٣٢١).

(٣) البخاري (٣٥٤٩).

(٤) أحمد (٦/ ٤٤٤)، أبو داود (٤٩١٩)، الترمذي (٢٥٠٩)، ابن حبان (٥٠٧٠).

(٥) البخاري (٢٤٧٢)، مسلم (١٩١٤).

رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق فقال: والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة»[1]، وقال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[2]، وقال ﷺ: «بينما كلب يطيف بركِيَّة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به»[3].

تأمل هذه الأحاديث النبوية وقف عندها وقفة تجد منزلة حسن الخلق ـ ومنزلة سوء الخلق نظراً لهذه الأهمية، ولأن حسن الخلق وبر الوالدين وتربية الأولاد وصلة الرحم وحسن الجوار ورعاية اليتيم والرفق بالخدم والعمال ورحمة الأمة بدعوتها إلى الله ـ هي من أهم المهمات وأعظم الواجبات وأجلِّ القربات، ومن أفضل الأعمال الصالحات التي تتعلق بالمخلوق.

ونحن معاشر المسلمين نعيش بحمد الله في ظل دين قويم يحمل أفراده على التحلي بحميد الخلال وكريم الخصال.

لذا رأيت من الضروري التذكير بهذا الواجب العظيم والتنبيه بخصوصه، فكتبت هذه النبذة ـ المباركة ـ عملاً بما كان يأخذه ﷺ على أصحابه عند البيعة، وهو ما ذكره جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)[4]، وطمعاً في التذكير فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[5].

جمعتها وحرصت فيها على الاختصار والإيجاز، مدعمة بالآيات وما صح من الأحاديث، وبعض ما ورد فيها من الآثار والأشعار ونماذج وصور محزنة تحكي واقعنا الذي نعيشه مما رأينا وسمعنا وقرأنا مما يحدث في هذه

---

(١) مسلم (١٩١٤).

(٢) مسلم (٢٢٤٢).

(٣) مسلم (٢٢٤٥).

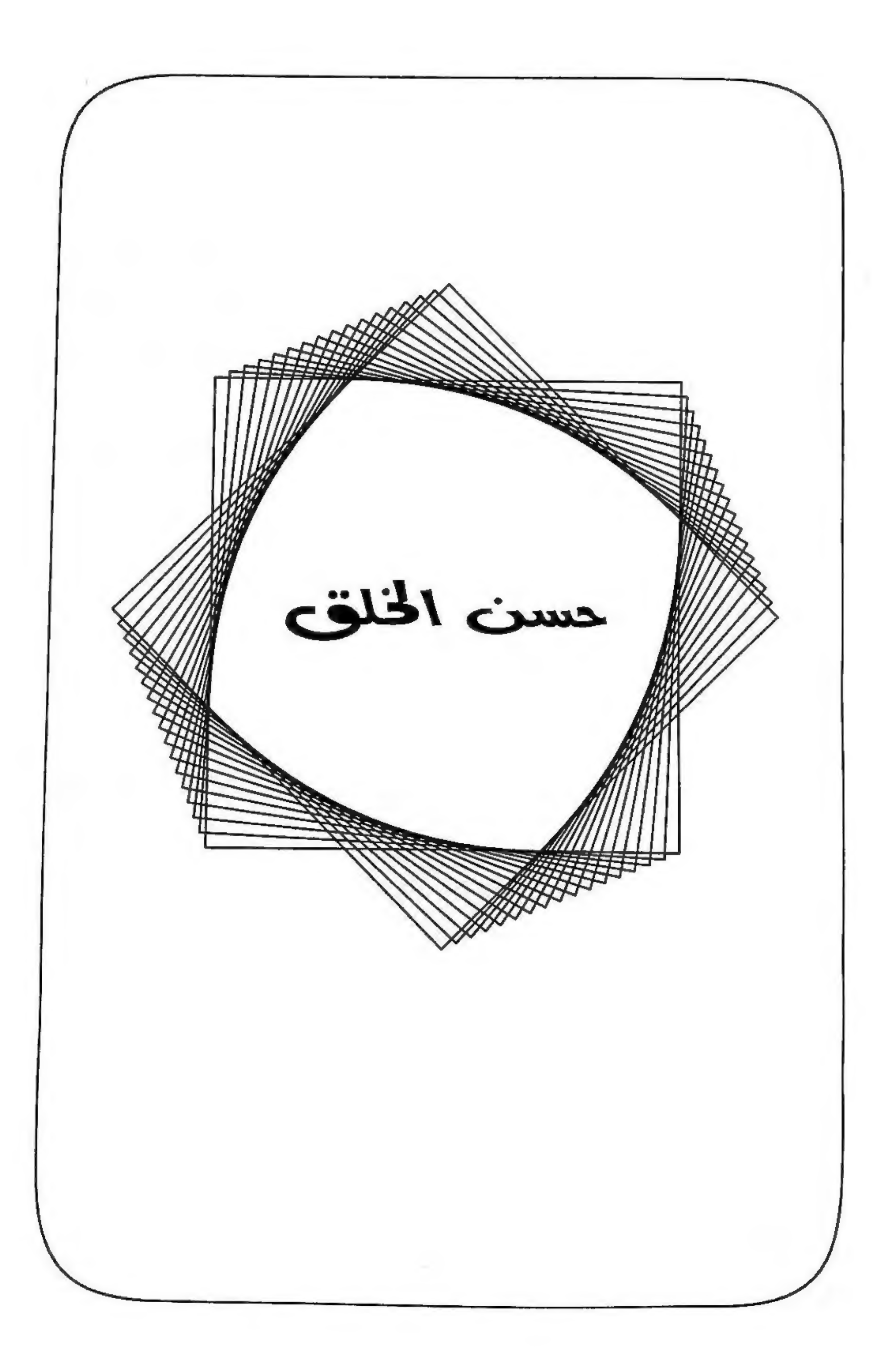
(٤) متفق عليه البخاري (١/١٢٨ ـ ١٢٩) و(١٣/١٦٧)، مسلم (٥٦).

(٥) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

الأزمنة من المخالفة والعصيان، وعلاج ذلك مرغباً مرهباً واعظاً مذكراً.

ثم ختمت هذه الرسالة بدعامة عظيمة من دعائم الإسلام نحن بحاجة ماسة بل في ضرورة ملحة إليها خاصة في هذا الزمن الذي فيه الشر عم والبلاء طم وظهرت فيه الفتن والشرور والمحن، ولا مخرج منها ولا علاج إلا برحمة الأمة أمة الإجابة وأمة الدعوة، ولا رحمة للأمة إلا بهذه الدعامة، إنها دعامة دعوة الجميع إلى الله ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والأخذ على أيديهم إلى درب النجاة.




حسن الخلق

• حسن الخلق •

وقبل الكلام في هذا الموضوع أذكر اعتقاداً خاطئاً وهو أن كثيراً من الناس يذهب فهمه إلى أن حسن الخلق خاص بمعاملة الخَلْق دون معاملة الخالق، ولكن هذا الفهم قاصر، فإن حسن الخُلق كما يكون في معاملة الخَلق يكون أيضاً في معاملة الخالق.

فموضوع حسن الخُلق إذاً: معاملة الخالق جل وعلا ومعاملة الخَلق أيضاً وهذه مسألة ينبغي أن يُنتبه لها.

وحسن الخلق في معاملة الخالق يجمع ثلاثة أمور:

١ ـ تلقي أخبار الله ﷻ بالتصديق.

٢ ـ تلقي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق.

٣ ـ تلقي أقداره بالصبر والرضا[١].

ثم إن لحسن الخلق فضائل عديدة، فهو امتثال لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ وبه ترفع الدرجات وتسير الأمور وتستر العيوب وتُكسب القلوب، وبه يسلم المرء من شرور الخلق ويفي بالحقوق الواجبة والمستحبة، وبه راحة البال وطيب العيش إلى غير ذلك من فضائل حسن الخُلق[٢].

• الأمر بحسن الخُلق •

يقول تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٣]، ويقول جل من

(١) مكارم الأخلاق للعلامة ابن عثيمين (١٦)، وسيأتي بإذن الله كلام الإمام أحمد رحمه الله.

(٢) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة لمحمد الحمد (٣).

(٣) سورة القلم: الآية (٤).

قائل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1]، ويقول: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، ويقول: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا....﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[4]، قاعدة شرعية عامة في أقوال الناس وفي كلام بعضهم مع بعض لفظاً ومعنى أسلوباً ومضموناً، لو اتبعوها لعادت عليهم بركاتها راحة وسلامة في الدنيا والآخرة.

والآيات كثيرة، وأما الأحاديث فنوجز ونختصر وعلى بعضها نقتصر:

يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم ـ وفي رواية: صالح ـ الأخلاق»[5]، وقال: «ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن»[6]، وقال: «إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[7]، وقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[8]، وقال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[9].

ويقول ﷺ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٣).

(٤) البخاري في الأدب المفرد (٤٢)، أحمد (٢/ ٣٨١)، ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢)، القضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥)، الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢).

(٥) الترمذي (٢٠٠٢)، صحيح الترمذي (١٦٢٨)، ابن حبان (٥٦٦٤)، أبو داود (٤٧٩٩)، مختصر المنذري في الترغيب (٣/ ٣٩٠١).

(٦) أحمد (٦/ ٩٤)، أبو داود (٤٧٨٩)، ابن حبان (٤٨٠)، الحاكم (١/ ٦٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٠٤).

(٧) الدارمي (٢/ ٣٢٣)، أبو داود (٤٦٨٢) أحمد (٢/ ٢٥٠ ـ ٤٧٢ ـ ٥٢٧)، الحاكم (١/ ٣)، ابن حبان (١٣١١ ـ ١٩٢٦)، مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٣ ـ ٨/ ٢١، ٢٢)، والترغيب (٣/ ٤١١)، وانظر: الصحيحة (٧٩١).

(٨) أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٠)، أبو داود (٤/ ٤٦٨٢)، ابن حبان (٤٧٩)، الحاكم (١/ ٣).

(٩) الترمذي (١٩٨٧)، أحمد (٥/ ١٥٣ ـ ٢٣٦ ـ ١٥٨ ـ ١٧٧)، الدارمي (٢/ ٣٢٣) الحاكم (١/ ٥٤)، الطبراني في الأوسط (١/ ١٩٢)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٩٢٨).

أحسنكم أخلاقاً»[1]، وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2]. فقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، قاعدة تربوية أخلاقية ومعيار للأخلاق والسلوك بلغ من شأنها أن ربطها النبي ﷺ بالإيمان، فلا يكمل إيمان الإنسان إلا بالسير وفق هذه القاعدة وهذا المعيار: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، أي حتى يحب الخير لأخيه، والمعيار الفطري جِبِلّي، وهو أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير الذي جبله الله على حبه لنفسه.

ولله در القائل:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم

ولله در القائل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والقائل:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

والقائل:

جمال الوجه مع قبح النفوس ... كقنديل على قبر المجوسي

والقائل:

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتوج ربه بخلاق

• نماذج من حسن الخلق •

نقتصر على نماذج من أخلاق النبي ﷺ الذي قال مولاه فيه: ﴿لَقَدْ

(١) الترمذي (٢٠١٨)، والمنذري في الترغيب (٣/٤٠٦)، وانظر: الصحيحة (٧٩١).
(٢) البخاري (١٣)، مسلم (٤٥)، ابن حبان (٢٣٥)، الترغيب (٢/٢٦٤٣).

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. يقول ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[2]، وقال أنس رضي الله عنه: (خدمت الرسول ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أفٍ، ولا قال لشيءٍ فعلته لم فعلته؟ ولا لشيءٍ لم أفعله؛ ألا فعلت كذا، وكان رسول الله من أحسن الناس خُلقاً)[3]. وكان أنس رضي الله عنه: (إذا مر على الصبيان يسلم عليهم ويقول كان رسول الله يفعله)[4]، ويقول جابر رضي الله عنه: (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا)[5]، ويقول علي رضي الله عنه: كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه)[6].

وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويضعهم في حجره، وربما بال الصبي في حجره فلا يعنِّف، وكان يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المريض في أقصى المدينة.

وكان ﷺ يصلي وهو حاملٌ أُمامة فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها. ويقول جرير رضي الله عنه: (ما رآني رسول الله إلا تبسَّم)[7]، فأعلى المقامات من كان بكاءً بالليل بسَّاماً بالنهار.

وكان عليه السلام: (يداعب الأطفال فيقول لأحدهم: «يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟»، وأبو عمير كنية طفل صغير، وكان معه نُغير وهو طائر صغير مثل العصفور، هلك هذا النغير فحزن عليه الصبي واغتم فكان الرسول ﷺ

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢١).
(٢) أبو داود (١١)، النسائي (٢/٥٩)، أحمد (٥/٣٠٥)، الفتح (٢/٢٠١)، البخاري (١/٧٠٧).
(٣) البخاري (١٠/٤٥٦ فتح)، مسلم (١٥ ـ ٩٦ نووي).
(٤) البخاري (٦٢٤٧)، مسلم (٢١٦٨).
(٥) البخاري (٦٠٣٤)، مسلم (٢٣١١).
(٦) أحمد (١/١٥٦).
(٧) البخاري (٦٠٨٩)، مسلم (٢٤٧٥).

يلاطفه قائلاً: «يا أبا عمير ما فعل النغير»[1].

وقد جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال:

هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً، راضياً حكيماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، باشًّا هاشًّا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله، قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين، واقتصاد في نفقة وبذل في سعة وقناعة في فاقة وإعطاء في حق وبر في استقامة.

• صفة حسن الخلق عند الإمام أحمد •

ذكر الإمام البيهقي في شعب الإيمان كلاماً ذهبياً لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل قال فيه: (ومعنى حسن الخلق: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس.

وهو في ذات الله ـ ﷻ ـ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه، يفعل ما فرض عليه، طيب النفس به، سلساً نحوه، وينتهي عما حرم عليه، واسعاً به صدره، غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية.

وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمحاً بحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفي ما يوجب لغيره عليه منها، فإن مرض فلم يُعد، أو قدم من سفر

---

(١) البخاري (٦١٢٩)، مسلم (٢١٥٠).

فلم يُزر، أو سلم فلم يرد عليه، أو دخل على قوم فلم يمكّن، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يزوج، أو استمهل الدَّين فلم يمهل، أو استنقص فلم ينقص، وما أشبه ذلك... لم يغضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفي وأوحش، وأنه يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يضمر أنه لا يعتد شيء من ذلك، ويقابل كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى، ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه كهو في حظ ما يكون له، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاءه في شفاعة شفعه، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا أو كيف يعامل الناس، إنما يتخذ الأحسن، إماماً لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه).

أخي في الله:

أعد قراءة هذا النص مرة ثانية وثالثة ورابعة ثم قل لي بربك: أين نحن من هذه الصفات التي ذكرها الإمام أحمد؟

إن من تأمل هذا النص الذي نقله البيهقي عن إمام أهل السنة وجدنا أننا جميعاً ـ إلا من رحم ربي ـ بعيدون عن حسن الخلق بُعد المشرقين، فلا صفح ولا عفو، ولا وفاء بالوعد، ولا كظم للغيظ، ولا قضاء للحقوق، وإنما تناحر وتباغض، وتدابر وتحاسد وتقاطع وتهاجر.

فأي أمة نحن؟! أنحن خير أمة أخرجت للناس؟ أمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ أنحن الأمة التي ستشهد على الأمم يوم القيامة؟ اللهم غفرانك.

إننا جميعاً بحاجة إلى مراجعة لأنفسنا والنظر في العواقب وتقديم مصالح الدين على مصالح النفس وحظوظها، والأخذ بمعالي الأمور وترك سفاسفها حتى تنطلق سفينة الإيمان تحمل ميراث النبوة، تشق به أمواج الظلم

والجهل والضلال باعثة بالنور والهداية إلى ربوع كون الله الفسيح.

وأول ما يمتحن به حسن الخلق:

○ الصبر على الأذى واحتمال الجفاء: ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه، فإن حسن الخلق احتمال الأذى بأن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. فهو التخلي من الرذائل والتحلي بالفضائل، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[1]، وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام - وفي رواية: قتات»[2]. وقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[3]، وقال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله»[4]، وقال: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»[5]، أي عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به. فما عليه إلا أن ينظر ما الذي يتطلع إليه من معاملة حسنة عند الآخرين يود أن يقابلوه بها أو يعاملوه بها ثم يلزم نفسه بمعاملة الآخرين بذلك الخلق الحسن الذي ينتظره من الناس، وهذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وإن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه. قال ﷺ من حديث جابر ﷺ: (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)[6]، فهذا يدل على شناعة وخطورة وبشاعة وخبث التحريش بين المسلمين.

---

(١) أحمد (٥/١٦٨)، الترمذي (١٩٥٦) ابن حبان (٥٣٠)، البخاري في الأدب المفرد (١٢٨).

(٢) البخاري (٦٠٥٦)، مسلم (١٠٥).

(٣) الترمذي (٢٣١٧)، مالك (٢/٩٠٣).

(٤) أبو داود (٤٨١١)، الترمذي (١٩٥٤)، المنذري في الترغيب (١/١٤٢٤)، أحمد (٥/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) مسلم (٣/١٨٤٤).

(٦) مسلم (٢٨١٢).

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، وقال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[2]، وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[3]، وقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[4].

○ ومن الأخلاق خدمة الناس وقضاء حوائجهم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

والحلم وكظم الغيظ والسماحة في المعاملة والمداراة[5] وإدخال السرور على الآخرين، وفي الحديث: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن!! وكيف تدخله؟! قال: تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف شهراً في المسجد. ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[6]. فإن لم يستطع على هذه الأعمال فلا أقل من الابتسامة والبشاشة، يقول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)[7].

ولله در القائل:

أبني إن البر شيءٌ هيِّن وجه طليق وكلام ليِّن

---

(١) البخاري (١٠)، مسلم (٤٠).

(٢) البخاري (٣٤٨٤).

(٣) البخاري (٦٥٦٣)، مسلم (١٠١٦).

(٤) أبو يعلى (٥/ ٢٨٦٣)، البغوي (١/ ١٠٠)، البيهقي في الشعب (٦/ ٢٨٨)، صحيح البخاري (٢/ ٧١٧٩).

(٥) وهناك فرق بين المداراة والمداهنة، انظره آخر الكلام عن الدعوة إلى الله.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٣٦)، بإسناد حسن وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

(٧) رواه مسلم (٢٦٢٦).

ولله در القائل:

وما اكتسب المحامد حامدوها بمثل البشر والوجه الطليق

○ ومن الأخلاق احترام المسلمين وتقديرهم والتأدب معهم وتبجيلهم وإجلالهم.

ولله در القائل:

ومن هاب الرجال تهيَّبوه ومن حقر الرجال فلن يُهابا

ورحم الله من قال:

ولست بهيّاب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى لي

○ ومن الأخلاق حسن الكلام: فالكلمة الطيبة صدقة كما في الحديث عنه ﷺ.

○ ومن الأخلاق: التواضع ولين الجانب والجود والكرم والرفق، وقد قال ﷺ: «من كان هيناً سهلاً حرمه الله على النار»[1]، وفي حديث آخر «حرمت النار على الهين اللين السهل القريب»[2]. وعن جابر رضي الله عنه قال: (ما سُئل النبي ﷺ عن شيءٍ قط فقال: لا)[3].

○ ومنها سلامة الصدر من الغل والحقد والعداوة والبغضاء والشحناء والإحن والحسد والضغينة والغش، كما دل على ذلك الحديث: (يدخل عليكم رجل من أهل الجنة ـ ثلاث مرات ـ وفي آخر القصة أن قال هذا الرجل: لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا حسداً على خيرٍ أعطاه الله إياه)[4]، وفي رواية: (لم أبت ضاغناً على مسلم).

---

(١) الحاكم (١/ ١٢٦)، البيهقي في الشعب (٨١٢٣)، الطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٣٢)، المنذري في الترغيب (٣/ ٢٦٠٣)، البيهقي في سننه (١٠/ ١٩٤)، صحيح الترغيب (١٧٤٥).

(٢) صحيح الترغيب (٢/ ١٧٤٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أحمد (٣/ ١٦٦)، الهيثمي في المجمع (٨/ ٨٧)، النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٣)، الأصبهاني في ترغيبه (٢٢٤٧)، البغوي في شرح السنة (١٣/ ١١٢ ـ ١١٤)، المنذري في الترغيب (٣/ ٤٢٦٠).

قال زيد بن أسلم[1]: دُخل على أبي دجانة وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: (ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين: لا أتكلم فيما لا يعنيني، والآخر فكان قلبي سليماً).

ولله در القائل:

لا يحمل الحقد من تعلوا به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

والقائل:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

○ ولا ننسى الهدية فلها عظيم الأثر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب، فكم من ضغينة ذهبت بسبب هدية!! وكم من مشكلة دفعت بسبب هدية؟ وكم من صداقة ومحبة جُلبت بسبب هدية، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «تهادوا تحابوا»[2].

وقد كان النبي ﷺ: «يقبل الهدية ويثيب عليها»[3]، أي يجازي المهدي بهدية أيضاً.

○ ومنها: جبر الخواطر وتطييبها: فجبر خواطر الناس التي كسرت باب طيب من أبواب المواساة وتخفيف المصائب عن العباد، فاجتهد يا عبد الله في أن تجبر كل خاطر قد كسر إما بكلمة طيبة أو هدية أو بزيارة في الله أو بأي نوع تراه سبباً في تخفيف المصائب عن إخوانك وجبر خواطرهم، وانتق الألفاظ الجميلة واختر العبارات الطيبة عند الاعتذار ولك في ذلك الأجر والثواب والله لا يضيع أجر المحسنين.

○ ومنها: مراعاة أحاسيس الناس ومشاعرهم وقدراتهم، فللناس

---

(١) السير (١/ ٢٤٣).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، البيهقي في السنن (٦/ ١٦٩)، الإرواء (٦/ ١٦٠١).

(٣) رواه البخاري (٢٠٨٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

أحاسيس ومشاعر وقدرات يجب أن تراعى وتوضع في الاعتبار عند التعامل معهم، وقد جاء من الأدلة على ذلك ما لا يكاد يحصى، فعليك أخي الكريم أن تراعي هذا ففيه النفع لك في دينك وفي دنياك وفي معاملتك مع الناس[1].

• خطأ شائع[2] •

زعم بعض الناس أن أخلاق الإنسان فطرية فقط ولا يمكن اكتسابها. ومعنى ذلك أن الإنسان معذور لا يلام على سوء خلقه لأنه هكذا خلقه الله وطبعه عليه ولا يقدر على تغييرها مهما بذل وعمل لأنه هذا ما طبعه الله عليه.

وهذا ادعاء يرده الواقع، فلو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، ولم يكن للتربية والتهذيب والأمر بها معنى.

وليحظى المسلم باكتساب محاسن الأخلاق ومكارمها فعليه بأمور أهمها[3]:

١ ـ الدعاء والإلحاح على الله والتضرع أمام الله أن يرزقه حسن الخلق، وذلك لأن الدعاء باب عظيم فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات. وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اهدني إلى أحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلّا أنت»[4]. وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم أحسنت خَلْقي

---

(١) فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين لمصطفى العدوي، ولترى البيان والأدلة والتفصيل ارجع إليه (١٣٥ ـ ١٦٥).

(٢) بتصرف واختصار من الأخلاق الفاضلة للرحيلي (٤ ـ ٥).

(٣) وانظرها في: الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة لمحمد الحمد.

(٤) رواه مسلم (٥٧/٦).

فأحسن خُلُقي»[1]، وكان من دعائه: «اللهم جنِّبني منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء»[2].

٢ ـ المجاهدة: فمن جاهد نفسه على التحلي بالفضائل وجاهدها على التخلي عن الرذائل، حصل له خير كثير واندفع عنه شر مستطير. والمجاهدة لا تعني أن يجاهد المرء نفسه مرة أو مرتين أو أكثر بل تعني أن يجاهد نفسه حتى يموت، ذلك أن المجاهدة عبادة والله يقول: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[3].

٣ ـ مصاحبة من عُرفوا بحسن الخلق والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفساف الأعمال حتى يجعل من هذه الصحبة مدرسة يستعين بها على حسن الخلق، فالنبي ﷺ قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[4]، وقوله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»[5].

٤ ـ أن يتأمل المسلم ماذا يترتب على سوء الخلق، فسيِّئ الخُلق ممقوت، سيئ الخُلق مهجور، سيئ الخلق مذكور بالذكر القبيح، فإذا علم المسلم أن سوء الخلق يفضي إلى هذا فإنه يبتعد عنه.

٥ ـ أن يستحضر المسلم دائماً صورة خُلق رسول الله ﷺ وكيف كان يتواضع للخلق ويحلم عليهم ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم فإذا استحضر الإنسان أخلاق النبي ﷺ وأنه خير البشر وأفضل من عبد الله تعالى هانت على الإنسان نفسه وانكسرت صولة الكبر فيها، فكان ذلك داعياً إلى حسن الخلق. فالنظر في السيرة النبوية وقراءة سيرة أهل الفضل

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/٦٨).

(٢) الطبراني في الدعاء (١٣٨٤)، والحاكم (١/ ٥٣٢)، ابن حبان (٢٤٢٢).

(٣) سورة الحجر: الآية (٩٩).

(٤) مسند الإمام أحمد (٨٠٥٥ ـ ٨٤٤١).

(٥) أبو داود (٤/ ٤٨٣١)، والترمذي (٤/ ٢٣٩٥)، أحمد في مسنده (٣/ ٣٨)، ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٨٣)، إحسان، والحاكم (٤/ ١٢٨) في المستدرك.

والحلم والعلم، وقراءة كتب الشمائل والأخلاق أعظم دافع إلى حسن الخلق وأكبر زاجر عن سيئها.

٦ ـ لا يسوغ لك أن تتخذ ظروفك سبباً أو عذراً في الإساءة للآخرين مهما كنت معذوراً عند نفسك.

٧ ـ لا تكتف بنقد أخلاق الآخرين وتنس نفسك، بل اشتغل بنقد نفسك أولاً لأنك مكلف بها أولاً ثم اشتغل في إصلاح الآخرين.

٨ ـ لا تقبل من نفسك ما تذم به الآخرين، فإنه عيب شنيع عند الله تعالى وعند الناس.

٩ ـ إذا أساء إليك أحد أو أخطأ فلا تتخذ ذلك سبباً في الإساءة إليه أو أن تخطئ في حقه.

ثم اعلم أن الجميع بشر يعتريهم ما يعتري البشر، فإذا كان أهل الفضل والصلاح أولو العزم من الرسل وسائر الأنبياء، ثم أهل العلم والفضل وأهل الصلاح بشر يعتريهم ما يعتري البشر فغيرهم من أهل الإيمان من باب أولى.

- فالناس يحبون من يحسن إليهم، ويكرهون من يسيء إليهم!
- يحبون من يسترهم! ويكرهون من يفضحهم!
- يحبون المشفق الحنون عليهم، ويكرهون الجلف الجافي الغليظ!
- يحبون من يتمنى لهم الخير، ويكرهون من يتمنى لهم الشر.
- يحبون من يدعو لهم، ويكرهون من يحسدهم!!
- يحبون المتواضع لهم، ويكرهون المتعالي المستكبر عليهم!!
- يحبون من وصلهم وواساهم، ويكرهون من قطعهم وعاداهم!!
- يحبون من يهدي لهم ويسلم عليهم، ويكرهون ويبغضون من يسرقهم ويجفوهم!!

- يحبون من يثني عليهم، ويكرهون من يذمهم!!
- يحبون من يذكرهم بما فيهم من خير وصلاح، وبما في آبائهم من ذلك الخير والصلاح!! ويكرهون من يتتبع عوراتهم ويهتك سترهم!!
- فعلى الشخص أن يتعامل مع الناس على ما تقتضيه بشريتهم فلهم طاقات وقدرات، ولهم مشاعر وأحاسيس ويحتاجون إلى جبر الخاطر، ويحتاجون إلى دفع الشكوك عنهم وتطييب نفوسهم، وإقالة عثراتهم وستر عوراتهم.

فعليك برحمة العباد وعليكم بالستر عليهم، وعليكم بإقالة عثراتهم وعليك بإنزالهم منازلهم[١].

فلحسن الخلق تأثير عظيم في الدعوة إلى الله، وله الأثر العظيم في نفوس المدعوين.

• رحم الله امرءاً اهدى إلي عيوبي •

من أراد الوقوف على عيب نفسه، فله في ذلك أربع طرق:

الطريقة الأولى:

أن يجلس بين يدي عالم بصير بعيوب النفس، يعرفه عيوب نفسه وطرق علاجها.

الطريقة الثانية:

أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله.

ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصف

---

(١) فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين (١٣٣ ـ ١٣٤)، ولترى النماذج والأدلة على ذلك فانظرها فيه (١١٩ ـ ١٣٣).

وقد كان عمر أمير المؤمنين يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا، وكان يسأل حذيفة: هل أنا من المنافقين؟ وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه.

الطريقة الثالثة:

أن يستفيد من عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساوي.

الطريقة الرابعة:

أن يخالط الناس، فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم ـ ذمه الشرع ـ يجتنبه.

• نخطئ كثيراً[1] •

نخطئ كثيراً: حينما يتجه أحد إلى العناية بالطيب المصنوع ويتجاهل الطيب المطبوع، أعني به ـ طهارة السريرة ـ وحسن الخلق والسيرة.

نخطئ كثيراً: حينما نهتم ونعني بملابسنا ومظاهرنا وأجسامنا ونهمل بواطننا وقلوبنا وأخلاقنا.

نخطئ كثيراً: حينما نُعنى بإصلاح ما بيننا وبين المخلوقين وننسى ما بيننا وبين الخالق، ونتأدب مع المخلوقين وننسى التأدب مع الخالق.

نخطئ كثيراً: حينما يعمد أحدنا إلى التأدب مع الأبعدين وينسى الأقربين، ونهتم بأنفسنا وننسى الآخرين.

نخطئ كثيراً: حينما نصلح دنيانا بتمزيق ديننا، نصلح دنيانا وننسى آخرتنا.

---

(١) باختصار من الأخلاق الفاضلة للرحيلي (١١٢ ـ ١١٣).

• أخلاق غير المسلمين[1] •

يورد كثير من الناس أن أهل الغرب أحسن أخلاقاً منّا في تعاملهم وبيعهم وشرائهم، بينما تجد الغش والكذب وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب منتشراً بين صفوفنا نحن المسلمين.

وللرد على هذه الفرية نقول: قال النبي ﷺ: «البينة على المدعي»[2]. وما كان مشهوراً بين الناس من أن الغرب عندهم حسن خلق في المعاملة فهذا ليس بصحيح، فإن عندهم من سوء المعاملة ما يعرفه من ذهب إليهم ونظر إليهم بعين العدل والإنصاف دون من نظر إليهم بعين الإجلال والإكبار.

فقد قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولقد حدثني كثير من الشباب الثقات الذين ذهبوا إلى الغرب عن أفعال من أسوء الأخلاق، لكنهم هم إذا نصحوا فيما ينصحون فيه من البيع والشراء، فليس لأنهم ذوو أخلاق، وإنما لأنهم عُبّاد مادة، والإنسان كلما كان أنصح في المعاملة من هذه المعاملات الدنيوية، كان الناس إليه أقبل، وإلى شراء سلعته وترويجها أسرع.

فهم لا يفعلون ذلك لأنهم كاملو أخلاق، ولكن لأنهم أصحاب مادة، ويرون من أكبر الدعايات لتنمية أموالهم أن يحسنوا المعاملة، من أجل أن

---

(١) مكارم الأخلاق للعلامة ابن عثيمين (٥٠ ـ ٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٤١) كتاب الأحكام وقال: هذا الحديث في إسناده مقال. وصححه الألباني وهو في الجامع (٢٨٩٧)، وقال الترمذي أيضاً: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه اهـ. سنن الترمذي (٣/ ٦٧٨).

يجذبوا إليهم الأعداد الكبيرة، فهم كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾[1]. ولا أظن أحداً أصدق وصفاً من وصف الله ﷻ للكافرين، فإنهم شر البرية، وكيف يرجى خير مقصود لذاته من قوم وصفهم الله بأنهم شر البرية، لا أعتقد ذلك يكون أبداً، لكن ما يوجد فيهم من الصدق والبيان والنصح في بعض المعاملات، إنما هو مقصود لغيره عندهم، وهو الحصول على المادة والكسب، وإلا فمن رأى ظلمهم وغشهم واستطالتهم على الخلق في مواطن كثيرة، عرف مصداق قوله تعالى: ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وأما بالنسبة لما وقع من كثير من المسلمين من الغش والكذب والخيانة في المعاملات، فإن هؤلاء المسلمين نقصوا من إسلامهم وإيمانهم بقدر ما خالفوا الشريعة فيه من هذه المعاملات، فلا يعني أن مخالفة المسلمين وخروجهم عن إطار الشريعة في مثل هذه الأمور، لا يعني ذلك نقص الشريعة نفسها، فالشريعة كاملة، وهؤلاء الذين أساؤوا إلى شريعة الإسلام، ثم إلى إخوانهم من المسلمين ثم إلى من يعاملونه من غير المسلمين، هؤلاء إنما أساؤوا إلى أنفسهم فقط، والعاقل لا يجعل إساءة العامل سوءاً في الشريعة التي ينتمي إليها هذا العامل.

ولذلك فإنني أرجو جميع المسلمين أن تكون لديهم حملة قوية في محاربة هذه الأمور التي لا يقرها الإسلام، من الكذب والخيانة والغش والخداع وما أشبه ذلك.

فلا بد أن نبين للناس أن من كمال الدين كمال الخلق كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[2].

---

(١) سورة البينة: الآية (٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، كتاب السنة، والترمذي (١١٦٢)، كتاب الرضاع وفيه زيادة: «وخياركم خياركم لنسائهم» وقال الترمذي: حديث حسن، صحيح الجامع (١٢٣٠ ـ ١٢٣٢).

وعلى هذا فكل ناقص الخلق فهو ناقص الدين، فكمال الدين بكمال الخلق. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الدين كله خلق فما زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين) اهـ. ولذلك فإن تأثير كامل الخُلق على غيره من جَبَله إلى الإسلام وإلى الدين، أكبر من تأثير ذي الديانة السيئ الخلق، فإذا وافق من كان قوياً في العبادة إلى كمال الخلق كان ذلك أحسن وأكمل.

وفي كلام الشيخ محمد العثيمين رد على محمد عبده - من علماء مصر - القائل عندما ذهب إلى بلاد الغرب: [وجدت هناك مسلمين بلا إسلام وهنا إسلام بلا مسلمين]..

فهل مجرد الخلق الحسن مع الناس يعتبر صاحبه مسلماً؟ لا وألف لا.

ومن الجدير بالذكر أن نقول: أن الكافر مهما تخلق بالخلق الحسن وبلغ ما بلغ من ذروة الخُلق فإن هذا لا ينفعه عند الله في الآخرة ولا يدخله ذلك في الإسلام، بل يعطى في الدنيا على خلقه حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يجد شيئاً. لأن العقيدة هي الأساس والركيزة لقَبول العمل ودخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[1]، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2].

بل إن سلامة العقيدة شأنه عظيم وأمره جلل، فالسلوك - في الغالب - ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر وما يعتقده من معتقد وما يدين من دين.

والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد، فإذا صحت العقيدة حسنت الأخلاق تبعاً لذلك، فالعقيدة تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق ومعالي السلوك.

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٢٣).

(٢) سورة الزمر: الآية (٦٥).

● أهمية العقيدة وخطورة الشرك ●

ولبيان أهمية العقيدة أسوق إليك أخي هذه الأسطر، قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن (لا إله إلا الله): [كلمة قامت بها الأرض والسموات وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى الرسل وأنزل كتبه وشرع شرائعه ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب هو الحق الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب وعليها يقع الثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وعنها يسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة].

أقول: ويا للأسف: أن كثيراً من الدعاة اليوم لا يهتمون بجانب العقيدة وإصلاحها، بل ربما قال بعضهم: اتركوا الناس على عقائدهم لا تتعرضوا لها، اجمعوا ولا تفرقوا، لنجتمع على ما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، أو نحواً من هذه العبارات التي تخالف قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ.....﴾[1].

وأن العناية بالتوحيد من أهم المهمات وأشد الضرورات، لأنه مهما بلغ العبد من الصلاح والتقوى وحافظ على السنن والفرائض وأكثر من الخيرات ولكنه على غير عقيدة صحيحة، يسأل غير الله ويذبح لغير الله ﷻ

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

ويطوف وينذر لغير الله ﷻ، فإنه بهذا يكون قد صرف نوعاً من العبادة لغير الله، فحينئذٍ لا تنفعه صلاته ولا صومه و لا حجه ولا تقواه ولا محبته للخير، لأنه هدم الأساس الذي تقوم عليه العبادة وهو التوجه إلى الله وحده دون من سواه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1]، وكل الأنبياء والرسل أرسلهم الله لتقرير التوحيد والدعوة إليه عند جميع الأمم، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[3]، وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم توجهوا إلى الله بالدعاء وكلهم حاربوا الشرك وأهله وهدموا الوثنية ليبقى التوجه والتقرب وصرف الهمم لله وحده دون شريك، فحاربوا المشركين واستحلوا دماءهم وأموالهم ونساءهم وذراريهم وديارهم من أجل البقاء على العقيدة الصحيحة دون خلل أو انحراف، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[4]. ولا تغتر بالكثرة وما عليه غالب الناس فعمل الناس ليس هو الحكم وإنما الحكم والدليل الكتاب والسنة ـ بفهم السالف الصالح ـ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[5]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[6].

وأعود مكرراً منذراً مخوِّفاً من شؤم الشرك وخبثه ودنسه وخطره فأقول: إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، وأن المشرك لا يقبل منه عمل خالداً في النار أبد الآباد إن مات على الشرك، فلو قام الليل وصام النهار لله وزكى وحج لله وكان بارًّا بوالديه واصلاً محسناً أميناً في بيعه

---

(١) سورة الزمر: الآية (٣).

(٢) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٣) سورة الجن: الآية (١٨).

(٤) سورة الزخرف: الآيات (٢٦ ـ ٢٨).

(٥) سورة يوسف: الآية (١٠٣).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١١٦).

وشرائه، يختم القرآن كل ليلة ويعمل أعمالاً أخرى كالجبال، ولكنه يذبح لغير الله أو يدعو أو يطوف أو ينذر أو يسجد لغير الله، فإن أعماله وأخلاقه لا تغني عنه شيئاً وهي حابطة باطلة.

كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وفي صحيح مسلم[3] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)]. فمع أنه كان واصلاً لرحمه مطعماً للمساكين لم ينفعه ذلك لأنه مشرك، وهكذا جميع الأعمال لا تقبل من المشرك.

• أخطاء في العقيدة والتوحيد[4] •

أولاً: الشركيات المخرجة من الملة، وبعض أنواع الشرك الأكبر:

١ ـ الاستغاثة بالأموات ودعاؤهم، وطلب المدد منهم، والتقرب لهم بأي نوع من العبادات، وذلك شرك أكبر ناقل عن الملة:

لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[5].

فتقديم المفعول (إياك) مفيد الاختصاص، وذلك ما دلت عليه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ومن أنواع العبادة الدعاء، بل هو العبادة كما ثبت

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٨٨).

(٣) (١/ ٣٦٥).

(٤) من رسالة المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة، لصاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٩ ـ ١٩).

(٥) سورة الفاتحة: الآية (٤).

في (السنن) من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة). وصرف العبادة لغير الله شرك وكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[1]، و(من) من صيغ العموم تعم كل ما كان في حيز صلتها، فظهر أن من دعا مع الله أحداً أياً كان فهو من الكافرين. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

ومن الدعاء أنواع الطلب: كطلب الغوث، وهو الاستغاثة، وطلب المدد، وطلب العون، وغير ذلك.

٢ ـ وكذلك سؤال الموتى الشفاعة شرك أكبر:

وذلك لقول الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾[4]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾[5]، وغير ذلك من الآيات.

فلما كانت الشفاعة لله وحده، وليس لأحد شفيع من دون الله ممن مات وانقطع عمله، تقرر أن طلب الشفاعة وسؤالها من غير الله من الميتين شرك، وأسعد الناس يوم القيامة بشفاعة المصطفى ﷺ أهل التوحيد المتنزهون عن أنواع الشرك، المخلصون في قولهم: (لا إله إلا الله).

٣ ـ والذبح والنذر للقبور أو المشاهد أو الموتى شرك أكبر: أما

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١١٧).
(٢) سورة الجن: الآية (١٨).
(٣) سورة المائدة: الآية (٧٢).
(٤) سورة الزمر: الآية (٤٣).
(٥) سورة الأنعام: الآية (٥١).

الذبح: فلقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[1]، فكما أن الصلاة لله وحده، فالنسك ـ وهو الذبح ـ لله وحده لا شريك له بنص الآية، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾[2]، والنحر من أفضل العبادات لما فيه من إسالة الدم إخلاصاً لله، وفيه ذل العبد وخضوعه وطلبه ما عند الله بتقربه بالدم لله جل وعلا. وفي حديث علي: (لعن الله من ذبح لغير الله)، رواه مسلم في (صحيحه)[3] مرفوعاً.

وأما النذر: فلقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[4]، وقوله تبارك اسمه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾[5]، فدل ذلك على أن الوفاء بالنذر محبوب لله، ويؤجر صاحبه عليه، فيكون عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، كما تقدم تفصيل أدلته في المسألة (١).

٤ ـ الطواف على القبور، والتمسح بها، والتبرك بها، فعل هذا كله شرك:

فالطواف: من أجلِّ العبادات، ولم يشرع الطواف حول مكان غير بيت الله الحرام، فعبادة الطواف خاصة بالكعبة المشرفة، وكذلك التطوف بين الصفا والمروة، وما كان لغير الله فهو وضع للعبادة في غير موضعه، وتعظيم للقبور وتشبيهها بالبيت الحرام، وصرف لعبادة الطواف لغير الله.

وأما التمسح والتبرك بها رجاءً للانتفاع بالتمسح والتبرك في الدنيا والآخرة: فهذا تأليه للقبور وتعظيم لها، نحو ما كان يفعله المشركون الجاهليون مع آلهتهم، فكل من رجى بالتبرك والتمسح الانتفاع فقد عظم ما

(١) سورة الأنعام: الآية (١٦٢).
(٢) سورة الكوثر: الآية (٢).
(٣) (١٩٧٨/٣).
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٧٠).
(٥) سورة الإنسان: الآية (٧).

لم يشرع الله تعظيمه، والدليل على كونه شركاً حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون».. رواه أحمد[1]، والترمذي[2]، وهو صحيح.

وهؤلاء إنما أرادوا العكوف والتبرك، فسمى رسول الله ﷺ طلبهم ذلك طلباً لإله مع الله، وهذا هو عين الشرك، فلما بين لهم رسول الله ﷺ الأمر رجعوا وأنابوا، والتبرك بالقبور والطواف حولها والتمسح بها أعظم مما طلبوا فعله.

٥ ـ ومناداة الغائبين من الأحياء والاستغاثة بهم مع اعتقاد قدرتهم على النفع أو الغوث حال البعد شرك أكبر:

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ...﴾[3]، وتقدمت أدلة أخرى في المسألة (١).

٦ ـ والغلو في الصالحين أو الأنبياء ـ بحيث يجعل فيهم نوعاً من خصائص الألوهية، أو لهم شيئاً من التأله والتعبد ـ شرك مخرج من الملة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ...﴾[4] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ

---

(١) (٥/٢١٨).
(٢) (٢١٨٠) كتاب الفتن.
(٣) سورة النمل: الآية (٦٢).
(٤) سورة المائدة: الآية (١١٦).

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾[1] الآية.

وقال المصطفى ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، رواه البخاري في «صحيحه»[2].

٧ ـ الخوف من الأولياء أو من الجن (خوف السر)، كأن يخاف أن يصيبه الولي سراً أو الجني بسوء إن لم يفعل كذا وكذا فهذا شرك أكبر.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ...﴾[3].

والخوف من العبادات القلبية العظيمة التي يجب إخلاصها لله، فمتى خاف من أحد كخوفه من الله فهو مشرك، وأما الخوف الطبيعي فلا حرج منه، والخوف الذي يجعل المرء مقصراً في الواجبات أو مرتكباً لمحرم لا يجوز، كأن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتعين عليه، خشية كلام الخلق أو إيذائهم.

٨ ـ وضع الحروز التي فيها شرك وشعوذة، أو تعليق التمائم والرقي خوفاً من الضرر، أو دفعاً للعين والحسد شرك:

لما ثبت أن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك»، رواه أحمد[4] وأبو داود[5] وغيرهما[6]، وروى أحمد[7] عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[8]، وفي

(١) سورة النساء: الآية (١٧١).

(٢) (٣٤٤٥).

(٣) سورة هود: الآية (٥٤).

(٤) (١/ ٣٨١).

(٥) (٣٨٨٣).

(٦) ابن ماجه (٣٥٣٠)، والحاكم (٤/ ٤١٧، ٤١٨)، ابن حبان (١٤١٢ ـ موارد).

(٧) (٤/ ١٥٦).

(٨) الحاكم (٤/ ٢١٩).

الرقي خاصة قال ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»، رواه مسلم[1].

والرقي الشركية هي التي يستعان فيها بغير الله، ويشرك فيها مع الله وتعليق التمائم خوفاً من الضرر، أو دفعاً للعين شرك أصغر، لا أكبر، إلا إن اشتملت على استعانة بغير الله، أو مخاطبة للجن واستغاثة بهم، أو اعتقد مَنْ علقها أنها تنفع بنفسها وليست سبباً للنفع أو نحو ذلك فهي شرك أكبر، فيجب تقييد كونها شرك أكبر بما ذكر.

٩ ـ سؤال العرافين والكهنة والسحرة مع تصديقهم كفر:

وذلك لقول نبي الهدى والرحمة ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، رواه أحمد[2]، والحاكم[3]، وقال: صحيح على شرطهما. وفي خبر ابن مسعود موقوفاً: (من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)، رواه البزار[4] وأبو يعلى[5]، وجوَّد إسناده المنذري[6]، والحافظ ابن حجر[7]، والحديث صحيح لشواهده.

وهل الكفر في هذه الأحاديث كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فيه فلا يقال: يخرج عن الملة، ولا: لا يخرج؟ الأول قوي، والثاني هو المشهور عن الإمام أحمد.

١٠ ـ تعليق قطع من جلد الذئب على الصدور أو في البيوت، لاعتقاد أنها تدفع الجن شرك: تقدم دليله وتفصيل الكلام على التمائم في المسألة (٨).

---

(١) (٢٢٠٠).
(٢) (٢/٤٢٩).
(٣) (١/٨).
(٤) (٢٠٦٧).
(٥) موقوفاً.
(٦) (٤/٣٦).
(٧) في الفتح (١٠/٢١٧).

١١ ـ الذبح عند عتبة الباب خوفاً من الجن شرك:

وتقدم الاستدلال في المسألة (٣)، و(٧).

١٢ ـ ادعاء علم الغيب أو الاطلاع على اللوح المحفوظ كفر:

لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٢].

ويدخل في ذلك ادعاء بعض الصوفية انكشاف حجب الغيب لهم.

١٣ ـ سماع القصائد الشركية راضياً لما فيها من الشرك عالماً به:

وذلك كقصيدة البردة للبوصيري ونحوها من القصائد التي غلا أصحابها في نبينا محمد ﷺ أو في غيره من آل بيته أو الصالحين، والتي فيها وصف المخلوق بما يوصف به الله العظيم.

وبعض هذه القصائد الشركية المغالية تنشد في الموالد فيجب تجنبها وإنكارها، حفاظاً على إسلام المرء، ـ وقى الله المسلمين الشرك ومظاهره ـ.

١٤ ـ ادعاء أن الله يحل في الأماكن أو في بعض الأشخاص، وهذا كفر أكبر.

ثانياً: الشرك الأصغر وبعض مظاهره، ووسائل الشرك:

١ ـ القسم والحلف بغير الله من غير قصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، وهذا شرك أصغر:

ودليله قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٣]، وقوله: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٤].

---

(١) سورة النمل: الآية (٦٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) البخاري (٧/٣٨٣٦) مسلم (٣/٤) (١٦٤٦).

وأما إذا عظم المحلوف به كتعظيم الله، وذلك نحو حلف القبوريين بالأولياء والمقبورين، فهذا ـ مع قصد التعظيم ـ شرك أكبر.

وأما إذا جرى على اللسان دون قصد للحلف فهذا شرك لفظي داخل في أنواع الشرك الأصغر، وكفارته أن يقال: لا إلٰه إلا الله، ثم يعزم على عدم العود إلى الحلف بغير الله.

٢ ـ الحلف بالأمانة أو الذمة أو الشرف، وذلك شرك أصغر:

لقوله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»، رواه أبو داود[1].

والحلف بهذه الأمور داخل في عموم قوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[2].

والحلف يكون باستخدام أحد أحرف القسم الثلاثة: الباء، والواو، والتاء، وأما إذا استخدم غيرها من الحروف كـ «في» ونحوها فلا يكون قسماً.

٣ ـ اتخاذ القبور مساجد: بدعة وخيمة، ومحرم، ووسيلة إلى الشرك بأصحابها:

وذلك لقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، رواه البخاري[3] ومسلم[4] بنحوه، وكل موضع قصدت فيه الصلاة صار مسجداً.

٤ ـ الصلاة عند القبور والدعاء عندها: بدعة، ووسيلة إلى الشرك:

وذلك إذا دعي الله وحده، أما إذا دعي صاحب القبر مع الله فذلك شرك محقق، وجاء النهي عن الصلاة عند القبور عن النبي ﷺ، قال:

---

(١) (٣/٣٢٥٣)، والبيهقي (١٠/٣٠).

(٢) الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/١٨) (٤/٢٩٧)، أبو داود (٣٢٥١).

(٣) (٤٣٥).

(٤) (٥٣١).

«لا تصلوا إلى القبور»، رواه مسلم[1]. ورأى عمر بن الخطاب ﷺ أنساً يصلي عند قبر لا يعلمه، فقال عمر: القبر القبر، وقال ﷺ: «لا تتخذوا القبور مساجد»[2]. والمساجد يدعى الله فيها أبلغ دعاء فعلم منه النهي عن الدعاء عند القبور، إلا إذا كان الدعاء لصاحب القبر بالمغفرة والرحمة والتثبيت، فهذا مما جاءت السنة به، والمقبور في حاجة إلى أن يدعى له.

ثالثاً: البدع، وبعض المنهيات المتعلقة بأمور التوحيد:

١ ـ البناء على القبور، وتجصيصها، والكتابة عليها، وغرس الشجر عندها: بدع ومنكرات، ودليل ذلك ما روى مسلم في «صحيحه»[3] عن جابر قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه)، ورواه الترمذي[4] وغيره[5] بزيادة: (وأن يكتب عليه)، وهي زيادة صحيحة. وروي أيضاً عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، يعني القبور. وفي حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، وفي رواية: «ولا صورة إلا طمستها»، رواه مسلم[6].

٢ ـ إقامة الاحتفالات المختلفة بقصد التقرب بذلك إلى الله:

وذلك من مثل الاحتفال بالمولد النبوي، وبالهجرة، ورأس السنة الهجرية، والاحتفال بالإسراء والمعراج، ونحوها.

---

(١) (٩٧٢).

(٢) تقدم.

(٣) (٩٧٠).

(٤) (١٠٥٢).

(٥) أبو داود (٣٢٢٥).

(٦) (٩٦٨) و(٩٦٩).

فهذه الاحتفالات بدعة، لأنها اجتماع على أعمال يقصد بها التقرب إلى الله. والله لا يتقرب إليه إلا بما شرع، ولا يعبد إلا بما شرع، فكل محدثة في الدين بدعة، والبدع منهي عنها.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، وقال الرسول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، أخرجاه[2] عن عائشة. وفي لفظ لمسلم[3]: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي حديث العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[4].

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على النهي عن الابتداع في دين الله، وعن تشريع الناس لأنفسهم عبادات وأعمالاً يتقربون بها إلى الله، وهي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ.

٣ ـ إقامة الأعياد المختلفة البدعية: كعيد الميلاد، ورأس السنة، وعيد الأم، ونحو ذلك: وهذا منهي عنه من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه بدعة لم تشرع، إنما شرعها الناس بأهوائهم، والأعياد وما يحصل فيها من فرح وابتهاج من باب العبادات، فلا يجوز إحداث شيء منها، ولا إقراره والرضى به.

الثاني: أن لأهل الإسلام عيدين في السنة لا غير: عيد الفطر حين يفرح الناس بإتمام الصيام، وعيد الأضحى والنحر وأيام منى بعده، وقد

---

(١) سورة الشورى: الآية (٢١).

(٢) البخاري (٥/٢٦٩٧)، مسلم (٣/١٧١٨).

(٣) (٣/١٧١٨).

(٤) أحمد (٤/١٢٦ ـ ١٢٧)، أبو داود (٤٦٠٧)، الترمذي (٢٦٧٦)، ابن ماجه (٤٤)، ابن حبان (٥)، ابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤).

روى أحمد[1]، وأبو داود[2]، والترمذي[3]، والنسائي[4]، وجمع غيرهم بإسناد صحيح عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام»، وروى الشيخان[5] عنه ﷺ أنه قال: «إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»، يعني: أهل الإسلام، ففي الإضافة دليل اختصاص الأعياد بالأديان.

الثالث: أنه مشابهة للكفار من أهل الكتاب وغيرهم في إحداث أعياد لم تشرع، ولا شك أننا مأمورون بترك مشابهتهم، وقطع علائق التشبه بهم في ذلك.

٤ ـ إحياء ليلة النصف من شعبان:

وهذا الإحياء تخصيص لليلة من غير دليل، فكان من جملة البدع، والأحاديث الواردة في ذلك لا تصح عند أهل العلم، والأدلة الناهية عن البدع تشمله.

٥ ـ تخصيص رجب بصيام:

وهو من المحدثات، فلم يصح حديث في فضيلة صيام رجب، بل ما ورد ضعيف جداً لا يسوغ اعتماده ولا الاستئناس به، على أنه روي عن عمر النهي عنه وفي إسناده شيء.

٦ ـ تخصيص أيام أو أسابيع أو شهر بعبادات غير مشروعة:

وذلك التخصيص من البدع، إذ إن تخصيص مواسم للعبادات إنما يكون من قبل الشرع، فما أتت الأدلة بمشروعيته عمل به، وما لم تأت

---

(١) (١٧٣٧٩).

(٢) (٢٤٣٩).

(٣) (٧٧٣).

(٤) (٢٨٢٩) و(٤١٨١) وانظر: مسند الإمام أحمد (٢٨/١٧٣٧٩)،

(٥) البخاري (٢/٤٤٠)، مسلم (٨٩٢).

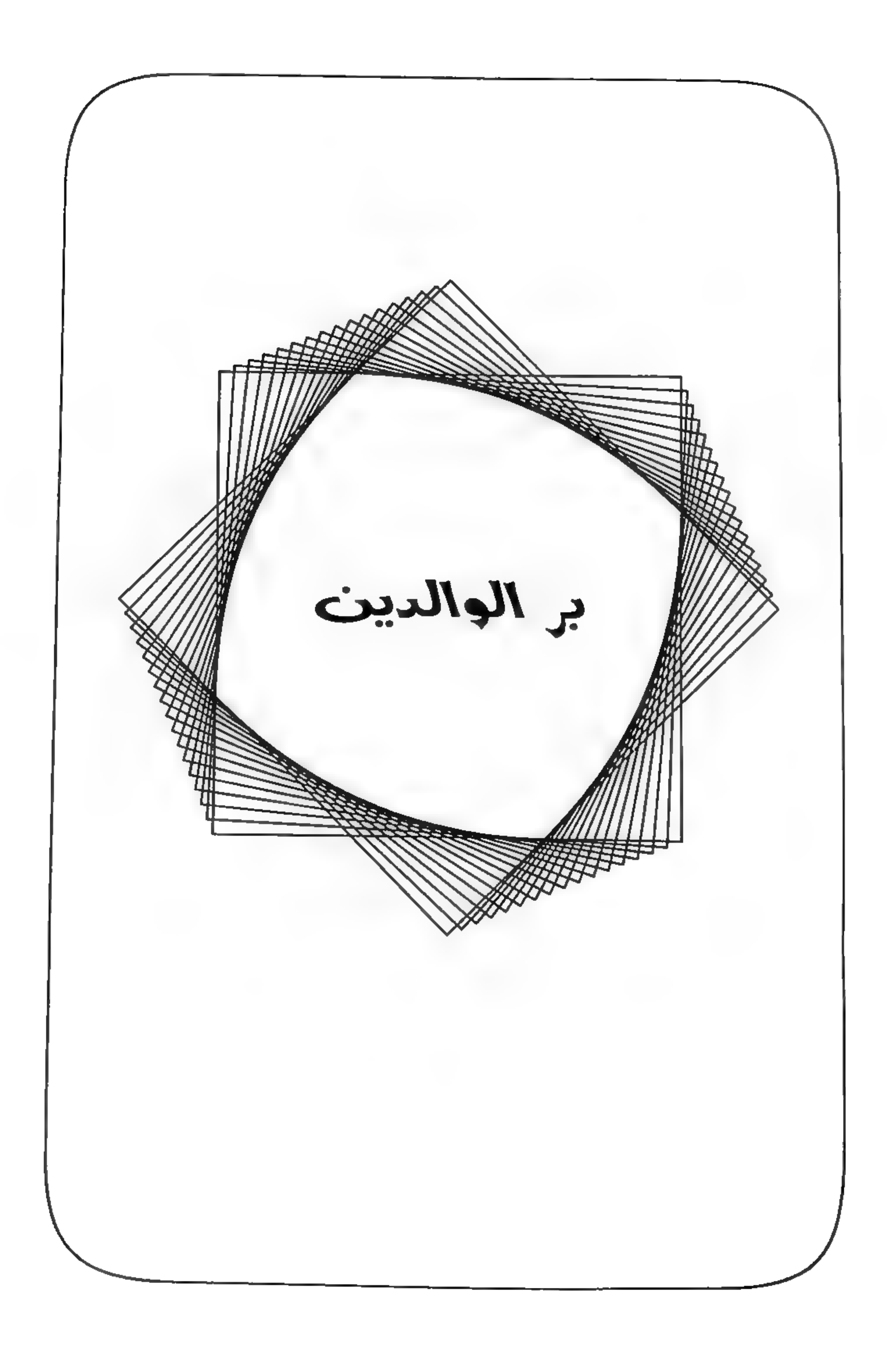
الأدلة بتخصيص وقت بعبادة لم يخصص، ويكون العمل فيه وتخصيصه بالعبادة من جملة المحدثات.

٧ ـ عمل أي عبادة يتقرب بها إلى الله على غير أصل شرعي:

فكل هذا من البدع، والبدع مذمومة في الشريعة، لقول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»، وهذا عموم لكل محدثة يتقرب بها إلى الله فهي ضلالة، فليس في البدع في الدين بدعة حسنة، بل كلها بدع قبيحة، لا يجوز إتيانها، ولا العمل بالبدع، وكل خير في عبادة أصحابِ النبي ﷺ التي ورثوها وأتسوا فيها برسول الهدى ﷺ، قال ابن مسعود: (كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبَّدوها فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً)، وأحسن من قال:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

❁ ❁ ❁


بر الوالدين

● بر الوالدين ●

ومن مكارم الأخلاق:

بر الوالدين اللذين قرن الله حقهما بحقه فقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[1]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[2]. فما تقرب المتقربون بعد توحيد الله بمثل بر الوالدين، وقرن شكرهما بشكره فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[3].

ويقول ﷺ: «رضى الرب في رضى الوالدين، وسخطه في سخطهما»[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» متفق عليه[5].

وقد أوصى النبي ﷺ بطاعة الوالدين، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بتسع: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قطّعت أو حرّقت، ولا تترك الصلاة المكتوبة متعمداً، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لها...» الحديث. وفي حديث آخر: «لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت وحرقت، أطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو

---

(١) سورة النساء: الآية (٣٦).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢٣).

(٣) سورة لقمان: الآية (١٤).

(٤) صحيح الجامع (٣٥٠١)، الطبراني في الكبير (١٣٦/٨)، الترمذي (١٨٩٩/٤)، ابن حبان (٣٢٨/١)، إحسان، الصحيحة (٥١٦)، الترغيب للمنذري (٣٦٧٢/٣)، الحاكم (١٥٢/٤).

(٥) البخاري (٥٢٧)، مسلم (٨٥).

لك...»، وفي حديث آخر: «... ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخل»، وفي حديث آخر: «ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك...» الحديث[(١)]. وقال ﷺ لرجل جاء إليه يستأذنه في الجهاد: «أحي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[(٢)].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان، فقال: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»[(٣)].

وأتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال ﷺ: «هل بقي من والديك أحد؟»، قال: أمي، قال: «قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد»[(٤)].

وعن معاوية بن جاهمة السلمي: أن جاهمة ﷺ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك، فقال: «هل لك من أم؟»، قال: نعم، قال: «الزمها فإن الجنة عند رجليها»[(٥)].

ويقول ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه»[(٦)].

وقرن رسول الله ﷺ عقوقهما بالشرك فقال: «الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين والغموس»[(٧)].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢٩٩ ـ ٣٠١)، الإرواء (١٠٢٦).

(٢) متفق عليه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) أبو داود (٢٥٢٨)، الترمذي (١٦٧١) المنذري في الترغيب (٣/ ٣٦٥٠).

(٤) الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٨)، أبو يعلى (٢٧٦٩) المنذري في الترغيب (٣/ ٣٦٥٣).

(٥) رواه أحمد (٥/ ١٦٩)، النسائي (٦/ ١١)، ابن ماجه (٢٧٨١)، الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٨)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٦٥٦).

(٦) أحمد (٣/ ٤٢٩)، ابن ماجه (٢٠٨٩ ـ ٣٦٦٣)، الترمذي (١٩٠٠)، ابن خبان (٤٢٦)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٦٥٧).

(٧) البخاري (٦٦٧٥).

وقد نهى الله عن كلمة (أف) فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1]، وكم من الناس من إذا أمر عليه والداه صدَّر كلامه بكلمة «أف»، ولو كان سيطيعهما. وما علم أن هذه الكلمة كبيرة من كبائر الذنوب إذا كان في حق الوالدين.

ويقول ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث[2] ورجلة النساء»[3]، وللخالة منزلة ومكانة خاصة فهي بمنزلة الأم، قال النبي ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»[4].

عن ابن عمر ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال: «هل لك من أم؟»، قال: لا، قال: «فهل لك من خالة؟»، قال: نعم، قال: «فبرها»[5]. رواه الترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم؛ إلا أنه قال: «هل لك والدان» بالتثنية، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

فيا فوز السعداء الطائعين، ويا خيبة العصاة المذنبين.

لقد ارتكب بعض المسلمين كبيرة من أكبر الكبائر ومن أفحش السيئات، وأكبر الذنوب التي يعجل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، لأنه نكران للجميل وكفران بالنعمة ومقابلة الإحسان بالإساءة. الكل في عدم ارتكاب هذه الجريمة مهما عمل وبذل مقصر مقصر. ومرتكبها ملعون ملعون رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه، ألا وإنها من أشراط الساعة وأماراتها وعلاماتها، نعم إن من أشراط الساعة أن يطيع الرجل زوجته ويعق أمه، ويبر صديقه ويجفو أباه، وهذا هو الشقاء هو الحرمان، نعم

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٢٣).
(٢) الذي يقر الخبث في أهله.
(٣) الحاكم (١/ ٧٢)، البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٠٧٩٩)، البيهقي في سننه (٢٢٦١٠)، والجامع للسيوطي (٣٥٢٩)، صحيح الجامع (١/ ٣٠٦٣).
(٤) البخاري (٤٢٥١، ٣٦٩٩).
(٥) رواه أحمد (٢/ ١٣)، الترمذي (١٩٠٤)، الحاكم (٤/ ١٥٥)، ابن حبان (٤٣٦)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٦٧٣).

هذا هو الجنون والجنون فنون، نعم لقد كثر عقوق الوالدين وأضيع برهما.

وإذا تأملنا في أحوال الناس اليوم وجدنا كثيراً منهم لا يبر بوالديه بل هو عاق، تجده يحسن إلى أصحابه ولا يمل الجلوس معهم، لكن لو يجلس إلى أبيه أو أمه ساعة من نهار لوجدته متململاً كأنما هو على الجمر، فهذا ليس ببار، بل البار من ينشرح صدره لأمه وأبيه ويخدمهما على أهداب عينيه ويحرص غاية الحرص على رضاهما بكل ما يستطيع.

وإليك بعض صور العقوق نسأل الله العافية.

• بعض الصور والقصص الواقعية الحاصلة في مجتمعاتنا •

إلى كل منصف.. ليكون شاهداً على تلك المآسي التي تسبب فيها أناسٌ نزعت من قلوبهم أدنى درجات الرحمة وانساقوا وراء الماديات، ونسوا قلوباً كانت تئن لمرضهم في صغرهم، وأجساداً كانت تنهك سهراً على راحتهم، ومشاعراً كانت تتدفق فرحاً لهم أو حزناً عليهم.

إلى كل بارٍ بوالديه.. ليزداد براً بهما، وليحزن على مصير هؤلاء الآباء والأمهات، وليحمد الله على أنه لم يتسبب في تعاسة والديه مثل هؤلاء العاقين الذين ينتظرهم عذاب أليم إن لم يكونوا قد تابوا.

إلى كل عاق لوالديه.. ليراجع نفسه ويحسن لوالديه قبل أن يعض أصابع الندم.

إلى كل زوجة ابن.. تعلم علم اليقين بأنها إن تسببت في عقوق زوجها لوالديه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فستكتوي بنار العقوق من أبنائها يوماً ما.

إلى كل طفل بلغ سن الرشد.. ليتذكر قبل أن يعق والديه بأن هذا دَينٌ، وسيأتي أبناؤه بعد زواجه ليردوا إليه هذا الدين ويذيقونه مثل ذلك العقوق.

إلى كل الآباء والأمهات.. لتكون هذه القصص والمآسي سلوى لهم وليعلموا إن كانوا قد ذاقوا مرارة العقوق من أبنائهم بأن هذا ما زرعته أيديهم يوم أن كانوا أبناء، فإن لم يكونوا قد آذوا والديهم بالعقوق، فلربما يكون ذلك ابتلاءً من الله تعالى، فليصبروا وليحتسبوا فإن لهم منزلة عند الله تعالى لن يبلغوها إلا بالصبر والاحتساب على ذلك.

وإليك أخي الكريم بعض الصور التي يندى لها الجبين مما يحزن القلب ويدمي الكبد ويحرق الفؤاد ويبكي العين.

البعض طرد أمه بعد سبها وشتمها، والبعض من الأمهات منذ أعياد عديدة وسنوات مديدة لم تر ابنها ولم يزرها في عيد ولا غيره.

وذاك الأب كبير السن على فراشه يبكي ويئن يقول سبع سنوات لم أر أحد أبنائي.

والبعض رفع على والده العصا ليضربه بل فعلاً ضربه ولده. والبعض الآخر هدد والده بالقتل وبالفعل قتله.

والبعض يستحي ويخجل أن يمشي مع والده في الشارع لكي لا ينزل من قدره عند الناس في ظنه.

والبعض يجلب السب لوالديه بتعديه على غيره بالسب أو الضرب أو القذف، ومن ثم يسب والد الشاب. وهذا من الكبائر، وفي الحديث: «من الكبائر شتم الرجل والديه»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»[١].

وبعض الأولاد ويا للأسف استحوذ الغرور عليهم فيستحيون أن يُنسبوا إلى آبائهم لاسيما إذا كانوا في مراكز اجتماعية مرموقة وبسطة من المال وسعة، وكان آباؤهم في مهن وضيعة وضيق في الرزق، ولا شك أن من انتسب إلى غير أبيه فهو ملعون ملعون.

---

(١) البخاري (٥٩٧٣)، مسلم (٩٠).

والبعض لا ينفق على والديه الفقيرين فيضطرهما إلى إقامة الدعوى عليه ليلزمه القاضي بالإنفاق عليهما.

والبعض من الشباب من أولئك الشباب الذين أثرت عليهم الحضارة الغربية، ذهب إلى إحدى دول الغرب لإكمال دراسته، ولكنه رجع منتكس الفطرة، رجع بالجحود والنكران وتناسى العطف والإحسان. استقبله أبوه وفرح به أشد الفرح، وذات يوم دعى أصحابه لزيارته في بيت والده، فاستقبلهم والد الشاب وأحسن ضيافتهم، وكان الوالد هو الذي يأتي بالمشروبات والمأكولات والولد غارق بالضحك والكلام مع أصحابه، وذهب الوالد إلى داخل البيت، فسأل أحد الحضور ذلك الولد من الذي استقبلنا وكرمنا؟! فقال الولد: هذا خادم عندنا!!!

قال الشيخ أحمد القطان:

أرسلت إلي أم باكية شاكية من قطيعة ولدها، تقول: لا يستمع إلى شكواي ولا يرحم بلواي، له إذن صاغية لزوجته، وزوجته تتلون إذا غاب عنها، فتصب جام غضبها على الأم وأذلتها الليل والنهار، وإذا جاء الولد أرخت النقاب على وجهها وتباكت وتلونت وذرفت الدموع وتقول: أمك قالت أمك فعلت، حتى اشتد النقاش أمام الولد بين الزوجة وبين الأم فما كان من الولد إلا أن رفع عقاله وضرب أمه أمام زوجته، ولا حول ولا قوة إلا بالله اهـ.

وآخر هجر أمه، ولاذ بزوجته، فقام بعض المصلحين لإصلاح ذات البين، قالوا: يا هذا اتق الله، صل أمك فإن الجنة تحت أقدام الأمهات، قال: لا، الجنة تحت أقدام الزوجات... قالوا: لم تقطعها يا هذا؟ قال: كي أربيها وأؤدبها!!

وآخر طلبت زوجته منه أن يخرج أمه من المنزل ويجعل لها غرفة في الملاحق الخارجية، فلم يتردد فوافقها، وعندما خيم الشتاء وحل البرد القارص، قالت تلك الأم: حاولت دخول المنزل ولكن الأبواب مغلقة في وجهي فلسعني البرد وساءت حالتي فحملني ابني زيادة على هذا، وكنت

أظن أنه سيذهب بي إلى إحدى المستشفيات وإذا به يلقي بي في دار الرعاية الاجتماعية ولم يسأل عني منذ ذلك الحين اهـ.

والبعض الآخر من العائلات إذا كبر أحد الوالدين تضجر منه وملوه وأخذوه إلى دار العجزة. هذه نهاية الوالدين المربين الساهرين الحبيبين.

والبعض قال لدار العجزة: هذا عجوز لا نعرفه رأيناه في الشارع اتركوه عندكم في دار العجزة. ـ يعني بالعجوز والده ـ.

وبعض من الناس يعقون والديهم لدرجة أن أحدهم يرمي والدته المسنة بجوار القمامة.. علماً بأنها بلغت من الضعف أنها لا تستطيع أن تقوم بخدمة نفسها فضلاً أن تدافع عن نفسها..

يقول عبد الملك القاسم: حدثني من أثق به عن ولد عاق لأمه أودعها في إحدى دور العجزة ولم يزرها إطلاقاً حتى تردت حالتها وعندها طلبت من مسؤول الدار الاتصال على ابنها لتراه وتقبله قبل أن تموت، وسبقتها الدموع وهي تنادي باسمه أن يحضر ولكن العاق العاصي ـ والعياذ بالله ـ رفض ذلك وادعى ضيق الوقت، فلما توفيت الأم تم الاتصال بالابن العاق فكان جوابه: أكملوا الإجراءات الرسمية وادفنوها في قبرها[١].

إنها قصة ينفطر لها الفؤاد أسى، وتذوب النفس لسماعها حسرة، ويكْلَم القلب القاسي ويلين.. وتسخن العين الجامدة وتذرف..



• [وقفة] •

أخي الحبيب[٢]:

مسكينة هذه المخلوقة التي تسمى (أُمّاً)، كم تقاسي من عنت وشدة في

(١) ففيهما فجاهد (٥٨).

(٢) باختصار من ففيهما فجاهد (لعبد الملك القاسم).

سبيل ولدها منذ استقراره نطفة في رحمها حتى انتهائه في بطنها، فيزداد نموه مع الأيام ويزداد ثقله، وتقاسي من مرارة الوحام والقيء والحب والكره ما لا يوصف. ثم يبدأ في الحركة فيجول في بطنها ليلاً ونهاراً يتجمع في ناحية منه فيضغط عليها كأنما يحاول تمزيق أحشائها، ثم يتحول إلى ناحية أخرى فيفعل بها كما فعل في الأولى. وهكذا لا يدعها تستريح لحظة، فإذا هدأ عن الحركة قلقت عليه، فأسرعت إلى القابلة تشكو أمرها فإذا اطمأنت على سلامته فرحت واستبشرت. ثم ينبت شعره فتقاسي منه ما لا يستطيع أحد وصفه، وينمو جسمه على حساب جسمها، ويدفع بطنها إلى التوسع، فتقاسي من ألم توسعه أكثر مما يقاسي أحدنا لو مط جلدة بطنه، ولا يدع الجنين أمه تهنأ في طعام أو تهدأ في نوم، وهو جزء عالق بها، ولكنه جزء مزعج مضن فهو منها كالرأس المصدوع، واليد المحمومة، والعين الرمدة، تؤلم في الحركة والسكون والنوم واليقظة، والمشي والجلوس، إلا أن ألمها يخف تدريجياً وألم الجنين يزيد تدريجياً. لو أن شاباً قوياً حمل (كيلو جراماً) في يده اليمنى وسار به فهل يستطيع المضي في السير والكيلو في يمناه من غير أن ينقله إلى يسراه؟ الجواب طبعاً: لا! وهذا مثال واقعي محسوس، فما بالك بهذه المرأة التي تحمل في بطنها عدة كيلوات لا تنقلها من طرف إلى طرف، ولا من كتف إلى كتف. أليست تقاسي في هذا الشأن ما لا يقاسيه أقوى الرجال، وهي الواهية الواهنة الضعيفة؟ فإذا حل بها الشهر التاسع، وأزفت ساعة خروجه إلى الدنيا، حلت الطامة فلا هو براغبٍ في البقاء في الأحشاء، ولا براغبٍ في الخروج إلى دار الفناء. وهنا الشدة التي لا تطاق، والمأزق الذي لا يسهل، والعقبة التي لا تذل. ثم لا يخرج في أكثر الأحيان إلا قسراً وإرغاماً، فيمزق اللحم أو يبقر البطن أو تسقط عليه آلة الضغط، والطبيب يقطع لحم أمه، والقابلة تجهد في سحبه. ثم يتسابق وروحها في الخروج، وكثيراً ما تسبق الروح فتموت الأم ويحيى هو، وإذا كان لها فسحة في الأجل أفاقت بعد هذه المعركة اللاهبة، حتى إذا ما رأته إلى جانبها تبسمت وقالت له (تقبرني).

يا الله ما هذا الحنان؟ وما هذا الإيثار؟ تقاسي منه ما تقاسي، ثم تتمنى أن تموت في حال حياته، وأن يقبرها بيديه؟

• قصص في البر •

تقول عائشة ﵂: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ أبر من كان في هذه الأمة بأمهما، عثمان بن عفان والحارث بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت هيبة وإجلالاً، وأما حارثة فإنه كان يطعمها بيده ولم يستفهمها كلاماً قط أمرته حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج ماذا قالت أمي.

وروي عن ابن عوف: أن أمه نادته فأجابها، فَعَلَا صوته على صوتها فأعتق رقبتين.

وقال سعد بن أبي بردة: سمعت أبي يحدث أنه شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول:

إنـي لـهـا بـعـيـرهـا الـمـذلـل   إن ذعـرت ركـابـهـا لـم أذعـر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها، قال: ولا بزفرة واحدة.

وقالوا عن زين العابدين علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان من سادات التابعين: كان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمه ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، فقال: إن أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبق إليه عينها فأكون قد عققتها.

تقول حفصة بنت سيرين: كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه تخشعاً لها...

وعن حميد قال: لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

قال مجاهد: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه.

وكان حيوة بن شريح: وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقته يعلم الناس فتقول له أمه: قم يا حيوة فألق الشعير للدجاج، فيقوم ويترك التعليم.

قيل لعمرو بن زيد: كيف كان بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا وهو خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ولا رقى سطحاً وأنا تحته.

وكان طلق بن حبيب من العباد والعلماء، وكان يقبل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالاً لها.

وعن ابن عون أن محمداً كان إذا كان عند أمه لو رآه رجل ظن أن به مرضاً من خفض كلامه عندها.

ودخل رجل على محمد بن سيرين عند أمه فقال: ما شأن محمد أيشتكي شيئاً؟ فقالوا: لا ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه.

قال محمد بن المنكدر: بات عمر يعني أخاه يصلي، وبت أغمز رِجل أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته.

• البر سلف البر دين وكذا العقوق •

أخي المسلم كما تزرع تحصد، وكما تدين تدان، ومن يزرع المعروف يحصد الشكر، ومن يزرع الشر يحصد الندامة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهل عاقبة الإساءة إلا الخسران، البر دَين البر سلف يا عبد الله، البر سلف يا مسكين يا غافل.

وكما قالت العامة: (البر أسلاف)، فإن البر مع كونه يحصل به البار على الثواب العظيم في الآخرة فإنه يجازى به في الدنيا، فالبر والعقوق كما يقول العوام: (أسلاف)، أقرض تستوف، إن قدمت البر لأبيك وأمك برك أولادك، وإن قدمت العقوق عقك أولادك، وهناك حكايات كثير من الناس

من بر والديه فبره أولاده، وكذلك في العقوق هناك حكايات تدل على أن الإنسان إذا عق أباه وأمه عقه أولاده[1].

مر أناس على رجل يضرب أباه في الشارع يضربه ضرباً مبرحاً، والناس يمنعونه والأب يقول دعوه دعوه دعوه، دعوه إني ضربت أبي في هذا الشارع والآن ابني يضربني في نفس الشارع والمكان، والبر سلف دعوه دعوه عسى الله أن يغفر لي.

ويذكر أن عاقاً كان يجر أباه برجله إلى الباب ليخرجه من الدار، فكان له ولد أعق منه وكان يجره برجله إلى الشارع وإذا بلغ به الباب قال: حسبك، ما كنت أجر أبي إلا إلى هذا المكان، فيقول له ولده: هذا جزاؤك والزائد صدقة مني عليك.

ورجل عنده ابن بار به جداً وفي يوم شديد الحر كان الأب يستنجي كادت أنثييه تحترق من الرمضاء الحامية إذا بالابن بكل لباقة يدخل يده فيحول دون ذلك حتى لا تصيبها الرمضاء، عندما لاحظ الأب ذلك شكر ابنه ودعا له ثم بكى وقال: يا بني جميع أعمالك معي عملتها أنا مع أبي وزدت أنت بالذي عملت الآن، أصلحك الله وأصلح حالك وحال عيالك.

أليس حقاً كما تدين تدان، والبر سلف والحياء دين ووفاء، فعامل أبويك كما تحب أن يعاملك به بنوك.

فاتق الله يا عبد الله وبر والديك حيين أو ميتين، ففي الحياة بطاعتهما والإحسان إليهما وعدم التأفف منهما ومصاحبتهما بالمعروف والتواضع لهما وقضاء حوائجهما والشفقة عليهما، ولا تكدر خاطرهما واسع في مرضاتهما. وامتثل أمرهما مهما وكيف وأين ومتى كان كائناً من كان أو يكون، ولو كانا مشركين إلا فيما يغضب الله ويسخطه فإنه لا طاعة لمخلوق كان كيف ومتى كان كائناً من كان في معصية الخالق، فلا تطع والديك في أي معصية قلّت

---

(١) مكارم الأخلاق (٤١).

وهانت واحرص على إقناعهما وإفهامهما ونصحهما وإرشادهما وإنقاذهما من المعاصي وتحبيبهما في الطاعات بالرفق واللين والهون.

وسئل سماحة الشيخ ابن باز: أبي يشرب الدخان وهو يأمرني أن أذهب إلى السوق لأشتري له دخاناً، فهل أطيعه؟ وإذا أطعته فهل علي إثم علماً أنني إذا لم أطعه قد تحصل مشكلة، أفيدوني جزاكم الله خيراً؟

فأجاب سماحته: الواجب على أبيك ترك الدخان لما فيه من المضار الكثيرة، وهو من الخبائث التي حرمها الله سبحانه في قوله ﷻ عن نبيه ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[1]، والله ﷻ إنما أحل لعباده الطيبات كما في هذه الآية الكريمة، وكما في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[2].

فأوضح سبحانه أنه لم يحل لعباده إلا الطيبات، بل هو من الخبائث الضارة، فالواجب على أبيك وعلى غيره ممن يتعاطى التدخين التوبة إلى الله سبحانه من ذلك، وعدم مجالسة من يتعاطاها؛ ولا يجوز لك أن تعينه في ذلك ولا في غيره من المعاصي، لقول الله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، وعليك وعلى إخوانك وأعمامك ـ إن كان لك إخوان وأعمام ـ مناصحته وتحذيره من تعاطيه، عملاً بالآية المذكورة وبقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[4].

وأسأل الله أن يوفق أباك للخير، وأن يعينه على التوبة من هذه المعصية وغيرها، وأن يجعلك من أعوانه على الخير، إنه سميع قريب اهـ.

ذكر الإمام ابن الجوزي في زاد المسير عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٢) سورة المائدة: الآية (٤).

(٣) سورة المائدة: الآية (٢).

(٤) أخرجه مسلم (١/٥٩).

﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾[1] فقال[2]: روى أبو عثمان النهدي عن سعد بن أبي وقاص قال: فيّ أنزلت هذه الآية. كنت رجلاً برًّا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد: ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أماه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل، فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية.

أكرر وأعيد وأقول: إن البر والتوقير والحب والتكريم للوالدين هو إرشادهما وترغيبهما في طاعة الله وتحذيرهما وإنقاذهما والأخذ على أيديهما عن معصية الله، فالبر إعانتهما على طاعة الله والعقوق إعانتهما على معصية الله ومداهنتهما ومجاملتهما والسكوت عليها إذا فعلا معصية، وإن أمراك بمعصية فلا تطعهما فإنه لا طاعة لمخلوق إنما الطاعة في المعروف، وعليك ببرهما وإكرامهما وإن كانا مشركين، ولكن ابذل كل جهد ووقت ونفس من أجل إنقاذهما، وادع لهما وألح وابك وتضرع إلى الله أن يهديهما إلى كل طاعة ويجنبهما كل معصية. انظر إليهما بنظر الشفقة والرحمة والمحبة، وباشر خدمتهما بنفسك ولا تفوضها إلى غيرك لأنه ليس بعار على الرجل أن يخدم والديه. ولا تؤم والدك في صلاتك وإن كنت أفقه منه، ولا تمش أمامه إلا أن يكون لإماطة الأذى عن طريقه، ولا تتصدر على والديك في المجلس، ولا تسبقهما في شيء من أكل أو شرب أو كلام أو غير ذلك. وعليك أن تقول لهما القول الحسن والقول الكريم: يا أبي يا أمي، ولا تدعهما بأسمائهما فهذا الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لأبيه مع

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٨).

(٢) باختصار من بر الوالدين (١٨/ ـ ١٩ ـ ٤٩ ـ ٥٠).

ما به من الكفر: يا أبت، ولم يزل يدعو له حتى تبين له بالموت أنه مات على الكفر فعندها تبرأ منه.

وتذلل لهما تذلل الرعية للأمير، وتذلل العبد للسيد، واجعل نفسك مع أبويك في خير ذلة في الأقوال والسكنات، لا ترفع صوتك فوق صوتيهما ولا تحد النظر إليهما، قالت السيدة عائشة الصدِّيقة: (ما بر والده من حدَّ النظر إليه)، لأن إحداد النظر إليهما من الغضب عليهما.

وفي الخلاصة: لا تدع والديك يخرجان من الدنيا إلا وهما راضيان عنك حتى يدخلاك الجنة، فإن خرجا وهما ساخطان عليك فمعنى ذلك أنك حرمت الجنة بعقوقهما. فالحذر الحذر من خروجك من الدنيا وهما ساخطين عليك.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: رغِمَ أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة[1].

إن بر الوالدين ليس مقصوراً على حياتهما فقط ولكن باستطاعة المسلم أن يقوم ببر والديه بعد موتهما، فمن كان مفرطاً أو غير مفرط في بر والديه في حياتهما فلا تزال الفرصة مهيأة لتعويض ما فاته من الأجر العظيم. وما عليه إلا أن يشمر عن ساعد الجد ويجتهد في برهما، وطرق بر الوالدين بعد موتهما كثيرة.

وفيما يلي نذكر هذه الطرق مجملة وهي:

١ ـ قضاء الدين عنهما. ٢ ـ الدعاء لهما.

٣ ـ إنفاذ وصيتهما. ٤ ـ الصدقة عنهما.

٥ ـ قضاء النذر عنهما. ٦ ـ قضاء الصوم عنهما.

---

(١) مسلم في صحيحه (٢٥٥١).

٧ ـ الحج عنهما. ٨ ـ أن لا يكون سبباً في سبِّهما.

٩ ـ بر أصدقائهما[١].

هذا عبد الله بن عمر الخطاب ﷺ يضرب لنا المثل الصالح في الولد الصالح، ويروي لنا عبد الله بن دينار ذلك فيقول: إن عبد الله بن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه»[٢].

١٠ ـ كما أنَّ من برهما زيارة قبرهما ـ دون شد الرحال ـ للرجال دون النساء، والسلام عليهما والدعاء لهما.

● موعظة ●

أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشَّين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبناً، وأطارت لأجلك وسناً، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وصيرت حجرها لك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين

---

(١) بر الوالدين لبابطين (٥٧٥٦) باختصار.

(٢) مسلم (٢٥٥٢).

حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهي جائعة، ورويت وهي قانعة. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان، وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، وهجرتها وما لها سواك نصير، وهذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾[1][2].

الويل كل الويل للعاق لوالديه، والخزي كل الخزي لمن ماتا غضبانين عليه. أف له هل جزاء المحسن إلا الإحسان إليه. أتبع الآن تفريطك في حقهما أنيناً وزفيراً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، كم آثراك بالشهوات على النفس، ولو غبت ساعة صارا في حبس حياتهما عندك بقايا شمس. قد راعياك طويلاً فارعهما قصيراً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾. كم ليلة سهرا معك إلى الفجر وداراك مداراة العاشق في الهجر. فإن مرضت أجريا دمعاً لم يجر، تالله لم يرضيا لتربيتك غير الكف والحجر سريراً، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ يعالجان أنجاسك، ويحبان بقاءك، وإذا لقيت منهما أذى شكوت شقاءك. ما تشتاقهما إذا غابا ويشتاقان لقاءك. كم جرعاك حلواً وجرعتهما مريراً، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، أتحسن الإساءة في مقابلة الإحسان؟ أما تأنف الإنسانية للإنسان؟ كيف تقابل حسن فعلهما بقبيح العصيان؟ ثم ترفع عليهما صوتاً جهيراً؟ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾. تصدّق عنهما إن كانا ميتين، وادع لهما واقض عنهما الدَّين، واستغفر لهما واستدم هاتين الكلمتين، وما تكلف إلا أمراً يسيراً، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

---

(١) سورة الحج: الآية (١٠).

(٢) باختصار من كتاب الكبائر للذهبي (٧١ ـ ٧٢).

أخي الشاب:

ها هما بجوارك قد دبَّ المشيب إليهما.. واحدودب منهما الظهر وارتعشت الأطراف.. لا يقومان إلا بصعوبة ولا يجلسان إلا بمشقة.. أنهكتهما الأمراض وزارتهما الأسقام والأوجاع. وهذا هو وقت البر الحقيقي بهما.

فعليك بوصية الله جل وعلا ووصية رسوله ﷺ، ألن جانبك لهما وارع حقهما.. وقبِّل رأسهما واسكب الدمعة لعل الله يرحمهما.. ويعفو عن تقصيرك في حقهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

يا من فرط وقصر وأضاع وأهمل حق والديه، من الآن الآن انطلق إليهما أضحكهما طيب خاطرهما استدرك تقصيرك تجاههما.

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قد نقلت إليهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما ... منحاك محض الود من نفسيهما
أنسيت عهدهما عشية أسكنا ... دار الفنا وسكنت في داريهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقاء ... لأتوك حبواً لا على قدميهما
كانا إذا ما أبصراك بعلة ... جزعا وشق ذاك عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا ... دمعيهما أسفاً على خديهما
بشراك لو قدمت فعلاً صالحاً ... وقضيت بعض الحق من حقيهما

❁ ❁ ❁

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة زفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى ... وآهاً لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقير[1]

فائدة:

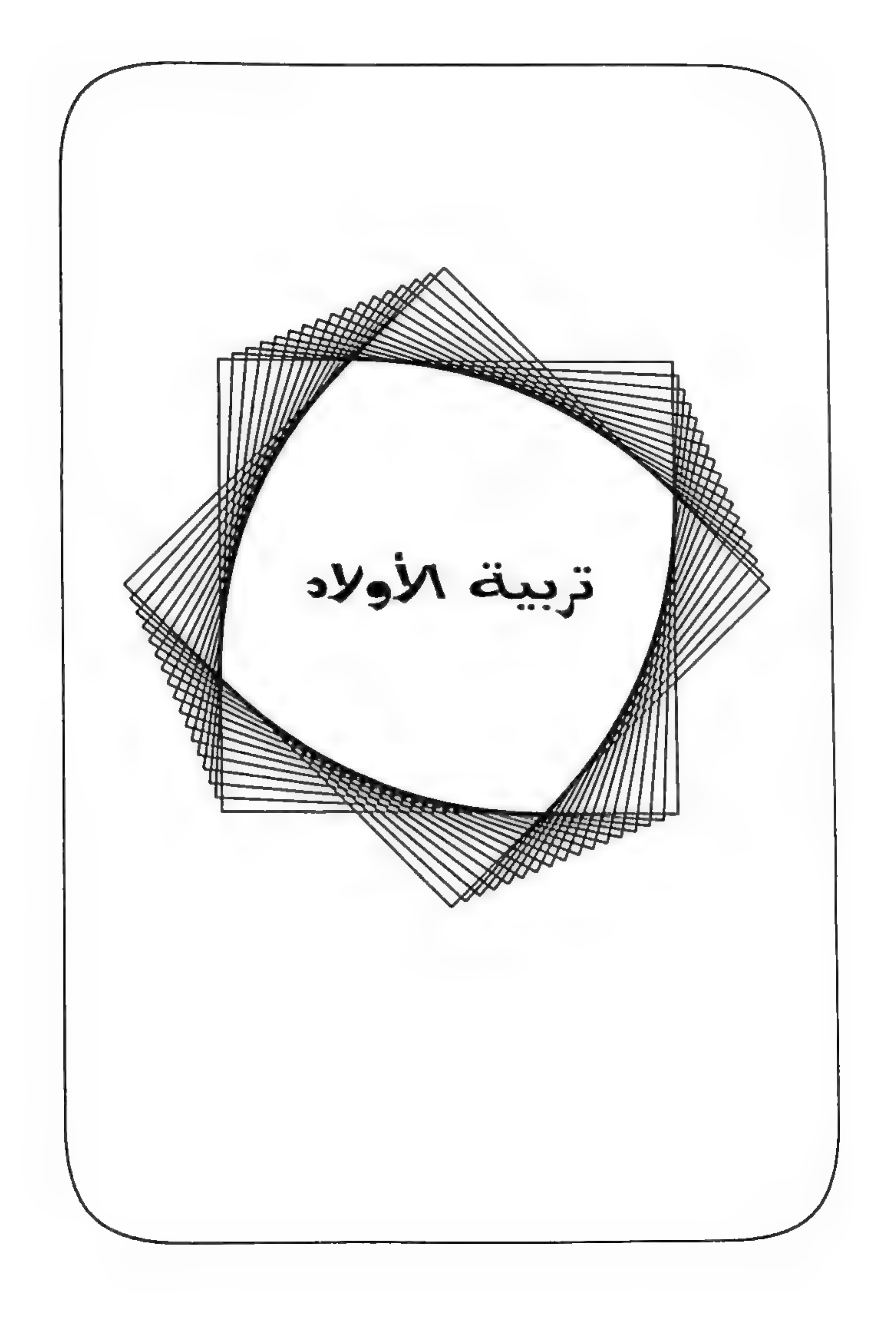
قصة علقمة وهو شاب حضره الموت ولم يقدر على كلمة الشهادة بسبب عقوقه لأمه فشفع النبي ﷺ إلى أمه فرضيت فقدر عليها. وهي قصة طويلة مشهورة. هذه القصة لم تثبت ولا يوجد لها إسناد صحيح فلا تحل روايتها ولا إذاعتها في مجلس أو خطبة أو تدوينها في كتاب أو سفر أو رسالة، ومن يفعل ذلك فإنه يعمل على نشر الأحاديث والقصص الواهية، وفي صحيح السنة وآي الكتاب في بابها ما يغني عنها[2].

وفي الختام: أفضل البر حينما يجد الإيذاء والسب من والديه فيقابلهما بالإحسان، وفي كبرهما فيبرهما، فهذا أحب البررة إلى الله، وأعظم ما يكون البر لأنه يريد ما عند الله ويمتثل أمر الله ولا يريد منهما جزاء ولا شكوراً، وأحوج ما يكون الوالدان إلى البر عندما ينتقلان من هذه الدار هما أحوج وأحوج إلى برك بعد وفاتهما، فابك على الأيام التي مضت وأنت عاق لهما وتذلل لهما واسألهما في هذه اللحظة العفو منهما واطرح بين أيديهما وقل قد أسأت إليكما وأنا تائب من الإساءة إليكما، فلا تدري فلعلك في هذه الساعة تفارق الدنيا فتكون قد بؤت بسوء الخاتمة، والغالب أن الله لا يوفق العاق إلى حسن الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة.



(١) الكبائر (٨٢).

(٢) انظر: قصص لا تثبت (٣/ ١٩ ـ ٣٩)، تذكرة (٢٠٢)، الكبائر (٤٦)، مسند البزار، الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦٩٢)؛ الزوائد (٨/ ١٣٤٣٣)، الموضوعات (٣/ ٨٧)، الزواجر (٢/ ١٢٥)م، مساوئ الأخلاق (٢٥١)م، الضعفاء (٣/ ٤٦١)، اللآلئ (٢/ ٢٩٦)، ترتيب (٨٧٤)، الفوائد (٦٨٦)، تنزيه (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، تحت المجهر (٢/ ٤٠)، لا تكذب عليه متعمداً (١٥٠ ـ ١٥١).



تربية الأولاد

● تربية الأولاد ●

وقبل أن نتكلم في هذا الموضوع أرى من الواجب أن نقدم له بهذه المقدمة:

فأقول: إن مما يدمي القلب ويمزق الكبد ويحرق الفؤاد أسًى وهماً وكمداً وغماً وحزناً قضايا ومصائب وبلايا ورزايا تشيب لهولها الذوائب، وتذوب لها القلوب، وتحار فيها العقول، وتنوء بحملها الجبال الراسيات، لماذا لماذا؟ لأن فيها ضياع وقضاء وهلاك للأمة بأسرها يتمثل في غدرنا وخيانتنا وإضاعتنا وإهمالنا وتفريطنا في فلذات الأكباد وقطع القلوب وأحشاء الفوائد، (أنبئني عن شباب أمة أنبئك عن مستقبلها) فكم من شاب ضاع وتاه وصار عاراً ووباء على أهله ومجتمعه، كم من شاب ذهب عقله وسقطت رجولته بالمسكرات والمخدِّرات[1] ومات منتحراً بها وبالأمراض الجنسية الشذوذية.

كم من شاب نشأ على الردى وتربى متنكراً للإسلام وقذفت به المبادئ الهدامة والمذاهب الزائفة إلى بحار الهلاك، فلا يقيم وزناً لمبدأ ولا عقيدة ولا توحيد ولا صلاة ولا مسجد ولا دين ولا عبودية لرب العالمين، وهو لا يعرف لماذا أتى؟ ولماذا يعيش؟ وأين يسير؟ ساهٍ لاهٍ ما عرف رسالته في الحياة.

كم من شاب تعلم الميوعة والتخنث والتأنث والزنى والخنا والفاحشة،

---

(١) (يا من استهان بالدخان والخمر والمخدرات أو مرافقة ومصاحبة من يشربها ويستعملها فقد رضي لنفسه بكشف العورات واستباحة المحرمات وانتهاك الأعراض، فهي أم الخبائث ومصدر الشرور، يسكر فيزني بأمه ويفعل في أخته ويخرج عار أمام الناس، مهبول مخبول مجنون يترنح وبما حرم الله يتبجح، يطلق زوجته ويخرب بيته بل يقتل نفسه ويقتل غيره ويفعل كل نكر وشر وخبث من هذا المنكر، فلا تستهن بكأس خمر أو حبة مخدِّرة.

كم من شاب صار عبداً ورقيقاً لشهوته التي أججها وأشعلها التلفاز والفيديو والدش والمجلة والرفقة السافلة والشلة الهالكة والأحداث والفِلم والمسلسل والغنا، فانتهك الأعراض ودنس الأخلاق وحارب الفضيلة ونشر الرذيلة وعاش في معاكسات ومغازلات وفجور وعهر ونكر حتى تطبّع وعاش حياته كلها في أوكار وقمامة هذه الفواحش والآثام، كم من شاب مقيد بالسلال والقيود وفي السجون.

وحوادث ومستشفيات أمل ودار أحداث وملاحظات واضطراب وانتحار.

من يرحم، من يعتق، من ينتشل، من يشفق، من ينقذ، من يأخذ على يد هؤلاء الشباب الهلكى الغرقى في بحار الهلاك والضياع؟ من يرحم شباباً غاص في بحار الشهوات وعاش هائماً خلف سراب من الملذات ولجَّ من المعاصي كل باب، وهتك منها كل حجاب، فصارت معيشته ضنكاً وأحاطت به الهموم من كل مكان، وعانى الإكتئاب والطيش والطفش والحيرة والتخبط والفراغ كثيراً وزمناً طويلاً.

هل تنفع الآهات وتجدي الحسرات بعد أن رأوا أفلاذ أكبادهم وهم يتخبطون في أوحال الخبائث ويتعثرون في مستنقعات الفساد.

أين القلوب التي تحترق على مثل هؤلاء الشباب؟ أين النفوس التي تغتم وتحزن وتحترق وتهتم بهؤلاء الشباب؟ من يدلهم على طريق السعادة والفوز والراحة والنجاة، فهم ينادون ويصرحون ويصرخون ويصيحون وينشدون من ينقذهم مما هم فيه، يبحثون عن الحل والعلاج والدواء والمخرج.

واخزياه وافضيحتاه واحسرتاه، مأساتنا مأساة، أي حال نحن فيه أي عار نحن فيه، أي شؤم نحن فيه، رحماك رحماك رحماك يا رب رحماك، لطفاً يا رب وعفواً، يا رب ستراً وتداركاً وغفراً.

متى نستفيق، متى نصحوا، متى نستيقظ، إذا نفخ في الصور؟

بأي وجه نلقى الله، وبأي كلام نجيب الله، وبأي عذر نقابل الله؟

واعجباه وادهشتاه واحسرتاه على ما فرطنا في جنب شباب الأمة وشابَّاتها.

أما سمعتم قصص المهملين وأخبار المفرطين في الدنيا، جنوا الخزي والعار ولعذاب الآخرة أخزى وأشد، وأبقى وأنكى وأشقى، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[1]، وما ربك بظلام للعبيد. هذا هو واقع أمتنا

---

(١) وهذه كلها من آثار الذنوب وعواقبها للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.
فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.
ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية.
وقال الشافعي ﷺ:
شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاص
ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه وبينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة. وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة «وما لجرح بميت إيلام»، فلو لم تترك الذنوب إلا حذراً من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حرياً بتركها.
وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه، فقال له:
إذا كنت قد أوحشتك الذنوب ... فدعها إذا شئت واستأنس
وليس على القلب أمر من وحشة الذنب على المذنب، فالله المستعان.
ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان، بقدر ما بعد من حزب الرحمٰن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم، فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشاً من نفسه.
وقال بعض السلف: إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.
ومنها تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا ويجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً، فمن عطل التقوى جعل له من أمره=

= عسراً، ويالله العجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه، وهو لا يعلم من أين أتي؟

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقية، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا دلهم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل واحد.

قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق. والمعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها: اعملني أيضاً، فإذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرّا، فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات.

وكذلك كانت السيئات أيضاً، حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة، وملكات ثابتة، فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحسن من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه. ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه، حتى يعاودها، حتى إن كثيراً من الفسّاق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إلا لما يجد من الألم بمفارقتها. كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانئ حيث يقول:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال آخر:

وكانت دوائي وهي دائي بعينه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله ﷺ برحمته عليه الملائكة تؤزّه إليها أزّاً، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها. ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه إليها أزاً.

ومنها: أن غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنوبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم.

قال أبو هريرة: إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية =

المرير، هذا ما وصلت إليه، أما يكفينا حسرة وإيلاماً. هذا ما جنيناه نحن على أنفسنا ومجتمعاتنا، هذا ما أردناه على أنفسنا.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولعل البعض يقول: لقد كثرت الفتن والشرور وفسد الزمان والشر عمَّ والبلاء طم واتسع الخرق على الراقع، فلا يجد واعظ ولا سامع، ما عسانا أن نفعل؟ ما هو العلاج والحل؟ ما هو الدواء لهذا؟ فأقول: إن الحل بيد كل مسلم ومسلمة، وإن المسؤولية تقع على كاهل الجميع، وكل منا من ذكر وأنثى على ثغر من ثغور الإسلام، فحذاري حذاري أن يؤتى الإسلام من قبله، ويكمن ذلك ويكمل في واجبين:

الواجب الأول: تربية الأولاد، **والواجب الثاني**: الرحمة والرحمة بالأمة

= ابن آدم. وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنعنا القطر بذنوب بني آدم. فلا يكفيه عقاب ذنبه، حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له.
ومنها: إن المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا في طاعته. وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك. وقال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.
وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

ومنها: أن المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نوراً، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.
وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، وتحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره وعلى بساطه، وملائكته شهود عليه ناظرون إليه. وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

بدعوتها إلى الله، بنصحها بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، بالأخذ على يد الظالم. وبإذن الله إن قمنا بهذين الواجبين فسيحصل العلاج الناجع والحل والدواء النافع. وسنبدأ بذكر الواجب الأول ونرجئ الواجب الثاني آخر الرسالة بإذن الله تبارك وتعالى.

• تربية الأولاد •

تربية الأولاد: هو القيام على الأولاد بما يؤدبهم ويصلحهم، ويتحقق ذلك بتعليمهم ما يلزم من أمور الدين والدنيا وتأديبهم بآداب وأخلاق الإسلام وتكوين شخصية إسلامية[1].

إن نعم الله ﷻ لا تحصى وعطاياه لا تعد ولا تستقصى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[2]، ومن تلك النعم العظيمة وأجلِّها ـ بعد نعمة الإيمان ـ نعمة الأولاد، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]، ولا يعرف عظم هذه النعمة إلا من حُرمها، فتراه ينفق ماله ووقته في سبيل البحث عن علاج لما أصابه. ترى من حرم الولد يعيش في حسرة وهم هو مع زوجته يتمنيان الولد فلا يرزقانه، تمضي أعمارهما وتشيب رؤوسهما وأمنيتهما الولد الذي يحيي ذكرهما ويقوم بهما حالة كبرهما وعجزهما[4] فلا يرزقانه.

---

(١) (فائدة: إذا أطلق الولد شمل الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء (١١).

(٢) سورة النحل: الآية (٥٣).

(٣) سورة الكهف: الآية (٤٦).

(٤) هذا إذا كبر وبلغ، أما إذا مات قبل البلوغ فيشفع لوالديه كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي حسان قال: توفي ابنان لي، فقلت لأبي هريرة: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً تحدثناه يطيب أنفسنا عن موتانا، قال: نعم: «صغارهم دعاميص الجنة، يلقى أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بناحية ثوبه، أو يده كما آخذ بصنفة ثوبك هذا، فلا يفارقه حتى يدخله الله وأباه الجنة».
وقال: حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ=

نعم الإله على العباد كثيرة أجلها نجابة الأولاد

نعم إن أولادنا هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، وفلذات أكبادنا، وأحشاء أفئدتنا، وقطع قلوبنا.

إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لا متنعت عيني عن الغمض

إن أولادنا هم قرة أعيننا في حياتنا وبهجتنا في عمرنا وأنسنا في عيشنا، بهم تحلو الحياة وعليهم تعلق الآمال، وببركتهم يستجلب الرزق وتنزل الرحمة ويضاعف الأجر.

= ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: تحبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ فقال: ما فعل ابن فلان؟ قالوا: يا رسول الله، مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: أما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة، إلا وجدته ينتظرك عليه؟ فقال رجل: أله خاصة يا رسول الله أو لكلنا: قال: بل لكلكم.

قال: وحدثنا أحمد عبد ربه بن بارق الحنفي، حدثنا أبو زيد الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول، سمعت رسول الله ﷺ يقول:(من كان له فرطان من أمتي دخل الجنة، فقالت عائشة ﵂: بأبي أنت وأمي، فمن كان له فرط؟ فقال: ومن كان له فرط يا موفقه. قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال للنساء: ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد، إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنان؟ فقال ﷺ: واثنان. وفي صحيح مسلم في حديث أبي هريرة نحوه، ورواه عن النبي ﷺ ابن مسعود وأبو برزة الأسلمي. وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، فتمسه النار إلا تحلة القسم».

وفي صحيح البخاري من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الناس من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: أتت امرأة بصبي لها، فقالت: يا نبي الله ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة، فقال: دفنت ثلاثة؟ قالت: نعم. قال لها: لقد احتظرت بحظار شديد من النار»، فالولد إنه إن عاش بعد أبويه نفعهما، وإن مات قبلهما نفعهما.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات إنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: «صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

بيد أن هذا كله منوط بعد توفيق الله بحسن تربيتهم وتنشئتهم النشأة الصالحة التي تجعل منهم عناصر خير وعوامل بر ومصادر سعادة، فإن توفر للإنسان في أولاده هذا كانوا بحق زينة الحياة الدنيا كما وصفهم الله.

أما إذا غفل الوالدان عن تربية الأولاد وتوجيههم الوجهة الصالحة كانوا وباءً وبلاءً ونكداً وشقاء ووراءه السهر بالليل والتعب بالنهار إلا من رحم ربي.

فمن رزق الصلاح في الأولاد فهذه هي النعمة العظيمة، وهي أمانة عهد الله بها إلى الوالدين ومسؤولية كلف الله الوالدين بحفظها ورعايتها وعنها يسألان يوم القيامة أحفظا أم ضيَّعا؟ وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بالدين وحسن الخلق وإلا كانت وبالاً على الوالدين في الدنيا والآخرة. فلا بد من تقوى الله فيهم.

فهلَّا حافظت على نعمة الأولاد وشكرت الله عليها وقمت بواجبك نحوها ومسؤوليتك تجاهها ويا لها من مسؤولية كبرى، مسؤولية ألقاها الله في أعناق الوالدين من فوق سبع سماوات فقال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[١].

قال قتادة: تأمروهم بطاعة الله وتنهوهم عن معصية الله، وأن تقوموا عليهم بأمر الله وتأمروهم به. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[٢]، ويقول ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[٣].

ويقول ﷺ: «الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته»[٤]، ووصانا

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٩١٧٤)، كبرى، ابن حبان (٤٤٩٢)، البيهقي في «الشعب» (٦/ ٨٥٧٤)، صحيح الجامع (١/ ١٧٧٤).

(٣) البخاري (٧١٥٠)، مسلم (١٤٢).

(٤) البخاري (٢/ ٣١٧)، مسلم (١٨٢٩).

وأوصانا ربنا تبارك وتعالى بأولادنا خيراً، قال تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾[١]، نعم إنها وصية في أعناقنا ومسؤولية كبرى سيسألنا الله عنها، فهلَّا حافظنا على هذه الوصية.

يقول ﷺ: «وإن لولدك عليك حقاً»[٢]، فأين حق أولادك عليك يا من ضيَّع حق أولاده وأهملهم. إن الله سيسألك عن رعيتك، عن أطفالك، عن بناتك، عن بيتك، عن مستقبل هذا البيت وكيف ربيته وكيف رعيته؟

والله أمرنا بالأمانة وألزمنا بها ونهانا عن الخيانة وحذرنا منها، فقال سبحانه: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾[٤]، فالأولاد أمانة الله عند آبائهم وفي صحائفهم يكتب ما يفعلون وإنهم عنهم عند الله لمسؤولون.

يقول ابن القيم رحمه الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سُدًى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً.

○ إن تربية الأولاد وتعليمهم لأمر عظيم له شأنه الأكبر وخطره الجسيم في حياتنا الدينية والاجتماعية والخلقية، فهم مستقبل الأمة ودعائمها التي سيقوم عليها وعليهم وحدهم يتوقف مصير الأمة. وإن أمامهم اليوم لخطر عظيم وغزو هائل خطير متستر ببعض الثقافات من حداثة وعلمنة وعولمة وخكارة يسمونها حضارة وتدهور يسمونه تطور لهدم عقائد الشباب وفساد أخلاقهم وانتزاع روح الغيرة والفضيلة والعفاف من نفوسهم ولا حول ولا

---

(١) سورة النساء: الآية (١١).

(٢) البخاري (٢٥٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢٧).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

قوة إلا بالله، إن مشكلتهم اليوم لهي أم المشاكل، فوالله وبالله وتالله لأن نخسر الأموال والأنفس أيسر وأهون من أن نخسر روح نشأتنا المعنوية وعقائدهم السلفية، فيجب أن نسعى في حياطتهم بسياج الدين وأن نغرس ونربي في نفوسهم أولاً وقبل كل شيء الإسلام وتعاليمه وآدابه قولاً وعملاً واعتقاداً حتى لا يعرفوا إلا بصحة العقيدة وسلامة المبدأ ونزاهة العرض والمحافظة على شعائر الدين وشرائعه[1]، وهذه هي التربية الإسلامية وما عداها فلا.

وهي مسؤولية. نعم.. التربية مسؤولية، وأيُّ مسؤولية؟!، أخي الأب.. أختي الأم.. هل وقف كلُ منّا أمام هذه الحقيقة العظيمة: (الرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم)[2]؟ وهل يستشعر كل منّا هذه المسؤولية الجسيمة؟ لا بدَّ من الوقوف بين يدي الله ﷻ ولا بدَّ من السؤال، فهل أعددنا للسؤال جواباً؟ ثم هل أعددنا للجواب صواباً؟ وهنا تتضح المسؤولية.

كيف نحن وتربية الأبناء؟ على أيِّ نشأةٍ نشَّأناهم؟ وبأيِّ تربيةٍ ربَّيناهم؟ ولأيِّ غاية أعددناهم؟

لا بد من مراجعة حساباتنا في تربية أبنائنا، وتصحيح المسار، والعودة بالتربية إلى نهجها الأصيل، وأسلوبها الجميل المستمد من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلينا أن نضع مقاييس الطاعة والمعصية، والحلال والحرام، والخطأ والصواب، والمعروف والمنكر، وما يوافق روح الإسلام وما يضادها في تربيتنا لأبنائنا، إلى جانب مقاييس العاطفة، والنظر إلى عنصري الزمان والمكان، وتغيرات الأحوال.

---

(١) هل تذكرت أن شبابنا وشاباتنا مستهدفون بعداء مرير ومرير وكيد طويل؟ اقرأ إن شئت (قادة الغرب يقولون (:دمروا الإسلام وأبيدوا أهله)، لتقف على طرف من هذا العداء، هلّا فكرت.

(٢) تقدم تخريجه.

ليس صحيحاً ألّا نفهم من التربية إلّا تغذية البدن، ورعاية الصحة، أو حمل العصا، وإصدار الأوامر والنواهي، بعيداً عن الضوابط الشرعية، والسنن المرعية.

فلنتق الله في هذه الفِطَر السليمة، والأنفس الزكية، وقد ولّانا الله أمرها، ولنتذكر دائماً وأبداً أننا مسؤولون[1]!

• من وسائل التربية[2] •

أقول: الأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله ﷻ في قلوبهم وغرسها في نفوسهم وتعاهدها. ومن آلاء الله علينا أن المولود يولد على دين الإسلام دين الفطرة كما دل على ذلك الحديث فلا يحتاج إلا إلى رعايته ومداومة العناية به حتى لا ينحرف ويضل. فالطفل أول ما تنفتح عيناه تنفتح على أبويه وإنهما في نظره كل شيء حتى أنه ليقلدهما في المدخل والمخرج وفي الحركات والسكنات، حتى يشبه الولد أباه وتشبه البنت أمها. فالأم والأب لهم دور عظيم وسبب كبير في إبقائه على فطرته أو على انحرافه عنها، فالصبي أمانة عند والديه إن علّماه الخير وربّوه ونشّآه عليه سعدا بصلاحه وإن فرطا وأهملا وأضاعا شَقِيَ وهلك وضاع.

وإن الأب والأم في عبادة لله ﷻ حين التربية والإنفاق والسهر والمتابعة والتعليم بل حتى في إدخال السرور عليهم وممازحتهم إذا احتسبوا ذلك، فالأصلُ تَعبد الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[3].

---

(١) من تحفة الآباء بما ورد في تربية الأبناء ليحيى سعيد آل شلوان (٧، ٨) بتصرف يسير.

(٢) نقل طرف منها من رسالة ٤٠ درساً لمن أدرك رمضان بتصرف واختصار (١٣٦ - ١٤٠). وانظر: تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم رحمه الله، وكذا آداب استقبال المولود في الإسلام لأخينا الفاضل يوسف العريفي حفظه الله.

(٣) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

والنفقة عليهم عبادة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها فهي له صدقة»[1].

○ **ولا بد من الإخلاص لله** ﷻ في أمر التربية، فإن أراد المربي الدنيا فقد انثلم إخلاصه. وترى البعض يحرص على تعليم أبنائه لكي يحوزوا المناصب والشهادات ولا شك أن الخير في تعليمهم ابتغاء ثواب الله ﷻ وما عداه فهو تابع له، ولهذا يركز من يريد الدنيا على التعليم الدنيوي المجرد من خدمة الإسلام والمسلمين، والآخر الموفق يسعى لكسب شهادة في الطب مثلاً لمداواة المسلمين، ولكي نستغني عن الأطباء الكفار، فهذا له أجر وذاك ليس له أجر، والنية في هذا الأمر عظيمة وهي من أسباب صلاح الأبناء وحسن تربيتهم، فما كان لله فهو ينمو ويكبر، وما كان للدنيا فهو يقل ويضمحل، وبعض من الآباء يبر والديه لكي يراه الصغار فيعاملونه إذا كبر وشاخ بمثل ذلك، وهذا فيه حب الدنيا وحظوظ النفس، ولكن المؤمن يخلص لله في بر والديه رغبةً فيما عند الله ﷻ وطاعة لأمره في بر الوالدين لا للدنيا والمعاملة بالمثل.

فعليك يا عبد الله باستصحاب النية في جميع أمورك التربوية حتى تؤجر، الزم النية في تعليمهم وفي النفقة عليهم وفي إدخال السرور عليهم في ممازحتهم وعوِّد نفسك على ذلك.

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ ينصح ابنه عبد الله ﷺ قبل سفره فقال بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله:

أما بعد: فاعلم أن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه ـ أي فعل خيراً ـ جزاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى عمار قلبك، وجلاء بصرك وبصيرتك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير فيمن لا خشية له، ولا جميل لمن لا خلق له.

---

(١) البخاري (٩/٤٢٧)، مسلم (١٠٠٢).

○ **الدعاء**: فالدعاء هو العبادة وقد دعا الأنبياء والمرسلون لأبنائهم وزوجاتهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[1]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[2]. وغيرها في القرآن كثير.

وكم من دعوة اهتدى بسببها ضال، وكم من دعوة اختصرت مسافات التربية، وتحرَّ أوقات الإجابة وابتعد عن موانعها وتضرع إلى الله ﷻ وانكسر بين يديه أن يهدي ذريتك وأن يجنبها الشيطان، فأنت ضعيف بجهدك قليل بعلمك.

أقول: ومع الأسف أن بعض الآباء والأمهات يدعون على أبنائهم لأقل الأسباب، وقد يدعو أحدهما عليه لتقصير أو تمرد أو غير ذلك وقد نهى ﷺ عن الدعاء على الأولاد، فالدعوات كالحجارة منها ما يصيب ومنها ما يخطئ، ولهذا نهانا ﷺ عن الدعاء على أولادنا لأنه ربما تصادف الدعوة ساعة استجابة فنندم على ما قلنا، يقول ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[3]. فعلى الوالدين أن يدعوا لأولادهما وأن يحذروا من الدعاء على أولادهما لأن أول من يخسرهم هما الوالدان. ورد عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً جاء يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان قد دعا عليه أم لا؟ فأجاب الوالد بأنه قد دعا عليه، فقال له عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته بدعائك عليه.

○ **عليك بالمال الحلال** وتجنب الشبه ولا تقع في الحرام، فإنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: «كل جسد نبت من سُحتٍ النار أولى به»[4]، ولا

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٧٤).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٣٥).

(٣) مسلم الزهد (٧٤)، أبو داود الوتر (٢٧).

(٤) صحيح الجامع (٢/٤٥١٩).

يظن الأب أو الأم أن الحرام في الربا[1] والسرقة والرشوة فحسب بل هي في إضاعة وقت العمل وإدخال مال حرام دون مقابل. فكثير من الموظفين والمدرسين يتهاونون في أعمالهم ويتأخرون عن مواعيد عملهم بضع دقائق لو جمعت إذا بها ساعات تضيع في الحديث مع الزملاء وقراءة المجلات والجرائد والمكالمات الهاتفية، وهذه الأموال التي يأخذها مقابل هذه الأوقات سحت، فاحذر أخي المسلم أن يدخل جوفك وجوف ذريتك مال حرام، وتحر الحلال على قلته فإن فيه بركة عظيمة.

واعلم أن المال الحرام ما خالط شيئاً من جسد أو مال أو زواج أو ولد أو مشروع أو غيره إلا محقت بركة ما خالطه وذهب خيره وصار مشؤوماً غير مبارك، عديم الخير والتوفيق والنفع، نسأل الله السلامة. ومن فساد التربية إطعام الأولاد من حرام، فأمثال هؤلاء الأولاد يكونون أكثر عقوقاً وجحوداً لآبائهم، ومن أراد أن يصلح الله له أولاده فليطعمهم من حلال، فالكسب الحلال سبب لاستجابة الدعاء والبركة في الأولاد كما دلت على ذلك الأحاديث.

---

(١) وبخاصة الربا، الربا وما أدراك ما خُبْثُ وشؤم الربا، ففي الحديث: (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية)، صحيح الجامع (١/ ٣٣٧٥)، وفي الحديث الآخر: (الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه) صحيح الجامع (١/ ٣٥٣٩)، حتى حضور مجلس يعقد فيه الربا يحرم، لأنه إقرار ورضا، وفي الحديث: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء)، صحيح الجامع (٢/ ٥٠٩٠)، يعني في الإثم، وآكل الربا مجرب عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله، فلا بد لك أخي المسلم أن تطهر مالك من الربا أولاً قبل التفكير في إخراج الزكاة، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فلا تتعامل مع البنوك الربوية، وإن وضعت مالك في البنك ولم تأخذ فائدة فإنك تزيد من السيولة الربوية وتتعاون معها وتقويها وتفيدها بمجرد إيداعك لمالك عندهم.

والأمر أخطر عندما تساهم في تأسيس بنك ربوي حتى ولو مجرد شراء للأسهم ثم بيعها بغية الربح، وفي الحلال ما يغني عن الحرام، كما أنه لا بد من تطهير المال من الحرام بشتى أنواعه لئلا يؤول إلى المسلم ريال واحد عن طريق غير مشروع كالرشوة وشهادة الزور والكذب والأيمان الفاجرة أو الظلم أو الهدية بسبب المركز الوظيفي أو التحايل على الكسب غير المشروع.

○ **القدوة الصالحة:** فلا بد أن يكون الأب والأم قدوة صالحة ومؤمنة بالله مراقبة له. لأن الولد يقلد ويحاكي ويسير على طريق والديه.

لسان حاله يقول:

نبني كما كانت آباؤنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أقول: وإذا كان الوالد معوجاً فعلى ابنه السلام، ولله در القائل:

مشى الطاووس يوماً باعوجاج ... فقلَّد شكل مشيته بنوه

فقال علام تختالون؟ قالوا ... بدأت به ونحن مقلِّدوه

فخالف سيرك المعوج واعدل ... فإنا إن عدلت معدِّلوه

أما تدري أبانا كل فرع ... يجاري بالخطى من أدبوه

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوَّده أبوه

فالقدوة الحسنة من ضروريات التربية، فكيف يحرص ابنك على الصلاة وهو يراك تضيعها؟ وكيف يبتعد عن الأغاني[1] والمجون وهو يرى

---

(١) (الاستماع إلى آلات اللهو والطرب والأغاني، والنبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» رواه البخاري، والمعازف: اسم لكل ما يعزف به كالطنبور والزمر والشبابة وغير ذلك من آلات الملاهي، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقسم بالله أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هو الغناء، وعن أنس مرفوعاً: «ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف» رواه الترمذي، وقد نهى ﷺ عن الكوبة ـ هي الطبل ـ ووصف المزمار بأنه صوت أحمق فاجر، وآلات اللهو والعزف الحديثة تدخل في حديث النبي ﷺ في النهي عن المعازف، بل إنها في الطرب والنشوة والتأثير أكبر بكثير من الآلات القديمة، بل إن نشوة الموسيقى وسكرها أعظم من سكر الخمر، ولا شك أن التحريم يشتد والذنب يعظم إذا رافق الموسيقى غناء وأصوات القينات ـ وهن المغنيات والمطربات ـ وتتفاقم المصيبة ويعظم الشر والنكر عندما تكون كلمات الأغاني عشقاً وحباً وغراماً ووصفاً للمحاسن، ولذا ذكر العلماء أن الغناء بريد الزنا وأنه ينبت النفاق في القلب، وعلى وجه العموم صار موضوع الأغاني والموسيقى من أعظم الفتن في هذا الزمان).

والدته ملازمة لسماعها؟ ثم في صلاحك حفظ لهم في حياتك وبعد مماتك وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1]، فصلاح الأب هذا عمَّ أبناءه بعد موته بسنوات. وليكن لك أجر غرس الإسلام في نفس طفلك وحرصه على أداء شعائره، فإن (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده)[2] الحديث. ومما بلينا به غياب القدوة وسيأتي بإذن الله بيانه في موضعه.

وخلاصة التربية بالقدوة الحسنة: أن تكون لمن تحت يدك قدوة حسنة في تعبدك لربك واستسلامك له وإيمانك به والتزامك بهذا المنهج الرباني في مظهرك ومخبرك، في سرك وعلانيتك، في غضبك ورضاك وفي سائر أحوالك.

○ **الصبر**: غفل عنه البعض وهو من أهم عوامل نجاح التربية فعليك به، واصبر على صراخ الصغير ولا تغضب، واصبر على مرضه واحتسب، واصبر على توجيههم ولا تمل، واصبر على مسافات بعيدة لتذهب بابنك لمدرسة ناجحة وفيها المدرسون الأكفاء، واصبر على أن تنتظر ابنك ليخرج معك للصلاة، واصبر على أن تجلس بعد العصر في المسجد ليحفظ معك ابنك، وأبشر فإنك في طريق جهاد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3]، وأنت مأمور بالتربية أما الهداية فهي من الله ﷻ، فابذل السبب واصبر وسترى من الخير ما يسرك ويؤانس طريقك.

○ **المعاملة الحسنة**[4]: إن الأب المدرك هو الذي يعرف نفسيات أولاده فيراعي مستواهم العقلي والزمني ويدنو منهم ويتحبب إليهم بشتى

---

(١) سورة الكهف: الآية (٨٢).

(٢) مسلم (١٠١٧).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).

(٤) بتصرف واختصار من: (استئناس الخطيب والواعظ بالخطب والمواعظ)، لمحمد السعودي (١١٧ ـ ١١٩).

الوسائل ويمازحهم ويسمعهم من كلمات المحبة والإيثار ما تبتهج به نفوسهم فإذا هم يحبونه ويقبلون على سماع توجيهاته، وقد يظن بعض الناس أن تَبَسُّطَ الوالد مع أولاده ومخالطته إياهم يخل بأبوته في أعينهم ويزري بمقامه التربوي في نظرهم، وهذا خطأ محض، فالخلق الكريم مع الأولاد هو الأسلوب التربوي الناجح. أما الجفاف في المعاملة والفظاظة في المخاطبة فإنها تسبب النفرة والعداوة والبغضاء.

إن الولد إذا عومل من قبل أبويه أو معلميه المعاملة القاسية وأدب من قبلهم بالضرب الشديد والتوبيخ القارع وكان محل التحقير والازدراء والتشهير والسخرية فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه، وإن ظاهرة الخوف والإنكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله، وقد يؤول به الأمر نتيجة للضيق الذي يحس به إلى أن يعمل عملاً يضر به أو بأبويه أو بغيرهما وقد يترك البيت نهائياً مما يعانيه من القسوة والمعاملة النكدة.

فلا عجب أن يُرى الولد والحالة هذه منحرفاً ومنجرفاً نحو الشر وأهله إلا من رحم الله.

إن الأب إذا سلك مع ولده المعاملة الجافة الفظة فقد جنى على ولده وسيرى حتماً انحرافه أو عقوقه أو تمرده إن لم يكتب الله له الصلاح، لأنه هو الذي غرس في نفسه وهو صغير بذر أسباب العقوق.

جاء رجل إلى عمر ﷺ يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنَّبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين! أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (أي القرآن)، قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إليَّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

وذكر أن معاوية ﷺ غضب على ابنه يزيد مرة فأرسل إلى الأحنف بن قيس عليهما رحمة الله ليسأله عن رأيه في البنين فقال: (هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم فإنهم يمنحونك ودهم ويحبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك) اهـ.

فقال معاوية: يا غلام إذا رأيت يزيد فأقرئه السلام واحمل إليه مائتي ألف درهم.

إذا طلب منك أبناؤك شيئاً تستطيعه ولا يشق عليك فاعطهم إياه وحقق طلبهم ولا يكون دأبك الرفض دائماً، وهذا مشروط بأمرين:

الأول: ألا يكون معصية لله تعالى، كالسفر إلى البلاد الكافرة والإباحية والتي يكثر فيها المنكرات.

الثاني: ألا يتسبب في حصول مفسدة، وذلك كشراء السيارة للشباب الذي لا يقدر خطورتها ولا ضررها، ولا المفاسد الحاصلة من التجول فيها لغير حاجة أو شراؤها للشباب الذي يستعملها في معصية الله بأي صورة من الصور.

إن تأديب الأبناء وتعليمهم مسؤولية الوالدين وليكن هذا التأديب مصحوباً بشيء من الرحمة والرأفة، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم»[1]، وقال عبد الله بن عمر ﷺ: (أدب ابنك فإنك مسؤول عنه ماذا أدبته وماذا علمته، وهو مسؤول عن برك وطواعيته لك)، ولتكن القسوة أحياناً بغرض التأديب غير مقصودة لذاتها، ولله در القائل:

فقسى ليزدجروا ومن يك حازماً ... فليقس أحياناً على من يرحم

واحرص على كتم الغضب والانفعال وتعوذ من الشيطان إذا داهمك.

---

(١) الصحيحة (٣/١٤٤٦) و(١٤٤٧).

ولقد جعل الإسلام للعقوبة حداً فجعل ضرب الطفل لا يتجاوز العشر ضربات، وأن يكون عمر الصغير فوق السنوات العشر وأن يضرب بمسواك أو عصا صغيرة ويتجنب الوجه والعورة، احرص على التسمية عليه حال الضرب ولا تضرب وأنت غضبان هائج وإن استبدلت الضرب بالتشجيع أو الحرمان فهو خير لك ولابنك.

ولابد من مراعاة المَلَكات الخاصة والفوارق الفردية بين الأطفال والعدل معهم في المعاملة، وبعض الآباء يهمل ملكات عظيمة لدى صغيره تضيع سدى، فتجد بعض الصغار يحفظ الأناشيد والدعايات وغيرها مما لا فائدة منه ولا يحفظ كتاب الله ﷻ، ولا يوجه لذلك!! ولو تأملت في حياة علماء الأمة لوجدت الكثير يملكون مثل إمكاناتهم وقوة حفظهم ولكنهم وجهوا هذه الثروة إلى غير فائدة، فهذا عالم الأمة ومفتي الديار وذاك يحفظ الشعر والقصص.

ومن المعاملة الحسنة: ملاعبة الأطفال:

عن أبي هريرة ﷺ قال: (كان رسول الله - ﷺ - ليُدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبيُّ حُمرة لسانه، فيبهشُ له)[(١)].

عن أنس ﷺ قال: (كان رسول الله - ﷺ - يلاعب زينب بنت أم سلمة، وهو يقول: يا زُوينب، يا زُوينب، مراراً..)[(٢)].

عن محمود بن الربيع ﷺ قال: عقلت من رسول الله - ﷺ - مجّة مجّها في وجهي من دلوٍ، من بئر كانت في دارنا، وأنا ابن خمس سنين[(٣)].

وقفة مع هذه الأحاديث:

ملاعبة الأطفال.. هي الطريق الأسرع إلى قلوبهم.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٧٠)، ويبهش: يسرع.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٢١٤١)، صحيح الجامع: (٥٠٢٥).
(٣) أخرجه البخاري، ومسلم: «جامع الأصول»: (٨/ ٢٠).

فهذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يهمل هذا الجانب العظيم، لأنه يدرك أن عالم الطفولة جزءٌ لا يستهان به من عالم الإنسانية، وأن لهذا العالم خصائصه وطبائعه التي ينبغي مراعاتها، وأن نحسن التعامل معها.

انظر إلى الأحاديث السابقة، تجده عليه الصلاة والسلام، يخرج لسانه، ويلاعب باللفظ: «يا زوينب... يا زوينب»، ويأخذ دفعة من الماء «مجّة» ويرميها من فيه في وجه الصبي، أفعال يسيرة لا تطلب مجهوداً، ولا تستهلك وقتاً، ولكن لها آثارها في نفوس الأطفال، ولها معانيها عندهم، ولها أثرها العظيم في التربية، إذ يستطيع الآباء بهذه الملاعبة المحببّة أن يستحوذوا على قلوب أبنائهم، وأن يمدّوا معهم جسور المحبة، وبعد ذلك يأتي دور التوجيه الذي سيجد له آذاناً مصغية، وقلوباً واعية.

علينا أن ندرك أن حاجة الطفل إلى القبلة الصافية، والابتسامة الحانية، والمداعبة اللطيفة أكبر من حاجته إلى أنواع الطعام والشراب، ومختلف أشكال الثياب، وغير ذلك من الأمور المادّية التي لا قيمة لها كبيرةً في نفس الطفل. فيا أيها الآباء، لاعبوا أبناءكم، تكسبوا قلوبهم.

○ وقتك طويل ولديك ساعات كثيرة بعد نهاية عملك فما نصيب أبنائك منها؟ فإن كنت مفرطاً في حقهم فتدارك ما فات واجعل لهم النصيب الأكبر، وإن كنت ممن حفظ هذا الوقت وجعله لهم فهنيئاً لك ولا تغفل أن يكون بيتك ومملكتك الصغيرة واحة إيمانية تقرأ عليهم فيها من سيرة الرسول ﷺ وتجعل فيها من المسابقات الثقافية والإسلامية والعلمية. واجعل لمن حفظ القرآن جوائز قيّمة، واحرص على تلمس سيرة الرسول ﷺ وحسن تعامله وتواضعه وممازحته للصغار.

إذا كان أبناؤك من الأخيار الطيبين فاحمد الله ﷻ على هذه النعمة العظيمة، وإذا كان لهم مشاغل في مجال الدعوة إلى الله تعالى فراع مشاغلهم وقدر ظروفهم واعذرهم إن حصل منهم تقصير غير مقصود فإنك شريك لهم في الأجر.

التزويج المبكر: للابن والبنت، والمسارعة في تزويجهما قبل المصارحة منهما، وتسهيل الزواج وتيسيره وفي المهر بتقليله وفي المؤونة بتخفيفها، فهذا الزواج هو السد المنيع والحصن الحصين من كل شر وفتنة وشهوة محرمة ومحنة.

فلا خير للأولاد إلا في الزواج، زوِّجوهم زوِّجوهم، وأعينوهم واحذروا الفتنة والشر والفساد من جراء رد الكفؤ لأمور تعرقل وتعقد وتعسر وتضيق وتؤخر، أو تمنع وتغلق باب الخير والنكاح وتفتح وتيسر وتسهل باب الخنا والفاحشة والسفاح من غلاء مهور أو عادات وتقاليد وشروط وقيود وضغوط تحول بين النكاح أو ترجيه، فيكون الزواج صعب وتكاليفه أصعب وعادات وتقاليد أصعب فأصعب.

أقول: إن حصل ذلك فهذا علامة الفتنة والشر والفساد والمحنة التي حذرنا وأنذرنا وهددنا وزجرنا النبي ﷺ عنها بقوله: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1]، نسأل الله السلامة.

سبحان الله، إذا رُد الكفؤ فماذا يفعل كيف يحصن نفسه؟ كيف يستعفف؟

فحصن أُخيَّ ابنك وبنيتك بالزواج تسعد وتسلم وإلا تشقى وتندم.



● أسباب انحراف الأولاد[2] ●

يشتكي كثير من الآباء والأمهات من انحراف أبنائهم وميلهم إلى

(١) (سيأتي تخريجه).

(٢) نقل طرف منها باختصار وتصرف من رسالة: (أخطاء شائعة في تربية الأولاد وحلول عملية، لسعد كريم الفقي).

الفساد وفعل المعاصي وعدم الاستماع للنصائح والإرشادات والتوجيه ولعل أسباب هذا الانحراف يرجع إلى أشياء كثيرة أهمها:

○ إهمال النفقة على الأولاد وعدم الاهتمام بمطالبهم:

لا شك أن ذلك يدفع الأولاد إلى سلوك طريق غير سوية لتلبية احتياجاتهم كالسرقة أو العدوان على الغير، ولقد حذر الإسلام الآباء والأمهات من تضييع الأبناء أو إهمالهم قال ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت»[1].

كما لا ينبغي لأحد أن يبدد أمواله أو يوصي بها كلها ويترك أولاده عالة يتكففون الناس كما دل على ذلك الحديث عن النبي ﷺ.

○ النزاع والشقاق بين الوالدين وخصوصاً أمام أبنائهما:

إن من الأسباب التي تؤدي بالولد إلى الانحراف أو بغض البيت أو البحث عن أصدقاء يرتاح معهم هو احتدام النزاع واستمرار الشقاق بين الوالدين وخاصة في حضور الأولاد واجتماعهم معهم.

فعلى الوالدين ألا يثيرا الخلاف والشقاق، وعلى كل منهما أن يلتمس العذر للآخر ولا يبادر في إظهار الأخطاء وإشاعتها لئلا يتصدع بنيان الأسرة ويظهر الانحراف بين الأبناء لما يرونه من شقاق بين الأبوين.

○ حالات الطلاق بين الزوجين من أهم دوافع الانحراف:

يعد ذلك من أهم عوامل انحراف الأبناء وتشردهم ويدفع بهم في أوحال الرذيلة والجريمة، وقد دعى الإسلام إلى حسن المعاملة بين الزوجين ودرء الخلافات جانباً، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٩٢)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، الحاكم (١/ ٤١٥).

(٢) الترمذي (٥/ ٣٨٩٥)، ابن حبان (١/ ٣٣٠، ٦/ ١٨٩)، ابن ماجه (١/ ١٩٧٧)، الطبراني في الكبير (١٩/ ٨٥٣) الصحيحة (٢٨٥).

○ الاهتمام ببناء الجسم وترك بناء الروح والعقل:

كثير من الآباء والأمهات يظن أن حسن التربية يقتصر على الطعام الطيب والشراب الهنيء والكسوة الفاخرة والظهور أمام الناس بأحسن الصور وأبهاها، وهذا حسن ومطلوب، ولكن المصيبة أن ينسوا أو يتناسوا أن بناء الروح وغراس الأخلاق الكريمة أهم من بناء الجسم. فالروح تطلب غذاء ألا وهو طاعة الله، وتطلب زاداً ألا وهو تقوى الله، وتطلب وقوداً ألا وهو عبادة الله، ولا يتيسر لها ذلك إلا بالتدريب والعمل على غرس القيم فيها، فأي صلاح وأي نجاح وأي فلاح لأبنائنا إذا اهتممنا ببناء الأجسام وأهملنا بناء الروح، قال أبو الفتح البستي:

يا خادم الجسم كم تسعى لراحته ... أتعبت نفسك فيما فيه خسران
أقبل على الروح فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

والإسلام عندما أراد أن يبني الرجال اهتم أولاً ببناء الروح، وأول عوامل بناء الروح الصلاة فإن لها أثراً كبيراً في تعويد أصحابها على النظافة والنظام والطهارة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

أخي الحبيب، أيها الأب الكريم اعلم أن الصبي أمانة عند والديه إن عُلِّم الخير ورُبيَ عليه سعد في دنياه وأخراه، وإن عود الشر وعلمه وأهمل إهمال البهائم شقي وضاع وهلك وكان الوزر على والديه.

أيها الأب الحبيب الحنون، اعلم أنك تربي إنساناً لا تربي حيواناً، فإن كنت تطعمه وتلبسه وتنفق عليه فقط ولا تربيه ولا تنشؤه على طاعة الله فأنت حينئذ ربيت حيواناً لا إنساناً.

والإسلاماه والإسلاماه، أي خير يرجى وأي بركة تسترجى وأي رحمة تستجلب بهذه المصائب الجمة والخطوب المدلهمة، يسعى الأب المسكين

---

(١) سورة طه: الآية (١٣٢).

في تنمية وتحسين مستوى ماله وجسده وجسد ابنه وهو مفرط في تنمية وإصلاح فلذة كبده وجوهر روحه ومحل نفسه.

لا تضيع ابنك صغيراً فيضيعك كبيراً أو يتركك كبيراً أحوج ما تكون إليه، وكما قال بعضهم: (ضيعتني صغيراً فأضعتك كبيراً، وعققتني صغيراً فعققتك كبيراً، ومن ضيع حق الله في تربية أولاده ضيع الله حقه من توقير أولاده له وبرهم به).

أقول: والله وبالله وتالله لو نشئ وربي على المسجد صغيراً لألفه واعتاده وما ترك فريضة واحدة كبيراً. ولكن إذا كان الأب المسكين طيلة عمره لا يصلي الفجر في المسجد أو كان يصلي الفجر في المسجد ولكن لا يوقظ أولاده فماذا سيكون ما هي العاقبة؟

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان

وبعض الآباء هداهم الله يقول سأربيه وأعلمه إذا كبر، وإذا كبر صعب عليه تربيته، فيكبر على الرذيلة ثم يشتكي الأب من المخالفة والعقوق ثم يحاول إصلاحه بعد ذلك، أو يقول لا أقدر على أولادي وأولادي ليسوا تحت أمري وطاعتي، وهو الجاني أولاً وأخيراً.

حرض بنيك على الآداب في الصغر   كيما تقر بهم عيناك في الكبر

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر   وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت   ولن تلين إذا قومتها الخشب

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجي ولكن   يعوده التدين أقربوه

من نُشِّئ على شيء نشأ عليه ومن نشأ عليه مات عليه ـ إلا أن يشاء ربي ـ ومن مات عليه يبعث عليه. فالأطفال فيهم الاستجابة السريعة والاستيعاب الفائق فلا بد من تعريفهم بالقيم الإسلامية. فمن أدب ابنه صغيراً قرّت عينه به كبيراً.

مسكين هذا الابن بين يدي والديه ولكنه يتيم. الأم مشغولة بالتدريس أو الوظيفة أو الزيارات، والأب مشغول بالوظيفة والداريات والأسفار والسهر والسمر مع الغير، وتركت تربية الأولاد إلى الخادم والخادمة والمربية وهذا هو اليتيم:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همِّ الحياة وخلَّفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمًّا تخلَّت أو أباً مشغولاً

○ كثرة غياب الأب عن المنزل:

بعض الآباء يقضي معظم وقته خارج المنزل لسبب أو لآخر ما بين قضاء وقته في العمل أو مع أصدقائه أو لأمر آخر، ولا شك أن ذلك يعرض الأبناء للفتن والضياع والانحراف بسبب ما يجدونه من فراغ وإهمال وعدم توجيه سليم.

ولا شك أن الأولاد يحتاجون إلى رعاية واهتمام وتوجيه مستمر، فمهما كثرت الأعمال وزادت الانشغالات والرفاق وجب على الأب ألا يهمل أولاده وعليه أن يخصص وقتاً لهم، وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، ولولدك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه»[1].

○ غياب القدوة:

القدوة من أهم وسائل التربية في المجتمع، فالتلقين والأمر القولي فقط لا يثمر ولا يفيد إلا إذا وجدت القدوة الصالحة، والطفل يلاحظ أفعال والديه منذ سن الرابعة من عمره فالقدوة لها دور عظيم في تربية الأولاد.

ورد عن عمر بن عتبة ينبه معلم ولده على أن لا يصدر منه ما يخالف قوله وفعله قائلاً: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم

---

(١) البخاري (١٩٦٨)، مسلم (١١٥٩).

معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت).

والنبي ﷺ يحذر الوالدين من الكذب على الأولاد حتى ولو من طريق اللهو قال ﷺ: «من قال لصبي: تعال هاك ثم لم يعطه فقد كذبه»[1].

والبعض يتخذ لولده قدوة سيئة، وليحذر الآباء والمربون أن يقعوا في مقت الله تعالى، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾[2].

وقال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلَّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كيما يصح به وأنت سقيم
أبدأ بنفسك فانهها عن غيِّها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى	بالعلم منك وينفع التعليم
وغير تقي يأمر الناس بالتقى	طبيب يداوي الناس وهو مريض
إن قوما يأمرونا	بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم	لم يكونوا يُصرعونا

أعيد وأكرر وأقول: فصلاح الآباء واستقامتهم على شرع الله تبارك وتعالى ينفع الأبناء، والإصلاح فرع الصلاح، ولا يستقيم الظل والعود أعوجُ، فإذا أردنا جيلاً صالحاً يؤمن بربه ولا يستهين به الأعداء فلا بد من صلاح الآباء أولاً فهم مصدر التعليم الأول في البيت للأطفال.

ونحن نرى عجباً في بعض البيوت، نرى الأب يدخن ويحذر ابنه من التدخين[3]، ونرى الأم تترك الصلاة وتقول لأولادها اذهبوا صلوا، ونرى

---

(١) أحمد (٩٨٣٦/١٥)، ابن المبارك في الزهد (٣٧٥)، ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (١٥٠) وفي الصمت (٥٢٣)، وابن حزم في المحلّى (٢٩/٨).

(٢) سورة الصف: الآيتان (٢، ٣).

(٣) إذا كنت ممن ابتلي بمعصية أو فتنة واعتادت عليها النفس وألفتها وأصبح الفراق عنها صعباً وثقيلاً، فمثلاً: التدخين والعادة السرية التي يشكو منها كثير من الشباب، وكذلك =

العمة تدمن الأغاني والعم يدمن الغيبة، يحلق لحيته ويسبل ثوبه وينهى ابنه عن ذلك[1]، ونرى ازدواجية الأفراد في بعض الأسر فمقال الفرد شيء

= مشاهدة الحرام أو الغيبة أو استماع الغناء أو بذاءة اللسان أو غيرها من المحرمات نسأل الله ﷻ أن يحفظنا وإياكم منها وأن يعين أصحابها على هجرها وتركها.

أقول أخي الحبيب: استعن بالله تعالى وكن صاحب عزيمة وهمة عالية فلا تغلبك تلك الشهوة، أيجوز أن تكون مسلماً موحداً وتغلبك سيجارة، والله إن هذه هي الدناءة نسأل الله العافية، سائل نفسك أخي هل التدخين خبيث أم طيب؟ هل تطيب نفسك بالتدخين في المسجد؟ ولم؟ هل هو نافع أم ضار؟ هل هو طعام أم شراب؟ أم هو دخان كاسمه؟ هل هو لذيذ أم كريه؟ هل فيه إيذاء برائحته الخبيثة؟ وهل هو إلا تبذير وإسراف وإضاعة للمال، والمبذرين إخوان الشياطين، والله لا يحب المسرفين (اشرب ناراً وادفع ديناراً).

يا من يريد دمار صحته ويهوى ... الموت منتحراً بلا سكين
لا تيأسن فإن مثلك واجد ... كل الذي ترجوه في التدخين

وأنشدني بعض كبار السن فقال فيه:

كل البهائم والطيور تباعدت ... من شربه والأكل من أشجاره

أقول:

من ابتلي بالتدخين أو غيره من العادات الضارة فعليه أن يستغل شهر الصوم فيصوم عنه في ليله كما صام في نهاره ليهجره إلى غير رجعة، وأن يواصل عزيمته وقوة إرادته بالليل كما كانت بالنهار.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وأن يقطع مجالسه السابقة ويعتاض عنها بمجالس أهل الخير والصلاح فهي خير عون له على ذلك بعد إعانة الله وتوفيقه.

صحبة الصالحين بلسم قلبي ... إنها للنفوس أعظم راقي

ويقول المثل: (من جالس جانس)، وعليه بالإكثار من الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى فهو خير معين.

(١) ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ مع أن حلقها محرم والأحاديث الواردة في هذا الأمر تدل على تحريم حلقها، وقد اتفق الأئمة الأربعة على حرمة حلقها، وكذا الإسبال في الثياب والمشالح والأزر والسراويل، فإن ما كان منها أسفل الكعبين نازلاً فهو في النار وسواء ذلك للخيلاء أو لغيره إلّا أنها إذا كانت للخيلاء فأعظم إثماً، وفي حديث أبي ذر ﷺ: عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، (رواه=

وحاله شيء آخر، يقولون ما لا يفعلون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله ﷻ وضع لنا ميثاقاً ربانياً لإصلاح أولادنا فقال سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾[١].

فشرط صلاح الأبناء صلاح الآباء وتقواهم لله تبارك وتعالى.

فاتق الله يربي لك أولادك فلا يستطيع أحد أن يصلح إلا بإذن الله.

○ مرافقة أصحاب السوء:

الشر بعينه ووكر السفالة والانحطاط، بيت الضلال والردى، البعد عن المساجد وأهل الصلاح والطاعة، **ورفقة شياطين الإنس**[٢] وأباليسه وعفاريته. وهذا والله هو العار الكبير والشر المستطير والنكر النكير، رفقة الأشرار ومخالطتهم ومجالستهم والتعرف عليهم ومسامرتهم ومصاحبتهم والقرب منهم أو المرور عليهم.

وزمرة من الآباء يشتكي ويولول ويستنكر فساد ابنه وتمرده وعصيانه وما علم هذا الأب المسكين أنه هو المجرم والظالم والغاش والمخادع لابنه حيث تركه مع الأشرار، تركه مع أهل الفساد والإفساد، ومن زرع شوكاً فلا يجني العنب إنما يجني الشوك المر. فيا من هذا فعله وتأتي تشتكي:

فنفسك لُم ولا تلُم الآخرين ... ومت كمداً فليس لك اعتذار

= مسلم)، وفي رواية: (المسبل إزاره)، والإسبال في الثياب مما يحسبه الناس هيناً وهو عند الله عظيم، وهو إطالة اللباس أسفل من الكعبين، والذي يقول: إن إسبالي لثوبي ليس كبراً، فهو يزكي نفسه وتزكيته غير مقبولة، والوعيد للمسبل عام سواء قصد الكبر أو لم يقصده مما يدل عليه قوله ﷺ: «ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار» رواه أحمد، فإذا أسبل خيلاء صارت عقوبته أشد وأعظم وهو ما ورد في قوله ﷺ: (من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، رواه البخاري، وذلك أنه جمع بين محرمين.

(١) سورة النساء: الآية (٩).

(٢) وكل من حبب وزين المعصية وكرّه وبغّض الطاعة فهو شيطان.

سبحان الله سبحان الله، تترك ابنك مع أهل الشر ثم ترجو صلاحه!! أتخادع نفسك وتضحك عليها. سبحان الله، تكتِّف ابنك وترميه في البحر ثم تقول له: إياك إياك أن تبتل بالماء، إني والله لأعجب، وما لي لا أعجب والعجب لا ينقضي من هذا الفعل الأهوج والتصرف الأعوج.

يا عبد الله: أنسيت كلام الله أم تناسيته حين يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾[1].

أين أنت من قول الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[2].

أين أنت من كلام رسولك ﷺ حين يقول: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[3]، وقوله: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»[4]، أنسيت أن الصاحب ساحب، والمُجالس مُجانس، والمجالسة تسرق الطباع، والتطبع يغلب الطبع؟ أخبرني من تصاحب أخبرك من أنت. صاحب الأخيار بهم تُعرف ولا تصاحب الأشرار فبهم تُعرف.

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه ... يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

رُبَّ أكلة منعت أكلات، ورُبَّ كلمة قالت لصاحبها دعني، ورُبَّ لحظات أو ثوانٍ من مجالسة الأشرار تدمر حياة ابنك كلها وتقضي عليه.

---

(١) سورة الفرقان: الآيات (٢٧ ـ ٢٩).

(٢) سورة الكهف: الآية (٢٨).

(٣) صحيح الجامع (١/ ٣٥٤٥).

(٤) صحيح الجامع (٢/ ٧٣٤١).

ما الحل إذاً؟

الحل:

صحبة الصالحين بلسم قلبي | هي للنفوس أعظم راقي

❁ ❁ ❁

أَبْلُ الرجال إذا أردت إخاءهم | وتوسمنَّ أمورهم وتفقَّد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى | فبه اليدين قرير عين فاشدُد

أقول:

أي خير ورحمة وبركة، أي حياة عند هذا الأب الذي لا يعلم عن أولاده شيئاً مع من يغدون، مع من يروحون. سبحان الله سبحان الله، كيف يقر له قرار ويهدأ له بال ويغمض له جفن منام وهو لا يدري عن أولاده مع من يسهرون ويسمرون. أقول إن كنت ذاك الرجل فأعظم الله أجرك في أولادك وعليك وعليهم السلام، فكبر على نفسك وعليهم أربعاً لوفاة الجميع.

فمن الآن بل من هذه اللحظة أيها الوالدان كل منكما يحلف يميناً لا حنث فيها، ويعاهد ربه معاهدة لا نقض ولا نكث فيها، بأن أولاده ونساءه وأهله ومن تحت يده لا يصاحبون ولا يقتربون ولا يمرون إلا بالأخيار، وإلا فالوحدة خير من جليس السوء ولا شك ولا ريب.

فكن يا عبد الله شهماً أبيًّا غيوراً على أولادك وأهلك وحقق ما ذكرنا.

عبد الله: إن رأيت ابنك مع الأخيار فاحمد الله وافرح واستبشر خيراً وسل الله الثبات على ذلك، وإن رأيتهم مع من لا خير فيهم فالحذر الحذر، استدرك استدرك قبل أن يعظم الخطر والخطأ والخطل والضرر والشرر.

○ إهمال تعليم الأولاد كتاب الله ﷻ:

بعض الآباء يهملون تعليم الأولاد كتاب الله ﷻ وذلك مخالف لأصول التربية الإسلامية، فإهمال تعليم الأولاد كتاب الله يجعلهم بعيدين

عن الأخلاق الحسنة والقيم السامية، فالقرآن الكريم يوسع مدارك أصحابه ويزودهم بالحكمة والفهم الصحيح للأمور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1]. فمن أهمل تعليم ابنه كتاب الله فلن ينال منه خيراً، لن تنال الخير بالفلسفة الغربية أو بالجري وراء الثقافات الأوروبية فلا خير فيها، وقد ثبت فشلها بالفعل فإنك لا تجني من الشوك العنب.

○ عدم الاعتدال في التربية:

كثير من الناس يعامل أولاده بإفراط أو بتفريط، بغلو أو جفا، إما أن يكون شحيحاً بخيلاً عليهم صعباً غليظاً في تعاملاته، وإما أن يكون على النقيض من ذلك سخياً معطاء بلا حدود ولا حساب، ليناً سهلاً حتى لا تعمل أولاده لرأيه أي حساب. فمن هنا يفقد الأب الاعتدال والوسطية في التربية.

○ التفريق بين الأولاد في المعاملة وعدم العدل بينهم:

إن هذه القضية خطيرة جداً، فبعض الآباء يفرقون بين أبنائهم في التعامل سواء في العطية المادية كالهبة من مالٍ أو أرض أو غير ذلك، أو في العطية المعنوية كتخصيصه بمدح أو مزاح أو تقبيل أو المقارنة بين واحد وآخر على الملأ، هذا كله يترك أثراً سيئاً في نفوس الأولاد مما يسبب فسادهم جميعاً، ويولد الحقد والحسد والغيرة والكراهية في قلوب الإخوة.

روى البخاري[2] ومسلم[3] عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ـ أي وهبت ـ ابني هذا غلاماً كان لي، فقال: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: لا تشهدني على جَور».

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٩).

(٢) (٥/٢٥٨٧).

(٣) (٣/١٣).

وفي رواية قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

وقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور. . . الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلوا»[1].

الضجر من مولد الإناث:

من أمور الجاهلية التي لا زالت منتشرة بين البعض من المسلمين، الضجر من مولد الأنثى، وهذا فيه نوع من عدم الرضى بالقضاء والقدر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾[2].

أخي المسلم: قد تصبح هذه البنت التي أحببت أن تكون ذكراً خيراً من كثير من الرجال، والشواهد على ذلك معلومة، فكم من النساء هن خير من الرجال، فالبر من البنات أظهر منه من الأبناء، والعطف على الوالدين كذلك، وغيره. قال رسول الله ﷺ: «. . من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[3]، متفق عليه.

ثم ما يدريك، فلعل هذا الابن الذي تمنيته يكون وبالاً عليك، ومما يُكدِر عليك معيشتك، ويُنغِّصُ عليك أيامك، بمشاكله ومصائبه المتلاحقة، فهلّا وعينا أيها المسلمون؟

○ تربية الأولاد على حب الدنيا والعمل من أجلها وإغفال الآخرة:

بعض الآباء يربون أبناءهم لأن يكونوا عُباداً للدنيا فهي قصدهم ومن أجلها يلهثون وفي سبيلها يغالبون، فهي محط الآمال ومحور الإهتمام ومنتهى الأحلام. يقول ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره

(١) أحمد (١٥٩/٢)، مسلم (١٨/٣)، النسائي (٥٣٩٤/٨).

(٢) سورة النحل: الآية (٥٨).

(٣) البخاري (١٤١٨/٣)، مسلم (٢٦٢٩/٤).

بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[1].

يقول شوقي:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحيي دينا
ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الشقاء له قرينا
بغير الدين لا نرجوا صلاحاً ... بغير الدين لا يحلو البقاء
إذا ما الدين ضيعه بنوه ... على الدنيا على الدنيا العفاء

وبعض الآباء يعاقب ابنه على التقصير في أمر دنيوي لكنه لم يعاقبه على تأخير الصلاة أو فساد أخلاقه.

أبني إن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لك لمصيبة في ماله ... وإذا أصيب بدينه لم يشعر

قال إبراهيم ابن أدهم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
يا قوم ضعنا وضاع الدين من يدنا ... لما جعلنا بوجه الدين تشويهاً

○ الكذب على الأولاد أثناء الحديث معهم:

الكذب على الأولاد ولو على سبيل المداعبة والمزاح يعد خطأ فادحاً في التربية، ورد عن عبد الله بن عامر أنه قال: أتى رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة»[2].

فالصدق مع الأولاد في الحديث عاملاً مهماً في التربية، حيث أن الطفل يقتدي بمن هو أكبر منه سناً ويقلده وينظر إليه دائماً بأنه قدوة ويأخذ

---

(١) صحيح الجامع (٦٥١٠).
(٢) الأحاديث الصحيحة (٧٤٨)، صحيح الجامع (١٣١٩).

عنه كل قول وفعل على أنه الحق الذي لا مرية فيه، فمن فساد التربية الكذب على الأولاد حتى ولو من قبيل المزاح والمداعبة.

○ الفراغ الذي يعيشه الأولاد[1]:

الأولاد إذا لم يوجهوا توجيهاً سليماً في أمور حياتهم وفي استغلال وقت الفراغ فإنهم في الغالب سيبحثون عن بدائل أخرى وربما لا يجدوا هذه البدائل إلا عند رفقاء السوء الذين سيقعون بهم حتماً في الانحراف والفساد، ولا يخفى علينا ما يمكن أن يفعله رفيق السوء بصاحبه (وتقدم بيان ذلك).

أقول: إن الفراغ نعمة من الله تبارك وتعالى لاستغلاله والاستفادة منه وقضائه في طاعة الله تبارك وتعالى يقول ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[2].

أما من أضاع الوقت ولم يستغل الفراغ ولم يقضه في الطاعة فهو كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

وكثير من الشباب يكون من أسباب ضياعهم وشقائهم ووقوعهم في المعاصي هذا الفراغ مع امتلاك بعضهم للمال. وفراغ الوقت هو جزء من الفراغ.

إنما الفراغ الأكبر هو فراغ النفس والعقل من الأهداف العليا، من الإيمان بالله واليوم الآخر والحكمة التي خلقنا من أجلها. فالفراغ نعمة وإذا لم يستغل فيما يرضي الله فهو نقمة. فمن أكبر وسائل تربية الأولاد حفظ الأوقات فيما ينفعهم في الدين والدنيا، ومن المعلوم أن الأوقات محدودة والأنفاس معدودة، فاحرص بارك الله فيك على استغلال وقتك بما يعود عليك بالنفع في العاجل والآجل، واعلم أن الحياة مهما امتدت فهي

---

(١) وانظر: رسالة (١٢٥ طريقة لحفظ الوقت) لأبي القعقاع محمد بن صالح العبد الله.
(٢) صحيح الجامع ٦٧٧٨/٢.

قصيرة، ووقت المسلم نفيس جداً، كيف لا ووقتك هو حياتك ورأس مالك؟ فإن حفظته فزت وسعدت، وإن ضيعته خسرت وشقيت، ولأهمية الوقت أقسم الله جلا وعلا به في كتابه في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾[3]، فعلى المسلم أن يتقي الله في نفسه، وأن يحفظ أوقاته فيما ينفعه وأن لا يترك وقتاً معطلاً من عمل ينفعه، وأن يحاسب نفسه ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً في قوله وعمله، وتركه وكلامه، وسمعه، وبصره، حتى يربح أوقاته، ويسلم له دينه، ويزكو إيمانه، قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

فيجب عليك أن تنتهز فرص الحياة والشباب، والصحة، والفراغ، بالعمل الصالح ما دمت قوياً قادراً صحيح البدن، والسمع والبصر.

قال ﷺ: «لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»[4].

وقال ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك»[5]، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة)، ومعنى سبهللاً: فارغاً.

---

(١) سورة الفجر: الآية (١).

(٢) سورة الضحى: الآية (١).

(٣) سورة الليل: الآية (١).

(٤) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (١/٢٤٣) رقم (١٠٧٧).

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح (٤/٣١٦).
توجيهات وتنبيهات للفتاة المسلمة لعبد العزيز الفايز (١٧، ١٨).

وبعض الشباب ممن لم يعرف للوقت قيمة ولا للفراغ استغلالاً يقول: إذا لم أذهب إلى الأسواق، ولم أتابع الأفلام، ولم أهتم بالرياضيين، ولم أسمع الغناء، ولم أسافر هنا وهناك فماذا أفعل، لا أستطيع أن أجلس هكذا.

والجواب: كأنك يا أخي تسأل عن البديل لهذه الاهتمامات.

وأقول لك: البديل هو أن ترفع اهتماماتك إلى أعلى الأمور في الدنيا والآخرة، وكلها مأجور فيها مثاب عليها إن أحسنت النية فالمؤمن يعرف كيف يقضي وقته، ومن هذه الأمور:

○ القيام بحقوق الله تعالى التي خلقنا الله لأجلها كالصلاة مع الجماعة في المسجد والإكثار من النوافل وقراءة القرآن والذكر والدعاء ونحو ذلك من العبادات وعمارة المساجد، وذلك إما في صلاة أو اعتكاف أو تلاوة قرآن أو حضور محاضرة أو دروس، وهكذا يستغل المؤمن الوقت ويتنوع في استغلاله، وقد أثر عن الزاهد عبد الباقي بن يوسف أنه قال: (قعودي في المسجد أحب إليّ من أن أكون ملك العراقين).

وكان البخاري رحمه الله يردد دائماً هذين البيتين:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

○ القيام بحقوق النفس الشخصية كالدراسة والوظيفة والمصالح الخاصة.

○ القيام بحقوق الوالدين وقضاء حوائجهم وخدمتهم والجلوس معهم ومؤانستهم

○ القيام بتربية من تحت يده من أولاد وإخوان ونحوهم، والقيام بشؤونهم ومصالحهم والتفرغ لتربيتهم وتأديبهم وإصلاحهم ومؤانستهم.

○ صلة الأرحام والإحسان إلى الجيران ومساعدة ذوي الحاجات. وقال أبو عثمان شيخ البخاري رحمهما الله: (ما سألني أحد حاجة إلا قمت

له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان).

وهذا الليث بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجلس للمسائل ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أو صغرت.

والإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان الناس يقصدونه في حوائجهم من أقطار شتى في العالم لا يرد أحداً أبداً.

وهكذا كان سلفنا الصالح رحمهم الله، يعرفون كيف يقضون أوقاتهم، وكيف يقضون حوائج الناس بسعة صدر وتلبية في كل حين لعامتهم وخاصتهم.

○ طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين على أيدي علماء ربانيين معروفين بصلاح العقيدة وسلامة المنهج، فلا بدع ولا تمشعر ولا تصوف ولا تعصب لمذهب، بل الدليل هو دليله وقائده يسير حيث سار ويقيل حيث قال، قال سفيان الثوري: (من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمعه)، وقال الحسن البصري: (لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك)، وقال القحطاني في نونيته:

لا يصحب البدعي إلا مثله ... تحت الدخان تتأجج النيران

والمراد بالعلم الشرعي علم الحال، فلا تمارس أي عبادة إلا وأنت تعلم حكم الله في هذه المسألة. وكذلك العكوف على الكتب التي تعين على التفقه في الدين. وقراءة الكتب الإسلامية النافعة والقصص والسيرة، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «قيدوا العلم بالكتابة»[(٢)].

---

(١) سورة العلق: الآيات (١ ـ ٥).

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني.

وقال الحافظ ابن الجوزي: (إذا وجدت كتاباً جديداً فكأني وقعت على كنز).

وقال أبو الطيب المتنبي:

أعز مكان في الدنى سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

وقال:

خير المحادث والجليس كتاب   تخلو به إن ملَّك الأصحاب
لا مفشياً سراً إذا استودعته   وتنال منه حكمة وصواب

وقال الجرجاني:

ما تطعمت لذة العيش حتى   صرت في وحدتي للكتاب جليساً
ليس عندي شيء أجل من   العلم فلا أبتغي سواه أنيساً

وقال إبراهيم اليازجي:

وأفضل ما اشتغلت به كتاب   جليل نفعه حلو المذاق

وقال أحمد شوقي:

أنا من بدل بالكتاب الصحابا   لم أجد لي وفياً إلا الكتابا

وهذا أحد العلماء تلومه زوجته على كثرة ما ينفق على الكتاب فقال يحكي حاله معها:

وقائلة أنفقتَ في الكتاب ما حوت   يمينك من مال فقلتُ دعيني
لعلي أرى فيها كتاباً يدلني   لأخذ كتابي آمناً بيميني

وقال ابن المبارك، حين لامه أصحابه على عدم رؤيتهم له، من كثرة مجالسة الكتب والخلوة معها، فقال لهم: (إني إذا كنت في المنزل جالست أصحاب محمد ﷺ)، يعني النظر في الكتب.

○ حفظ كتاب الله وتعلمه وتلاوته وتدبره وسماعه وتعليمه، «خيركم من

تعلم القرآن وعلمه»[1]، فإذا شغل الإنسان وقته بالجلوس مع كتاب الله كان حظه من الأجر والثواب عظيماً عند ربه فإن خير الشواغل: التشاغل بالقرآن، سواء بحفظه أو تلاوته أو تفسيره، وهذا ما كان يفقهه الخليفة الراشد الشهيد عثمان بن عفان ﷺ حيث قال: (ما أحب أن يأتي عليّ يوم ولا ليلة ألا أنظر كلام الله)، يعني القراءة في القرآن.

○ سماع الأشرطة المفيدة العلمية منها والإيمانية من قرآن ومحاضرات ودروس وخطب وأناشيد لا محذور منها كدف أو تميع أو تصوف أو بذاء أو زور من القول.

○ التعرف على الصحبة الصالحة الملتزمة ومجالستهم ومخالطتهم وتبادل الأحاديث الطيبة والزيارات الهادفة.

○ زيارة المشايخ وطلبة العلم والإخوة الصالحين الناصحين الذين يستفاد من زيارتهم ويقوي الإيمان بلقائهم ومجالستهم.

○ حضور المحاضرات الإسلامية لسماع كلام العلماء الربانيين والدعاة التربويين.

○ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة للأهل والأقرباء والجيران ولعموم المسلمين بل لعموم الناس، إما عن طريق إلقاء المحاضرات والدروس والكلمات والجلسات، أو توزيع الأشرطة والكتيبات والنشرات والمطويات، أو الزيارات والتهادي والرحلات والجهاد في سبيل الله سواء بالسنان أو باللسان أو القلم، وذلك بالتحذير من البدع والخرافات وإنكار المنكرات المنتشرة في أوساط المسلمين اليوم، وقد يكون الجهاد بالمال وذلك بجمع الأموال وإيصالها إلى المجاهدين في سبيل الله في مناطق شتى من العالم.

○ الرحلات الأسبوعية مع الشباب الصالح والاستمتاع معهم بما أباح الله.

---

(١) البخاري (٩/ ٦٦، ٦٧).

o المشاركات اليومية مع مكتبات المساجد أو جماعة التوعية والثقافة في المدارس والمراكز الصيفية ممن عرف بصفاء العقيدة وسلامة المنهج ونحوها[1].

o ممارسة رياضة بدنية بحدود وضوابط شرعية يقوى بها جسمه. ويروِّح عن نفسه ويبعدها عن الملل، ولكن بشرط أن لا تفوت على المرء واجباً أو حقاً أو أن يتخذها المرء عادة.

o نزهة بريئة يروِّح بها عن نفسه.

o مطالعة مفيدة يكمل بها ثقافته.

o مباراة ثقافية يروِّض بها عقله.

o تمارين على الرمي والسباق وركوب الخيل وغيرها من وسائل الجهاد يعد بها نفسه.

o عمل يدوي ينمي به ميوله بتعلم الأشياء النافعة والمهن الشريفة مثل الحاسوب والسباكة والكهرباء والنجارة والخياطة والصيد وغيرها من الحرف والمهن الشريفة بهدف أن ينفع المسلم نفسه وإخوانه وهذا ما يسمى بالعمل الحر، وبالمناسبة أقول:

أخي المسلم: (قال أهل الحكمة: (صنعة في اليد أمان من الفقر) والذي أراه لفتاي وفتاك أن تعلمه مهنة شريفة يكسب منها ما يعينه على تحمل أعباء الحياة الثقيلة، إضافة إلى ما يتلقاه من العلم، فلم لا يكون مهندساً وخياطاً، لم لا يكون أستاذاً ومحترفاً حرفة أخرى، ولربما قعدت به شهادته عن بلوغ أمانيه فيرى في الحرفة خير وسيلة للعيش الشريف، فتعليمك ولدك حرفة منذ صغره حق من حقوقه عليك) اهـ.

وغير ذلك الكثير والكثير من الحقوق والأعمال الذي لو بذلت بعضه

---

(١) فلا رفض ولا صوفية ولا بدع ولا قبورية ولا خرافات ولا حزبيات وجماعات منحرفة عن الطريق السوي إني سأعمم تعميماً... الحزب يحرم تحريماً..... يا ويح مصائب أمتنا .... إسلام يخدم تنظيماً.
تأديب البنين والبنات، لأسعد محمد الصاغرجي (٤٩ ـ ٥٠).

فإنك بعد فترة ستشكو من ضيق الوقت وأنه يحتاج إلى المزيد من الأوقات لكثرة الحقوق والواجبات. والمسلم الذي يتعلق قلبه بالدار الآخرة ويملأ وقته بما سبق هل يعود لديه رغبة أو وقت للتعلق بالإباحية والشهوات المحرمة.

○ آفات تقتل الوقت:

○ (هناك آفات وعوائق كثيرة تضيِّع على المسلم وقته، وتكاد تذهب بعمره كله إذا لم يفطن إليها ويحاول التخلص منها، ومن هذه العوائق والآفات:

١ ـ **الغفلة**: وهي مرض خطير ابتلي به معظم المسلمين حتى أفقدهم الحس الواعي بالأوقات، وقد حذَّر القرآن من الغفلة أشد التحذير حتى إنه ليجعل أهلها حطب جهنم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1].

اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا على غرة، ولا تجعلنا من الغافلين.

٢ ـ **الكسل**: وهو التثاقل والقعود عن أداء الأعمال المطلوبة أو عن إتمامها.

٣ ـ **التسويف**: وهو آفة تدمر الوقت وتقتل العمر، وللأسف فقد أصبحت كلمة (سوف) شعاراً لكثير من المسلمين وطابعاً لهم، يقول الحسن: إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك، فإياك أخي المسلم من التسويف فإنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد، وإن ضمنت حياتك إلى الغد فلا تأمن المعوقات من مرض طارئ أو شغل عارض أو بلاء نازل، واعلم أن لكل يوم عملاً ولكل وقت واجباته، فليس هناك وقت في حياة المسلم، كما أن التسويف في فعل الطاعات يجعل النفس تعتاد تركها، وكن كما قال الشاعر:

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

○ من رسالة (كيف نستثمر أوقاتنا من ١٥ ـ ١٦)، وانظر لزاماً ما كتبناه في آخر هذه الرسالة.

تزوَّد من التقوى فإنك لا تدري ... إن جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علةٍ ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتًى يمسي ويصبح آمناً ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد أدخلت أجسامهم ظلمة القبر

٤ ـ **اعتقاد التفرغ من الشواغل في المستقبل**: قد يخيل للبعض أن الأيام ستفرغ لهم في المستقبل من الشواغل والعوائق، وأنهم سيكونون فيها أفرغ منهم في الماضي أيام الشباب، ولكن الواقع المشاهد على العكس من ذلك، فكلما كبرت سن الإنسان، كبرت مسؤولياته وزادت علاقاته، وضاقت أوقاته ونقصت طاقاته فالوقت في الكبر أضيق، والجسم أضعف والصحة أقل، والنشاط أدنى، والواجبات والشواغل أكثر وأشد. ولعمري كم جنى هذا القول على إبداع مبدع ونتاج ذكي، وثمرة مجرب، لقد دارت الشمس دورتها، ودار الزمان بها فلم يستطع هؤلاء إمساكها، بل أحرقتهم فصاروا رماداً تذروه الرياح إلى يوم الجمع، إنها الأحلام لا تصنع حاضراً ولا تبني مستقبلاً.

فبادر أخي المسلم باغتنام أوقات عمرك في طاعة الله، واحذر من التسويف والغفلة وطول الأمل والكسل، فكم في المقابر من قتيل سوف. والتسويف سيف يقطع المرء عن استغلال أنفاسه في طاعة ربه، فَاحذر أن تكون من قتلاه وضحاياه.

ويقول أبو العتاهية:

لا يشغلنك لَوْ وَلَيْتَ عن الذي ... أفنى القرون ولا لَعَلَّ وعسى

٥ ـ **سباب الزمن، وإلقاء اللوم على الوقت والشكوى من الدهر**، وهذه أمور متفشية يلجأ إليها الكثير من الناس الفاشلين في أعمالهم أو الذين يتهربون من مسؤولياتهم أو الذين يبررون أخطاءهم فيعلقون ضعفهم وتخلفهم وعجزهم وعيوبهم على الدهر وتغير الزمان وما أصدق قول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان بنا لهجانا

● تناقضات ●

ترى كثيراً من الآباء يستشعر مسؤوليته تجاه أولاده وأهل بيته، فتراه يتعب ويكدح ويجهد نفسه ليضمن الراحة لهم ولأجل توفير المأكل والمشرب والمسكن، وإذا أصاب أحد أولاده مكروه رأيت أثر الحزن والهم عليه. وهذا كله من تمام شفقة الوالد على ولده، وهو أيضاً جزء من القيام بمسؤولية الأب تجاه أبنائه. ولكن الشيء الذي يستغرب أن ترى هذا الأب الشفيق الحريص على أولاده ولا يحزن ولا يغضب إذا علم أن ابنه لا يصلي أو يصاحب رفقة سوء أو يسمع الغناء أو يقرأ ما يضره، وإذا نوصح الأب في ذلك قال: الهداية بيد الله والذي هدى الكبير يهدي الصغير إن شاء الله.

أليس هذا من التناقض؟

إن هذا الأب يحزن لوجع أولاده ويصيبه الغم لو مرضوا، ويتفطر قلبه لو نزلت مصيبة ولكنه في الوقت نفسه لا يشفق عليهم من سخط ربهم ولا يخشى عليهم من عقوبة خالقهم، ولا يخاف عليهم من نار وقودها الناس والحجارة عياذاً بالله منها[1].

○ ومن التناقضات:

تساهل الناس في تزويج تارك الصلاة[2]، فترى الولي إذا تقدم إليه

---

(١) تناقضات لعبد العزيز السدحان ص١٤، ١٥.

(٢) وهذا إن كان جاحداً لها فمحكوم بكفره وردته بإجماع الأمة ولو صلاها، وإن تركها تهاوناً وكسلاً وعلم الحكم وهو أن ترك الصلاة كفر، فتمادى في غيه ـ فهذا أيضاً كفر وردة (في أظهر قولي العلماء)، وفي الحديث: «لا تتركن صلاة مكتوبة تعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»، ومن لم يصل فلا صوم له لأنه كافر كما أسلفنا، وفي الحديث عنه ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، وفي حديث آخر: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وبعيداً عن الخلاف الفقهي في كفر تارك الصلاة: هل هو كفر مخرج من الملة؟ أو كفر لا يخرج من=

خاطب يرضى حسبه ونسبه فإذا سأل عنه فقيل: تارك للصلاة. قال: هذا أمر يهون فكم من تارك للصلاة قد هداه الله. ويقول المهم أنه لا يشرب المسكر ولا يتعاطى المخدرات. وما علم هذا المسكين أن تارك الصلاة شر عند الله من شارب الخمرة ومن الزاني ومن آكل الربا. بل لو اجتمعت هذه الكبائر كلها في شخص واحد فإنه يبقى خيراً من تارك الصلاة ولو كان الأخير شريفاً عفيفاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (بل تارك الصلاة شر من السارق والزاني وشارب الخمر وآكل الحشيشة)[1].

ومع عظم جرم تارك الصلاة نرى بعض الأولياء لا يلقون اهتماماً لهذا الأمر، فتراهم يجعلون أمر الصلاة في آخر المطاف وهذا من التفريط في جانب كبير من المسؤولية[2].

وقد مرَّ بنا في ثنايا هذا البحث تناقضات، وسيمر طرف آخر من التناقضات.

• إرشادات وتوجيهات •

أخي المسلم:

أعود فأذكر وأقول: مرحلة المراهقة والفتوة مرحلة دقيقة، فإذا بلغ ولدك تلك المرحلة فعليك أن تشمر عن ساعديك لتحمله، لا تتخل عن المسؤولية لغيرك ما دمت المسؤول. ربما يتحمل المسؤولية غيرك فيأخذ بيد

= الملة؟ فدعني أهمس في أذنك يا تارك الصلاة: هل تقبل أن يكون انتماؤك لدين الإسلام وإيمانك بالله ورسوله وكتابه قضية محل خلاف، فعلماء يقولون: (أنت كافر مشرك مثل فرعون وقارون وأبي جهل وأبي لهب)، وفريق آخر يقول: (بل فاسق مجرم شرير أشد خبثاً من قاتل النفس وسارق المال وآكل الربا، والزاني وشارب الخمر)؟!

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥).

(٢) تناقضات لعبد العزيز محمد السدحان ص(١٦).

ولدك ويرميه في الهاوية، هاوية الإلحاد والكفر. وبدلاً من أن يكون لك يصبح عليك. فسله دوماً عن أصحابه وتعرف عليهم، فإن الصحبة عامل كبير في توجيه الفتى في مرحلة البلوغ، وقد قالوا: الصاحب ساحب، والطبع يسرق.

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[1]

ثمّ فيه مراقبة الله تعالى وأنه يراه حيثما كان وحذره من أن يغويه الشيطان ويذهب إلى رفاق السوء فيشاهد عندهم الأفلام الخليعة من الفيديو، وحديث الجليس الصالح والجليس السوء خير دليل على ذلك.

أخي المسلم:

(آخ ولدك إذا بلغ، وناقشه في مرحلته الدراسية في اختيار الكتب النافعة، وحذره من المطالعة في كتب الإلحاد، وكتب المستشرقين والمستغربين، والطاعنين في العقيدة والدين والمثل والقِيم، وحذره من البدع وأهلها من التصوف والقبورية والموالد ونحوها.

حذر فتاك من شرب الخمر وشرب كل مسكر، ونبهه إلى حرمتها وأن الله حرمها علينا، لأنها مزيلة للعقل متلفة للجسم. وأن شارب الخمر لا يشربها وهو مؤمن ويرفع الإيمان من صدره حتى يصبح كالظلمة إلا إذا تاب فإن الله يتوب عليه، ونبِّهه إلى أن شارب الخمر ملعون.

حذِّر فتاك وفتاتك من الاستماع إلى الأغاني التي تذهب بالمروءة وتدل على الخناء والفحش، ومن استماع الأغاني الغربية التي تعلم الرقص البهيمي الفاضح، وحذرهما من ارتياد أماكن اللهو والسمر والتي يتم اختلاط الجنسين فإن ذلك يؤدي إلى الزنى والفجور وغضب الله تعالى.

حذِّر فتاك من التدخين ونبهه إلى أخطاره وأنه يسبب سرطان الرئة

---

(١) تقدم.

وسرطان الحنجرة وسرطان الفم وسرطان المريء وغيرها من الأمراض المؤدية إلى الموت العاجل مع إتلاف المال، وربما كان المدخن في أمسِّ الحاجة إليه. حذِّر فتاك من العادة السريَّة[1] التي يزاولها الفتيان والشباب نتيجة اطلاعهم على المشاهد المثيرة للجنس سواء كانت في الصحف والمجلات أو في الأفلام الماجنة أو المشاهد الحقيقية فإنها عادة سيئة، والتخلص منها ترك الخلوة والبروز للناس، ومصادقة الأتقياء. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝﴾[2]، أي الظالمون.

حذِّر فتاك من اللواطة: وهي من أشنع الأفعال، ولا بأس بذكرها حتى يتحاشى مبادئها ولا يقع في شَرَك المفسدين في الأرض. أما ولدك الصغير

---

(١) ولعل بعض الناس يجهل حكم العادة السرية، والجواب أن العادة السرية حرام. انظر رسالة (مشكلة في طريق الشباب) إعداد صالح التميمي تقديم الشيخ ناصر العمر، ذكر فيها حكم الاستمناء وأضراره الشرعية والطبية والنفسية والاجتماعية، وذكر فيه أن من طرق علاجه:

١ ـ الزواج. ٢ ـ الصوم. ٣ ـ مراقبة الله ﷻ. ٤ ـ غض البصر.

٥ ـ تربية الإرادة. ٦ ـ محاربة الخواطر. ٧ ـ عمارة الوقت واستغلال الطاقات.

٨ ـ قراءة قصص الأنبياء والصالحين في حفظهم لجوارحهم. ٩ ـ إشغال النفس عند ورود الشهوة. ١٠ ـ تذكر الضيق والهم الحاصل بعد قضاء الشهوة. ١١ ـ الدعاء. ١٢ ـ الابتعاد عن مثيرات الشهوة ومهيجاتها كالخروج للأسواق وشراء المجلات الهابطة وصور النساء التي أصبحت ـ وياللأسف ـ تلاحق الشباب في الطائرة وفي السوق وفي العمل وفي المستشفى ـ نسأل الله العافية. ١٣ ـ تذكر الموت والخوف من سوء الخاتمة. ١٤ ـ النوم على طهارة مع ذكر أوراد النوم، وليتذكر وهو على فراش النوم أن النوم أخو الموت وأنه قد لا يستيقظ من نومته هذه، فكم أناس ناموا فما قاموا. ١٥ ـ مصاحبة الصالحين... اهـ. وانظر: رسالة الشيخ محمد صالح المنجد بعنوان: (العادة السرية) فقد تكلم فأجاد وأفاد.

وانظر: فتوى اللجنة الدائمة رقم (١٣٩٨)، تاريخ (١٣٩٦/١١/٢٠) هـ، ومجلة البحوث عدد ٩ ص٥٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية (٥ ـ ٧).

فتنبهه إلى عدم كشف عورته أمام أحد مهما أغراه بمال أو حلوى أو غيرها، قال بعض السلف: إذا ركب الذكر الذكر عجَّت الأرض إلى الله وهربت الملائكة إلى ربها وشكت إليه عظيم ما رأت. وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»[1].

وقال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[2].

أدِّب فتاك على تقوى الله تعالى في السر والعلانية، وأن الله تعالى مطلع عليه، وناظر إليه، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وعرِّفه أن المسلمين كلهم إخوة، وأنه لا يتم إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

روى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]. وعرِّفه أن عليه محبة الخير للغير وإذا بدر منهم ما يقلقه ويكرهه صَبَرَ واحتمل.

واغرس في قلبه الرحمة للإنسان والرفق بالحيوان. فقد قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[4].

أدِّب فتاك على زيارة أقاربه وعرِّفه بأرحامه وأوصه بمحبة الجيران والإحسان إليهم ومراعاة حقوقهم واحتمال الأذى منهم، ودفعه عنهم. وعدم احتقار أي إنسان مهما كان جنسه أو لونه.

روى البخاري[5] ومسلم[6] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح الجامع (١/ ١٥٥٢)

(٢) صحيح الجامع (٢/ ٦٥٨٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أحمد (٢/ ١٦٠)، أبو داود (٤/ ٤٩٤١)، الترمذي (٤/ ١٩٢٤)، الحاكم (٤/ ١٥٩).

(٥)(٦) تقدم تخريجه.

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه».

أدِّب فتاك وفتاتك على إكرام الضيف وحسن استقباله واحترامه إذا كان كبيراً، ومؤانسته إن كان صغيراً، وإكرام الكبير واحترامه.

ومن حسن استقباله مصافحته وإكرامه، روى البخاري ومسلم عنه ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

أدب فتاك وفتاتك بآداب المجلس، فإذا دخلا إلى المجلس بدءا بالسلام وجلسا حيث ينتهي بهم المجلس، ويدَعون الصدر للكبار ولا يفرقان بين الاثنين في المجلس إلا بإذنهما، وإذا كان ثلاث في المجلس فلا يتناجى اثنان منهما ويدعا الثالث. وأما إذا كان الجلساء أكثر من ثلاثة فلا حرج، وألا ينظرا إلى الباب إذ فتح فإن للبيوت حرمة. وإذا تحدث أحد الجلساء أنصتا واستمعا، وإذا كان فتاك المتحدث أو فتاتك فليكن الحديث مختصراً ولا يقاطع غيره في الحديث حتى يفرغ من كلامه ويوزع نظراته إلى جلسائه فلا يخص واحداً دون الآخر.

أدب فتاك فمره بعيادة المريض وأن يسارع إلى عيادته وأن لا يطيل المكث عنده، وأن يدعو له بالمأثور وتعلُّمه إياه، فقد روى مسلم[2] عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي يؤلم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، وفي رواية: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[2].

قال: ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

فإن فعل فتاك ذلك أدخل السرور على المريض وعلمه أن يدعو له

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (٤/٢٢٠٢).

بالشفاء العاجل وبطول العمر في طاعة الله» اهـ[1].

• تساؤلات •

أخي أيها الأب أجب على هذه الأسئلة وفكر فيها قبل أن تندم حين لا ينفع الندم؟ هل غرست في قلبه عظمة الله ومراقبة الله والخوف من الله، وذكرته بالجنة والنار، وأن الجنة لمن أطاع والنار لمن عصى؟

هل شجعته ورغبته وغرست في قلبه حب الصلاة واعتياد المساجد؟ فالصلاة هي الفريضة العظيمة والركيزة الثانية من فرائض الإسلام بعد الشهادتين، فاحرص عليها وليشعر ابنك بأهميتها وعظم قدرها وهي يسيرة على من يسرها الله عليه. والتزم الأدب النبوي في تربية الأطفال فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»[2]، ومن طبق هذا الحديث فإنه لا يرى مشقة ولا تعباً في أمر الصلاة، فإن الصغير ما بين السابعة والعاشرة من عمره يفرح بالخروج للمسجد فيعتادها ويتعاهدها فإذا بلغ العاشرة يكون قد تربى ونشأ عليها فلا يتركها، ولا تكن أيها الأب المبارك مثل جهلة بعض الآباء الذي يرحم ابنه من برد الشتاء ولا يوقظه للصلاة بل كن من العقلاء وارحمه من نار جهنم والعياذ بالله وأطع أمر الله ورسوله واصبر على إيقاظه وتشجيعه وتحبيب الصلاة إليه حتى تبرأ ذمتك يوم القيامة، وليكن حفظ الله ﷻ لصغارك طوال يومهم فقد قال ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله»[3]، واستشعر أن صغيرك في ذمة الله طول ذلك اليوم.

هل بحثت له عن جلساء صالحين ورفقة ناصحين خيِّرين، أم تركته مع من

---

(1) بتصرف واختصار من تأديب البنين والبنات ص(٥١ ـ ٦٣).
(2) أحمد (٢/ ١٨٧)، أبو داود (١/ ٤٩٥)، الحاكم (١/ ١٩٧).
(3) صحيح الترغيب (١/ ٤٦١).

لا خير فيهم، أو مجالس سوء، أو سفريات للخارج؟ فما أفسد أولادنا إلا ذاك.

هل أبعدته عن أفلام الخلاعة والخنا والزنى، أم جئت بها إليه في بيتك؟

- هل تعلم متى يخرج ابنك وكيف وأين ومع من؟

هل رأيت ابنك على منكر من تدخين أو سب أو رؤية محرم أو تخلف عن صلاة فسكت وجاملت أم ناصحت وأرشدت؟

○ هل أبعدت ابنك وبنيتك عن كل فتحة شر أو منسم باب فتنة وسوء ومحنة وصنتهم وحافظت عليهم، أم كم من الشرور والوسائل المحرمة من تلفاز ودش[1] وفِلم هدام ومجلة خالعة وخادم وخادمة وسائق ومربية وكتب

---

(١) وماذا فيه يا ترى؟ فيه أغان محرمة، وكلام مبتذل رخيص، ورقص وميوعة، أفلام غرام هدامة خليعة، ورسوم متحركة تحارب العقيدة والفضيلة، وموسيقى صاخبة، مشاهد إجرامية، برامج هزيلة، وممارسة للعري والاختلاط والدعوة لمحاربة الفضيلة والحياء في نفوس أبنائنا وبناتنا مع نشر الأفكار المسمومة المخالفة لشريعتنا الغراء، وأضرار وأخطار عقدية وسلوكية وصحية واجتماعية وأمنية ودراسية، أما الطبق الفضائي (الدش) فحدث ولا حرج، ولا يشك من عنده مسكة من عقل في حرمته وضرره وخطورته ولكن (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً. . . .) وحبك الشيء يعمي ويصم، فمن أحب الشهوات المحرمة فهو أعمى وأصم بها.

يقضي على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وصاحب الدش قد استمطر لعنة الله، وسخطه وعذابه وغضبه، فليس عنده حياء ولا مروءة، ولله در القائل فيه و في أمثاله:

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً ... وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

* * *

إذا قلَّ ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل حياؤه

ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلّا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

* * *

واذكر مناقشة الحساب فإنه ... لا بد يحصي ما جنيت ويكتب

لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب =

تتحدث عن الجنس بصراحة أدخلتها دويرتك. وكم من الملاهي والمسلسلات دمرت بها أخلاق ابنك وبنيتك؟ فإن كنت شهماً حريصاً على عرضك عندك غيرة وأنفة فاخرجها من بيتك، أخرجها من بيتك حتى لا تقضي على مستقبل أهلك فأنت المسؤول والمحاسب.

• صور من مآسينا مع أهلينا •

أقول من الشيم العربية ما قاله عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مثواها

ويقول الجاهلي الآخر:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

هكذا كان العرب في جاهليتهم فلهم القدح المعلَّى في حفظ أنسابهم وأحسابهم فهم أباة العار وحماة العرين حفاظاً على السمعة والشرف في أنفسهم وفي مجتمعهم، يقتلون البنت خوف العار، أما بعض الناس في هذا الزمان فيدعو إلى خروج المرأة من الحشمة والعفاف والفضيلة إلى الردى وتدنيس العرض والرذيلة وذهاب الشرف، أي خير فيمن لا يغار على محارمه وأهله وأولاده يدخل البيت فيراهم حول التلفاز أو الفيديو أو الدش

= في الدش قتل للغيرة والمروءة و العرض والشرف، بل قتل للإنسان نفسه، وفي ذلك يقول الشاعر:

وأنا الذي جلب المنية طرفهُ ... فمن المطالب والقتيل القاتل

فالحذر! الحذر! منهما قبل أن نندم حين لا ينفع الندم ولات ساعة مندم، فهل يعقل الوالدان هذا الأمر الخطير الجلل ويبعدانه؟... انظر فتوى سماحة الوالد المفتي العام الشيخ ابن باز رحمه الله في حكم التلفاز ص٢٢٧ من المجلد الثالث من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (جمع محمد الشويعر طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض وقف لله تعالى ط (١ ـ ١٤١٠هـ)، وانظر: (فتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين المجلد الثاني إعداد: أشرف عبد المقصود ص٩٣٠ دار عالم الكتب بالرياض ط١ ـ ١٤١١هـ).

وهي تعرض الأفلام العارية الخليعة الجنسية وكلها حب وعشق وغرام وتبذل وتعر وفراش نوم ولمٌّ وضم وتقبيل ورقص ولباس نوم، ولربما وهي تضاجع عشيقها وكل ما يجر إلى الزنا والبغا والخنا فيسكت ولا يغار ولا يحرك ساكناً، نسأل الله السلامة نسأل الله السلامة.

ما كانت العذراء تبدي سترها لو كان في هذي الجموع رجال

يا من يستهين بهذه الأمور ويرضى بهذه الأحوال ويهوّن من خطورتها أنسيت تلك الفتاة التي كانت ترى الفلم العاري فدخل أخوها فأغلقته فأصر عليها وألح على فتحه ففتحته فصارا يريان ما فيه، ما هي النتيجة. النتيجة والعاقبة إنها العار والشنار والفضيحة والخزي، دخل الأب عليهما فرأى الابن قد ركب أخته!!!!

يا من استهان بعدم تحجب زوجته الحجاب الشرعي فلا وجه يكشف ولا كف يظهر عند إخوانه ورضي بخلوتها مع أحد إخوانه إنك مهدد في عرضك فهذه بنت فلان حملت من أخي زوجها. وهذه هرولت إلى بيت أهلها لأن أخا زوجها أصر عليها وأجبرها أن يفعل فيها الفاحشة. وذاك قتل أخاه لأنه يعشق زوجة أخيه وحدث ولا حرج.

وأنت يا من تؤخر وتسوِّف في زواج بناتك وتماطل أوْ من أجل حطام الدنيا ومتاعها الزائل لا تزوجها أقول استح من ربك واختش على نفسك تظلم وتخن بنتك وعرضك وشرفك وتعرضها لما لا يرضاه ربك فتحل الفتنة والفساد الكبير، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1]، وفي لفظ: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه».

واستمع إلى هذه الواقعة:

---

(١) الترمذي (١/١٠١)، ابن ماجه (١/٦٠٦ ـ ٦٠٧)، الحاكم (٢/١٦٤ ـ ١٦٥)، وانظر: الإرواء (١٩٢٦)، والصحيحة (٣/ ٢٠).

فتاة تجاوزت العشرين سنة وهي تصر وتلح على والدها أن يزوجها وهو رافض وهي تعاني أضرار وأمراض وأخطار العنوسة والعزوبة والغلمة والمراهقة حتى بلغت الثلاثين ووالدها يرد الخطاب، وهي تصرح له زوجني يا والدي أنقذني من العزوبة، أريد الزواج الحصن الحصين والسد المنيع من كل شر وسوء، أنقذني يا والدي. بلغت الأربعين حتى مرضت ولزمت الفراش. وهي على فراش الموت دعت أهلها وأقاربها ووالديها وقالت وهي حزينة مريضة تتنفس الصعداء والأنفاس الأخيرة وبكل حرقة وبكاء قالت: يا أبي قل آمين، قال الأب: آمين، قالت البنت: يا أبي قل آمين، قال الأب: آمين، قالت البنت: يا أبي قل آمين، قال الأب: آمين، قالت البنت: حرمك الله يا أبي من الجنة كما حرمتني من الزواج، ثم ماتت.

هذه ماتت، أما غيرها الكثير من النساء فقد دنست عرضها وأذهبت عفتها وبكارتها وخسرت مستقبلها بل حياتها، فأين العناية والرعاية والتربية والعطف على البنات منذ صغرهن حتى يجعل الله لهن سبيلاً إما زوجاً وإما نهاية أجل، يقول ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[1]، وقال ﷺ: «من كن له ثلاثة بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة»، قيل: يا رسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال: «وإن كانتا اثنتين»[2].

فعلينا أيها المسلمون أن نبذل الجهد في تربية البنات التربية الصالحة الإسلامية وأن نختار لهن الأزواج الصالحين غاضين النظر عن الاشتراط البشع من غلاء المهور وغيرها، إنما القصد الصحيح المقصد السامي الذي يعود بك إلى الجنة أن تختار لها من يحفظ هذه الأمانة، إنها أمانة في عنقك. أيها المسلم فلا تخن هذه الأمانة، إن إتيانك بالفيديو في بيت محصن والمجلة والأغنية والموسيقى لتهتك ستر البنات وتخرجهن المخرج

---

(١) البخاري (١٤١٨)، مسلم (٢٦٢٩).

(٢) أحمد (٣/٣٠٣)، الهيثمي في المجمع (٨/١٥٧)، المنذري في الترغيب (٢٩٤٣).

البشع بين المسلمين، إن إتيانك بالسائق يجوب بالبنات الشوارع إنه هتك لسترهن وقتل للغيرة وذبح للحمية الدينية، أيها المسلمون إن بعض المسلمين دفن الغيرة في إتيانه بسائق لا يعرف الله طرفة عين أو كان مسلماً تقياً فلا يجوز له أن يختلي بالنساء امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[1]، أيها المسلمون أيها الغافلون أيها الدافنون للإسلام وهو حي ما عرفه المسلمون قديماً وحديثاً، متى تستقلون من هذا الفعل الوخيم، متى تستحون من الله، متى تستحون من الخلق، هذه بنات فلان مع السائق يجوب بهن شوارع المسلمين يخرج بهن إلى الحدائق العامة يذهب بهن إلى خارج المدينة، هذه بنات فلان هذه بنات فلان. إن هذا لعار في جبينك في الدنيا والآخرة، إن كنت مسلماً حقيقياً فاتق الله ﷻ واستقل من هذا الظلم العظيم الذي ظلمت به هذه الفتيات المسكينات التي أنت مسؤول عنهن يوم القيامة أمام رب العالمين، يوم يقوم الناس حفاة عراة غرلاً.

أيها المسلمون ألا نتق الله في هذه المحارم، ألا نخاف الله في هذه المحارم، ألا نمثل أنفسنا وقوفاً بين يدي الله ويسألنا لماذا تركت البنات يذهب بهن هذا الفاسق الذي هو ليس بمَحْرَم لهن؟ لماذا تركت هذا السائق الأجنبي بين بناتك وزوجاتك ونسائك وأخواتك وغير ذلك من المحارم؟ لماذا تركت هذا الأجنبي يختلي بنسائك؟ مصيبة عظمى إنه سؤال عظيم يحتاج إلى جواب مركز أمام رب العالمين.

أيها المسلمون إن من الإصلاح لهذه أن تختار لها الزوج الصالح الذي يحفظها بعد الله ويعينها على طاعة الله ﷻ وعلى القيام بما أوجب الله عليها حتى تكون ربة بيت صالحة ومصلحة إن شاء الله. أمة الإسلام كذلك ينبغي للمسلم أن يحافظ على بناته من كثرة الخروج إلى الشوارع ومن سفرهن ويلزمهن الآداب الإسلامية بل يجبرهن ويرغمهن إن لم ينفع اللين والرفق والنصح والكلمة الطيبة لأنهن أمانة في رقبته وعنقه، ويكون هو ورسول الله ﷺ متجاورين في الجنة.

---

(١) تقدم تخريجه.

● دور الأم ●

إذا لم يتحمل الأب مسؤولية التربية وتخلى عنها، فعليكِ أن لا تتخلي عن واجبكِ تجاه أولادك، وأنتِ لستِ دون الرجل في تحمل الواجب، بل ربما كنت أقدر منه على هذه الأمانة، والدليل على قدرتك ما قاله عليه الصلاة والسلام في الأمهات في الحديث الذي رواه أبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها؛ ما لك ومن أنتِ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي»[1]، وإن الرجل الذي يتخلى عن مسؤولية تربية أبنائه ميت وإن كان حياً، وأولاده أيتام وإن لم يمت أبوهم.

ولقد حُدّثت عن امرأة هاجرت من الصين إلى الحجاز فراراً بدينها ومعها أطفالها وزوجها فقضى زوجها وقامت على اليتامى تربيهم وهي في بلاد الغربة حتى نضجوا وشبّوا فأقرأتهم القرآن فحفظ أولادها الأربعة القرآن عن ظهر قلب وأمّوا بالناس. وحياتها كانت على غاية من الجهد والقلة والحاجة.

إنك إذا تحمّلت هذه المسؤولية كنت جديرة بالاحترام والتكريم، ولئن ضن البشر بتكريمك فلن يعدمك خالق البشر من التكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إن كثيراً من البيوتات المسلمة يتخلى فيها الوالدان عن تحمل المسؤولية، فالأم مشغولة بلهوها وسهرها واستقبالاتها، والأب مشغول بتجارته ولهوه ودعواته، والأبناء والبنات في لهوهم وتبذيرهم وإسرافهم من غير رقيب أو محاذر. مثل تلك البيوتات خربة وإن كانت في الظاهر عامرة، مدمّرة وإن كانت في عين المشاهد محصّنة، فالخراب للإنسان لا للبنيان،

---

(١) أبو يعلى (٦٦٥١)، مجمع الزوائد (٨/١٢٦)، وإسناده حسن إن شاء الله كما ذكر ذلك المنذري كَلَّهُ في الترغيب (٣/ ٣٧٤٢).

والعمار بالإنسان لا بالبنيان. أما ترى القصور المهجورة التي مات عنها أصحابها، أما هجرت بموتهم[1].

أقول: إن وظيفة المرأة الأولى في بيتها تربية أطفالها، والتبعل لزوجها، والقيام بشؤون بيتها، وهي وظيفة لا يستهان بها. إنها بذاتها هي المدرسة الأولى قبل المدارس النظامية، فإذا لم تكن هذه الوظيفة قائمة بحقوقها فاعلم أن الأساس مفقود والمدرسة الأولى معطلة، ومتى أُشغِلت بالخادمات والمربيات فاعلم أيضاً أنك قد عرضت أطفالك لمعلمة أجنبية جاهلة غير أمينة فلا تلم إلا نفسك، وارتقب العقوق والشقاء والشرور والعناء، إلا ما شاء الله لأنك عققته صغيراً فيعقك كبيراً. لماذا نرسل بناتنا وزوجاتنا ليعلمن ويربين أولاد الآخرين، أو يعملن في مصالح الغير ويعرضن أنفسهن للريبة والاختلاط، ونحن بحاجة إلى من يعمل في بيوتنا، يقوم بشؤون أطفالنا؟ ونعالج الخطأ بالخطأ فنستورد الخادمة والسائق ونفلت الزمام ونعرض أنفسنا وأعراضنا للعار والشنار.

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من ... همِّ الحياة وخلَّفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أماً تخلَّت أو أباً مشغولاً

فالعمل خارج البيت للمرأة ضرورة فقط تقدر بقدرها، ثم نعود للقاعدة الأم وهي القرار في البيوت، وعلى زوجها وابنها وأبيها صيانتها وكفالتها وإحضار طلباتها[2].

● مخالفات نسائية ●

وقبل أن أذكر هذه المخالفات أنقل هذه القصة مع وقفة معها[3].

---

(١) تأديب البنين والبنات ص(٥٠، ٥١).
(٢) الإحداد (٣٩).
(٣) مقال كتبه أحمد الصويان في مجلة البيان بعنوان (ويبقى ما بقي اللحاء).

كنت في رحلة إلى بنجلاديش مع فريق طبي أقام مخيماً لعلاج أمراض العيون، فتقدم إلى الطبيب شيخ وقور ومعه زوجته بتردد وارتباك، ولمَّا أراد الطبيب المعالج أن يقترب منها (هذه الزوجة) إذا هي تبكي وترتجف من الخوف، فظن الطبيب أنها تتألم من المرض، فسأل «الطبيب» زوجها عن ذلك، فقال: وهو يُغالب دموعه ـ: إنها لا تبكي من الألم بل تبكي لأنها ستضطر أن تكشف وجهها لرجل أجنبي! لم تنم ليلة البارحة من القلق والارتباك، وكانت تُعاتبني كثيراً «وتقول»: أوَ ترضى لي أن أكشف وجهي؟!. وما قَبلت أن تأتي للعلاج إلا بعد أن أقسمت لها أيماناً مغلظة بأن الله ﷻ أباح لها ذلك للاضطرار، والله ﷻ يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، فلما اقترب منها الطبيب، نفرت منه، وقالت: هل أنت مسلم؟

قال الطبيب: نعم والحمد لله. قالت: إن كنت مسلماً فأسألك بالله ألا تهتك ستري إلا إذا كنت تعلم يقيناً أن الله ﷻ أباح لك ذلك!. أُجريت لها العملية بنجاحٍ، وأزيل الماء الأبيض «من عينها»، وعاد إليها بصرها بفضل الله ﷻ، حدَّثَ عنها زوجها أنها قالت: لولا اثنتان لأحببت أن أصبر على حالي ولا يمسني رجل أجنبي: قراءة القرآن وخدمتي لك «أي لزوجها» وأولادي.

ما أعظم شموخ هذه المرأة المسلمة بعزتها وعفافها وما أجمل أن تُرى المرأة مصونة فخورة بحشمتها أكرم به من إيمان يَتجلَّى في صورة عملية صادقة بعيدة عن التكلف والتنطع، سالمة من الرياء وشوائب الهوى. فأين أولئك النساء اللواتي كسرن طوق الحياء، وأسلمن أنفسهن لدعاة الرذيلة وأدعياء المدنية، وأصبحن يلهثن وراء شهواتهن، ويتبارين في التفسخ والانحلال، أين أنتِ من تلك المرأة العفيفة الطاهرة؟!. ولكم يتفطر القلب أسًى وحزناً على أولئك الفتيات الزهراوات اللواتي

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٧٣).

طاشت بهن الأهواء، وأسلمن أنفسهن بكل غفلة وبلاهة لكل ناعق.

إن الحياء شعبة من الإيمان، وعنوان من عناوين العفة والفضيلة، تقوم قواعده على أسس راسخة من التقى، وأصول متينة من الصلاح، قال ﷺ: «الحياء كله خير» كما أخرجه مسلم[1]، وعظم ﷺ من شأنه قائلاً: «إن لكل ديناً خُلقاً وخلق الإسلام الحياء» حسنه الألباني في صحيح الجامع[2]، ويتأكد ذلك في حق المرأة، فسترها رمز حيائها، وحجابها دليل كرامتها، وإذا اختلف حياء المرأة تزلزلت أقدامها، وعصفت بها الفِتن، وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان ويعبث بها دهاقنة الفساد وأئمة الهوى، قال الماوردي في أدب الدنيا والدين (٢٤١): ليس لمن سُلِب الحياء صادٌّ عن قبيح، ولا زاجر عن محظور، فهو يُقَدِّمُ ما يشاء، ويأتي ما يهوى[3].

وننصحك بهذه المراجع: [عودة الحجاب] لمحمد إسماعيل المقدم، و[المرأة بين الجاهلية والإسلام] لمحمد حامد الناصر وخولة درويش، و[يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي] لصالح البليهي، و[قضية تحرير المرأة] لمحمد قطب، و[المرأة وكيد الأعداء] لعبد الله وكيل الشيخ، و[حكم الإسلام في توظيف المرأة] لأحمد عبد العزيز الحصين، و[ما هكذا يكون الحجاب لأمة الله] نور المهدي، و[مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية] لنازك الملائكة، و[حراسة الفضيلة] للعلامة بكر أبو زيد.

والآن أذكر هذه المخالفات[4] باختصار:

○ عدم الاهتمام بتربية الأم لبناتها تربية إسلامية كعدم الاهتمام بمتابعة بناتها حتى إن البنت قد تبلغ ويخرج منها دم الحيض ولا تأمرها أمها بالصلاة والصيام وبقية الواجبات المفروضة عليها. كما وأن بعض الأمهات

---

(١) (٤٧/١).

(٢) (٢١٤٩/١).

(٣) مجلة البيان العدد ١٣٨ ص(٧٠، ٧١).

(٤) نقل طرف منها باختصار وتصرف من ٤٠ درساً لمن أدرك رمضان (٢٧٥ ـ ٢٨٢).

يتهاون في لباس البنت لباساً ساتراً حتى تتعود وتربى على قلة الحياء والحشمة.

○ ومنها عدم الاهتمام بتربية الأولاد تربية إسلامية سليمة من الشوائب والمبادئ الدخيلة علينا من أعداء الأمة ومن أمثلة ذلك: أن الأم تتساهل في شراء ملابس أطفالها فتشتري لهم الملابس القصيرة أو التي تحمل كلمات أجنبية قد تكون ضد الإسلام وتعاليمه، أو تلك الملابس التي بها الصور المحرمة أو شعار النصارى وهو الصليب. كذلك أن تقيم الأم احتفالاً عند إكمال ولدها العام من تاريخ ولادته وهذا ما يسمى بعيد ميلاد الطفل(١)

---

(١) (بعض الناس يضيف عيداً ثالثاً هو عيد مولد محمد ﷺ فيقول:

المسلمون ثلاثة أعيادهم ... الفطر الأضحى وعيد المولد
فإذا انتهت أعيادهم فسرورهم ... لا ينتهي أبداً بحب محمد

ونحن نقول بأن المسلمين لهم عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى فقط (هما عيدان في السنة: وعيد ثالث يتكرر كل أسبوع هو الجمعة فهو عيد الأسبوع، روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة»، جعله الله تعالى يأتي بعد استكمال الصلوات المكتوبات التي هي أعظم أركان الإسلام ومبادئه العظام بعد الشهادتين. وهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند إكمال طاعة مولاهم الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب، أما أعياد المؤمنين في الجنة فهي: زيارتهم لربهم ﷻ فيزورونه ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم وينظرون إليه نسأل الله أن يكرمنا بذلك. روى أنس ابن مالك ﵁ أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين فقال ﷺ: «كان لكم يومان تلعبون فيهما قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى»، رواه النسائي وأحمد. ونرد على شاعرهم بقول شاعرنا:

عيدان عند أولي النهى لا ثالث ... لهما لمن يبغي السلامة في غد
الفطر والأضحى وكل زيادة ... فيها خروج عن سبيل محمد

أعياد المسلمين تنبع من الشرائع التي ارتضاها الله ﷻ لعباده من المسلمين، ولكي لا يترك الله ﷻ للناس تحديد أعيادهم دون ضابط أو وازع ولكي يكون للناس مجال للابتداع في دين الله ﷻ للمسلمين عيدين: فالأعياد الإسلامية توقيفية عن الشارع لا يزاد فيها ولا ينقص منها. والإسلام لا يعترف بسواهما، وباقي الأعياد التي في حياة الناس فهي من صنع الإنسان، وقد ابتلي المسلمون باتخاذ كثير من أعياد زمانية ومكانية ما أنزل الله بها من سلطان فأما الزمانية فكثيرة منها: عيد مولد محمد ﷺ، =

أو أن تطلب الأم من زوجها أن يلحق ولدهما في مدارس تعلم طلابها الموسيقى. ومن صور عدم مبالاة الأم في تربية أولادها حلاقة شعر ولدها بأشكال غريبة ومؤسفة فيها تشبه بالكفار.

o الخروج من البيت متبرجة ومن صور التبرج كشف الوجه، وضع غطاء شفاف على الوجه، لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة أو القصيرة (ومنها ما يسمى بالشانيل وما شابهه) أو لبس الملابس الشفافة، أو ذات

= وعيد مولد عيسى - ﷺ - والإسراء والمعراج، وليلة القدر والنصف من شعبان، ومنها ما يجعل لميلاد صالح أو من يظن صلاحه. ومنها ما يجعل لولاية بعض الملوك ويسمى عيد الجلوس وهو مأخوذ عن عيد النيروز عند العجم ومنها ما يجعل لثورة المنازعين للملوك وانتصار بعضهم على بعض وهو مأخوذ من عيد المهرجان عند العجم. ومن الأعياد المبتدعة أيضاً عيد الجلاء وعيد الغدير وعيد الكريسمس إلى غير ذلك من الأعياد المبتدعة لأيام السرور والأفراح مما لم يأذن به الله، وأما الأعياد المكانية فهي ما أحدثه الهمج الرعاع من الاجتماعات عند القبور واعتياد المجيء إليها إما مطلقاً وإما في أوقات مخصوصة، ولا سيما ما يفعل من الشرك الصراح والكفر البواح مما يخرج من ملة الإسلام.

مما يفعل عند القبر المنسوب إلى البدوي بمصر وعند القبر المنسوب إلى الحسين ﷺ بكربلاء وعند قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد وعند القبر المنسوب للسيدة زينب ﷺ وغيرها، فكل واحد من هذه القبور وغيرها قد جعله أشباه الأنعام عيداً لهم يضاهون به ما شرعه الله للحنفاء من الاجتماع عند الكعبة وفي عرفات ومزدلفة ومنى في أيام الحج، والقبور التي قد افتتن بها الضُّلَّال واتخذوها أعياداً لا حصر لها ولا حاجة إلى ذكرها وتعدادها إذ لا فائدة في ذلك وإنما المقصود هنا التحذير من مشابهة المشركين في أعيادهم الزمانية والمكانية وكلها باطلة وحرام تهنئة وإجابة دعوة ومشاركة، و كذلك يحرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة أو تبادل الهدايا أو توزيع الحلوى أو أطباق الطعام أو بالمال أو تعطيل الأعمال ونحو ذلك لأن مشابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور ورضى قلوبهم بما هم عليه من الباطل، وفي ذلك إقرار لما هم عليه من شعائر الكفر ورضى به لهم وإن كان هو لا يرضى بذلك وسواء أكانوا معه في العمل أم لا. وإذا هنؤونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك لأنها ليست بأعياد لنا، ولأنها لا يرضاها الله، ولو هنؤونا بأعيادنا. من فعل شيئاً من ذلك كله فهو آثم. سواء فعله مجاملة أو تودداً أو حياءً أو غير ذلك من الأسباب لأنه من المداهنة في دين الله ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم.

الفتحات الواسعة من جهة الصدر، أو ثياب قد شقت من جنبها إلى الركبة أو الساق سواء عند الخروج من البيت أو أمام المحارم غير الزوج مما قد يؤدي إلى افتتان الرجال بمحارمهم، وعدم لبس القفازات والجوارب الساترة لليدين والقدمين، لبس الكعب العالي، لبس العباءة المطرزة أو المزركشة أو القصيرة، وضع العباءة على الكتف، ولبس البنطلون أمام النساء أو المحارم وهذا كله لا يجوز، وتنتشر هذه الصور من التبرج في حفلات الزواج والأسواق والمستشفيات والمدارس وأثناء الخروج لزيارة الأقارب وغيرهم.

○ الاختلاط بالرجال الأجانب كأخي الزوج (الحمو)[1] وزوج الأخت وابن العم ونحوهم والتساهل بالمزاح معهم ورفع الصوت وعدم التستر عندهم حيث تلبس بعض النساء برقعاً أو غطاء خفيفاً وتجالسهم وتتجمل أمامهم دون وازع من دين أو رادع من حياء. بل إن بعضهن لا تكتفي بذلك فتجدها تصافحهم وهذا حرام سواء كان بحائل (كالعباءة ونحوها) أو من دون حائل. وقد قال ﷺ: «إني لا أصافح النساء»[2]، وقال ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[3]. وحديث عائشة: (وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها)[4].

○ بعض النساء تعد السائق كأنه ليس رجلاً فتقوم بتغطية وجهها عن غير محارمها من الرجال ولكنها تكشف للسائق وتخرج معه متعطرة ولا تبالي

---

(١) (ووصف ﷺ الحمو بالموت ومعناه: أن حماها هو الغاية في الشر والفساد فشبهه بالموت لأنه قصارى كلا بلاء وشدة وذلك أنه شر من الغريب من حيث أنه آمن مدل والأجنبي متخوف مترقب.

(٢) رواه الترمذي (٤/١٥٩٧)، أحمد (٦/٣٥٧)، النسائي (٧/ ٤١٩١)، ابن ماجه (٢/ ٢٨٨٤)، ابن حبان (٧/ ٤١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/٤٨٦).

(٤) رواه البخاري (٨/٤٨٨)، ومسلم (١٨٦٦) وهو حرام مطلق سواء كن شابات أم عجائز، وسواء كان المصافح شاباً أو شيخاً كبيراً، انظر ص٤٨٣، من فتاوى وتنبيهات ونصائح لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ، وللاستزادة انظر رسالة أدلة تحريم مصافحة الأجنبية لمحمد أحمد إسماعيل.

بذلك وتأخذ وتعطي معه في الحديث وقد تركب بجانبه. والأدهى والأمر والأعظم والأشر أنها ربما سافرت معه وبلا محرم[(١)].

○ الدخول إلى الأسواق باستمرار لغير حاجة ملحة، فتكثر الكلام مع الرجال كالبائعين والخياطين وتكثر الضحك والمزاح مع رفيقاتها في الأسواق بشكل لافت للنظر وتقضي أوقاتاً طويلة فيها من دون حاجة، وقد قال ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[(٢)]. وقد اتخذ بعض النساء الأسواق للتمشية والتسلية والعياذ بالله.

○ اتجاه بعض النساء للعلاج عند الأطباء الرجال بحجة الضرورة، وهذا حرام ما لم تكن ضرورة قصوى مع أنه بالإمكان أن تعالج عند طبيبات وفي المستشفى نفسه. وإن كان لا يوجد في المستشفى نفسه طبيبات فإنها قد تكون من اللاتي ينفقن المئات بل الآلاف على توافه الأمور ولا تحمي جسدها وعرضها بمالها من أن يتمتع به الأطباء أو ينظرون إليه فتذهب إلى أي مستشفى أو مستوصف طبي فيه طبيبات فتعالج عندهن وإن احتاجت الدخول على طبيب فليكن معها محرم.

---

(١) (لا تسافر المرأة ولو لحج إلا بمحرم (وهو من تحرم عليه على التأبيد بنسب أو سبب مباح) وهو (الذكر البالغ) لحديث: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوماً واحداً ليس معها ذو محرم» (رواه البخاري ومسلم). وهذا نهي عام يدخل فيه السفر للحج ولغيره، وقد أمر ﷺ الرجل ـ الذي تجهز للغزو وكانت امرأته تريد الحج ـ أن يحج معها ويدع الجهاد، ونص الحديث عن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرم ولا تسافر المرأة إلّا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال: «انطلق فحج مع امرأتك»، فأمره النبي ﷺ بالحج مع امرأته وتركه الجهاد، ولم يستفصل هل هي قبيحة أم جميلة، وهل معها نساء أو هل معها رفقة مأمونة؟! (متفق عليه واللفظ لمسلم). بعض الناس يذهب إلى مكة مع عائلته شباب وشابات ويتركهم يجوبون الأسواق ويتسكعون فيها يَفْتِنَّ ويُفْتَنَّ وهذه من المصائب، فإما أن تعتمر وترجع إلى بلدك أو تضبطهم، فإن لم تستطع ذلك فاجلس في بيتك فإنه خير لك.

(٢) رواه الترمذي (٣/ ١١٧٣)، الطبراني في الأوسط (٨٠٩٢)، ابن حبان (٧/ ٤٤٦)، ابن خزيمة (٣/ ١٦٨٦).

○ ومن المخالفات ما يحصل في بعض الأفراح من الإسراف في اللباس واستماع الغناء الماجن من أشرطة الكاسيت والرقص على صوت هذا الغناء الهابط وهذا لا يجوز، والذي ثبت بالسنة الضرب بالدف، وهو المغطى بالجلد من جانب واحد.

وكذلك ما يحصل من التصوير بآلة التصوير أو الفيديو، وأيضاً استعمال مكبرات الصوت وينتج عنه خروج صوت النساء بالغناء وهذا لا يجوز[1]. فتنبهي أختي المسلمة لذلك وإذا دعيتِ إلى زواج وعلمتِ أن فيه منكراً وتستطيعين على إزالته فاحضري وأزيليه وإلا يحرم عليك الذهاب إلى هذا الزواج أو توزيع بطاقة دعوة إليه.

○ ومن المخالفات ما تقوم به بعض الفتيات من اقتناء صور بعض اللاعبين والفنانين وتبادل تلك الصور بين الفتيات فيحصل بذلك مخالفات شرعية منها: تعلق قلب الفتاة بتلك الصور وهذا من أخطر الأمور فتنشغل الفتاة بحب تلك الصور عن حب ربها ﷻ، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) ومن المنكرات التصوير مطلقاً سواء كان مجسماً أو غيره، لها ظل أو لا، يدوي أو فوتوغرافي فإن ذلك كله حرام لعموم النصوص المانعة لذلك كله ولا مخصص. منها «لعن الله المصورين»، و«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»، و«إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم»، وكل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم»، و«من أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة». ولا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلَّا سويته»، و«من صوَّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ». قال ابن عباس: «فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه» إلخ وكلها صحيحة إما متفق عليها أو أحدهما، والمسلم الحق لا يسعه بعد هذه النصوص إلا الانقياد والاستسلام ضارباً عُرض الحائط بمن يبيحها أو يحملها على الكراهة. للاستزادة انظر: حكم الإسلام في التصوير تأليف الشيخ محمد الصابوني والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالح بن فوزان الفوزان والشيخ ناصر الدين الألباني. ومحرمات استهان بها الناس ص(٨١، ٨٢، ٨٣). والتنوير فيما ورد في حكم التصوير للغفيلي.

○ ومن المخالفات الخضوع في القول سواءً إذا تحدثت المرأة مع الرجال مباشرة أو بواسطة الهاتف وهذا لا يجوز. قال تعالى: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1].

متابعة الموضة في اللباس والتسريحات والعطور والمساحيق والاهتمامات النسائية وهذا ضعف في الشخصية وفقدان للهوية بل إنها قد تصرف على ذلك أموالاً كثيرة، وكذلك اقتناء المجلات التي تسمى بالبوردات وغيرها التي تحمل في طياتها الصور المحرمة، وأيضاً الموديلات والأزياء الكافرة التي تحث على التعري والتخلي عن الحجاب الشرعي وما يستر المرأة ستراً كاملاً، والسير خلف هذه المجلات وما تحمله من الشرور يجعل الكثير من النساء المسلمات يقعن في محاذير شرعية كثيرة منها تقليد الكافرات فيما يلبسن من الملابس الفاضحة والضيقة والشفافة وهذا هو أحد تفاسير قول الرسول ﷺ: «ربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»[2].

وكذلك تقع المرأة المسلمة في تقليد الكافرات في كيفية تسريح الشعر وقصه حيث تذهب إحداهن إلى الكوافيرات حتى يفعلن لها تلك القصات الدخيلة علينا من الغرب والشرق ثم تذكري أختي المسلمة يا من تحرصين على أن تظهري بأجمل المظاهر وأحسنها أمام زميلاتك حتى يقال عنك أنك ذات مظهر حسن وذوق رفيع في اختيار الملابس والموديلات والقصات، إنك لن تخرجي من هذه الدنيا إلا بكفن وستتركين خلفك كل ما أسرفت في تفصيله وحرصت على شرائه وامتلاكه من الملابس وغيرها.

○ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله في الأوساط النسائية، وقد يكون السبب إما حياء ممن حولهن أو خوفاً منهن وخاصة إذا كانت هؤلاء النسوة أكبر منهن سناً أو مركزاً اجتماعياً أو ترك ذلك بحجة أن: (دع الخلق للخالق)، وهذا كله من تلبيس الشيطان وهو

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٣٢).

(٢) رواه البخاري (١/ ٤٠ و٢/ ٦٢ و٩/ ٦٢)، فتح (١٠/ ٥٩٨).

كلام خطير مخالف لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١] الآية.

o بيتك هو دوحتك الصغيرة التي تستظلين فيها من هجير هذه الدنيا فاحرصي على أن يكون بيتك بيتاً إسلامياً، واحرصي على طاعة زوجك والتودد إليه وعدم تحميله ما لا يطيق ولا تجحدي معروفه، وعليك بالبشاشة في وجهه وقضاء حاجته، وتفقد أكله وشربه وراحته فإن حق الزوج عظيم وإنما هو جنتك ونارك. عن عمة محيصن بن محيصن قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال: «أي هذه! أذات بعل؟» قلت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» قالت: ما آلوه ـ أي لا أقصر في طاعته وخدمته ـ إلا ما عجزت عنه، قال: «أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»[٢].

وعليك أختي المسلمة بالاقتصاد في أمر البيت وعدم الإسراف والتبذير فإنك مسؤولة عن ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»[٣].

واحترمي مشاعر زوجك وأحسني معاشرته تفوزي بخيري الدنيا والآخرة. واحرصي كل الحرص على تنشئة أولادك كما نشأ أولاد الصحابة رضوان الله عليهم حيث تعلقت قلوبهم بالله، وعليك أن تحثيهم على المحافظة على الصلوات في المساجد وقراءة القرآن الكريم وربط هممهم بنصرة الإسلام وصرفهم عن توافه الأمور لتسهمي أيتها الأم المسلمة في إنشاء جيل يعيد للأمة مجدها المفقود وعزتها المسلوبة.

أقول: إن الأم هي أول من يغرس في الطفل مبادئ الدين وحب التدين، ولقد ظلت المرأة المسلمة تجود على أمتها بالعلماء العاملين

---

(١) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٢) رواه النسائي (٨٩٦٣)، الحاكم (٢/١٨٩)، أحمد (٣١/١٩٠٠٣)، البيهقي في الشعب (٨٧٢٩)، الطبراني في الكبير (٢٥/٤٤٨).

(٣) البخاري (٥١٨٨)، مسلم (١٨٢٩).

والمجاهدين الصادقين أمثال سعد وخالد وسمية وعائشة، فالمرأة المسلمة تهز المهد بيمينها وتزلزل عرش الكفر بشمالها، فكوني أختاه خير خلف لخير سلف فما ذاك الذي بين يديكِ بالطفل الذي يبقى أمد الحياة، بل هو رجل المستقبل أو هي أم المستقبل.

• فتاوى نسائية •

* وضع العباءة على الكتف تَشَبُّه بالرجال:

سؤال: ما حكم لبس المرأة عباءتها على الكتفين بدل لبسها على الرأس؟

جواب: أمر الله المؤمنة بالتستر الكامل لمنع الغير عن التطلع إليها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) ولبس العباءة على الكتفين يؤدي إلى بروز الرأس وبيان حجم المنكبين وإظهار بعض تفاصيل الصدر والظهر، وهذا يلفت النظر نحوها ويجُرِّئُ الفساق إليها وإن كانت عفيفة. ويخشى عليها الدخول في قوله ﷺ: «صنفان من أهل النار» أحدهما: «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها»، ولبس العباءة على الكتفين خاص بعباءة الرجال فإذا لبست المرأة عباءتها على الكتفين صارت مشبهة بهم. والله أعلم.

«الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين»

* لابسة البنطلون تدخل تحت حديث صنفان من أهل النار:

سؤال: ما حكم لبس (البنطلون) الذي انتشر في أوساط النساء مؤخراً؟

جواب: أرى ألّا ينساق المسلمون وراء هذه الموضة من أنواع الألبسة التي ترد إلينا من هنا وهناك، وكثير منها لا يتلاءم مع الزي الإسلامي الذي يكون فيه الستر الكامل للمرأة مثل الألبسة القصيرة أو الضيقة جداً أو

الخفيفة، ومن ذلك (البنطلون) فإنه يصف حجم المرأة وكذلك بطنها وخصرها وثدييها وغير ذلك، فلابسته تدخل تحت الحديث الصحيح: (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)، فنصيحتي لنساء المؤمنين ولرجالهن أن يتقوا الله ﷻ وأن يحرصوا على الزي الإسلامي الساتر وألّا يضيعوا أموالهم في اقتناء مثل هذه الألبسة. والله الموفق.

«الشيخ ابن عثيمين»

* حكم ذهاب المرأة إلى مقر عملها مع السائق:

سؤال: ما حكم ذهابي إلى مقر عملي مع سائق غير محرم لي وذلك لتعذر إيصال زوجي أو أحد من محارمي لي إلى المستشفى حيث أعمل طبيبة؟

جواب: لا يحل للمرأة أن تنفرد مع السائق وحدها ولو في وسط البلد لقول النبي ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»، والخلوة معه في السيارة كالخلوة معه في الغرفة لأن المحذور الذي يكون في الخلوة في الغرفة موجود في الخلوة في السيارة.

«الشيخ ابن عثيمين»

* نقاب اليوم نوع من السفور:

سؤال: سئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان كثر الحديث حول النقاب ومدى حله أو حرمته بماذا تنصحني فضيلة الشيخ حول هذا الموضوع؟

جواب: فأجاب فضيلته: «الواجب على المرأة المسلمة التزام الحجاب الساتر لوجهها وسائر بدنها، درءاً للفتنة عنها وعن غيرها، والنقاب الذي تعمله كثير من النساء اليوم نوع من السفور، بل هو تدرج إلى ترك الحجاب. فالواجب على المرأة المسلمة أن تبقى على حجابها الشرعي الساتر، وتترك هذا العبث الذي تفعله بعض السفيهات من النساء اللاتي تضايقن من

الحجاب الشرعي، فأخذن يتحايلن على التخلص منه».

○ أما فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فبعد أن بين الأصل في النقاب قال: (في وقتنا هذا لا نفتي بجوازه، بل نرى منعه، وذلك لأنه ذريعة إلى التوسع فيما لا يجوز، إلى أن قال: ولهذا لم نفتِ امرأة من النساء لا قريبة ولا بعيدة بجواز النقاب أو البرقع في أوقاتنا هذه، بل نرى أنه يُمنع منعاً باتاً، وأن على المرأة أن تتقي ربها في هذا الأمر، وألّا تنتقب، لأن ذلك يفتح باب شر لا يمكن إغلاقه فيما بعد).

● بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ●

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد كانت نساء المؤمنين في صدر الإسلام قد بلغن الغاية في الطهر والعفة، والحياء والحشمة ببركة الإيمان بالله ورسوله واتباع القرآن والسنة، وكانت النساء في ذلك العهد يلبسن الثياب الساترة ولا يعرف عنهن التكشف والتبذل عند اجتماعهن ببعضهن أو بمحارمهن، وعلى هذه السنة القويمة جرى عمل نساء الأمة ولله الحمد قرناً بعد قرن إلى عهد قريب فدخل في كثير من النساء ما دخل من فساد في اللباس والأخلاق لأسباب عديدة ليس هذا موضع بسطها.

ونظراً لكثرة الاستفتاءات الواردة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حدود نظر المرأة إلى المرأة وما يلزمها من اللباس فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين: أنه يجب على المرأة أن تتخلق بخلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشُعبة من شُعبه، ومن الحياء المأمور به شرعاً وعرفاً تستر المرأة واحتشامها وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عن مواقع الفتنة ومواضع الريبة.

وقد دَلَّ ظاهر القرآن على أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها مما جرت العادة بكشفه في البيت وحال المهنة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾. الآية. وإذا كان هذا هو نص القرآن وهو ما دلت عليه السنة فإنه هو الذي جرى عليه عمل نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ومن اتبعهن بإحسان من نساء الأمة إلى عصرنا هذا. وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في الآية الكريمة هو: ما يظهر من المرأة غالباً في البيت وحال المهنة ويشق عليها التحرز منه كانكشاف الرأس واليدين والعنق والقدمين، وأما التوسع في التكشف فعلاوة على أنه لم يدل على جوازه دليل من كتاب أو سنة، هو أيضاً طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها وهذا موجود بينهن، وفيه أيضاً قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبهاً بالكافرات والبغايا الماجنات في لباسهن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»، أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ رأى عليه ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها».

وفي صحيح مسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». ومعنى «كاسيات عاريات» هو أن تكتسي المرأة ما لا يسترها فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها.

فالمتعين على نساء المسلمين التزام الهدى الذي كان عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن ومن اتبعهن بإحسان من نساء هذه الأمة، والحرص على التستر والاحتشام، فذلك أبعد عن أسباب

الفتنة وصيانة للنفس عما تثيره دواعي الهوى الموقع في الفواحش.

كما يجب على نساء المسلمين الحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات طاعة لله ورسوله ورجاء لثواب الله وخوفاً من عقابه.

كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء. فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والكاشفة والفاتنة وليعلم أنه راعٍ ومسؤول عن رعيته يوم القيامة. نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل إنه سميع قريب مجيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٢١٣٠٢) وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤٢١هـ.

سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ السؤال التالي:

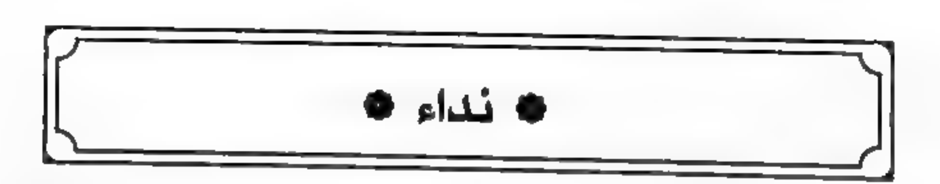
ما حكم لبس النساء أمام النساء الملابس ذات الأكمام القصيرة أي (ما فوق المرفق) والفتحات من جهة النحر والظهر أو الساقين، وما حكم الملابس الضيقة أو الشفافة علماً بأن ذلك أمام النساء دون الرجال، وكذلك لبس الملابس القصيرة وهو ما يصل إلى نصف الساقين مع الأدلة ما أمكن؟

جواب: الذي أراه أنه لا يجوز للمرأة أن تلبس مثل هذا اللباس ولو أمام المرأة الأخرى لأن هذا هو معنى قول النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»، قال أهل العلم: معنى كونهن كاسيات عاريات أنهن يلبسن ثياباً ضيقة أو ثياباً شفافة أو ثياباً قصيرة، وكان من هدي نساء الصحابة رضي الله عنهن أنهن يلبسن ثياباً يصلن إلى الكعب في الرجل وإلى مفصل الكف من الذراع في اليد إلا إذا خرجن إلى السوق فإنهن يلبسن ثوباً نازلاً تحت ذلك وضافياً على الكف، أو تجعل في الكف قفازين فإن من هدي نساء الصحابة لبس القفازين لقول النبي ﷺ للمرأة إذا أحرمت: ـ (لا تلبس

القفازين)، ولولا أن لبس القفازين كان معلوماً عند النساء في ذلك الوقت ما احتيج إلى النهي عنه في حال الإحرام.

سئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين حفظه الله السؤال التالي: فضيلة الشيخ ما رأيك في بعض النساء اللاتي يحضرن حفلات الزواج أو غيرها بملابس عارية بحيث تُظهر جميع البدن مع الأكتاف وبعض الصدر وأحياناً يكون مفتوحاً من الأسفل بحيث يصل إلى الركبة وأحياناً يكون ضيقاً يصف حجم الأعضاء مع العلم بأن هذه القضية مثارة الآن بين النساء حول ما يجوز كشفه واستدلوا بفتوى لأحد العلماء أجاب بأن عورة المرأة أمام المرأة من السرة إلى الركبة فما رأي سماحتكم؟

الجواب: لا يجوز التوسع بإبداء الزينة وإظهار المفاتن أمام النساء لما فيه من الدعاية إلى التفسخ وإبداء المحاسن، فيستخف الكثير بالحجاب ويبدون في الأسواق متبرجات). انتهت الفتاوى النسائية.



● نداء ●

○ **إخواني:** ارحموا أولادكم وشبابكم وانقذوهم من جهنم التي ما أعدت إلا للعصاة، وتذكروا أهل النار وهم في عذاب لا يفتر ولهب لا يطفى وجمر لا يخمد، حزنهم دائم وعذابهم لا ينقطع ولا يخف، وهم في حر وسموم وزمهرير وزقوم وحديد وسلاسل وأنكال وأغلال، يصطرخون في النار ويصيحون، لهم فيها بالويل ضجيج وبالخلاص عجيج أمانيهم الهلاك وما لهم من أسر جهنم فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ذل المعاصي. فارحموا أنفسكم وشبابكم من عذاب جهنم وخذوا بأيديهم إلى الجنة دار النعيم الأبدي والفوز العظيم السرمدي التي أعدها الله ﷻ لعباده الصالحين وجعل فيها ما لا عين رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، دارٌ لا يموت سُكّانها ولا يَخربُ بنُيانُها ولا يهرَمُ

شبانها ولا يتغيّر حُسنها وإحسانها، هواؤها النسيم وماؤها التسنيم، يتقلّب أهلها في رحمة أرحم الراحمين، ويتمتّعون بالنّظر إلى وجهه الكريم كل حين ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

فغداً موعدكم يوم الوقوف بين يدي الله، غداً ستسألون عن تضييع الأولاد، غداً سيوقفك أهلك ويقولون يا رب خذ حقنا من أبينا الذي ظلمنا لم لم يحصّنا، لم لم يحافظ علينا، لم لم يصنا، لم لم يحافظ على عرضنا، لم يسّر وسهل لنا في الدنيا الحرام وجاء به إلى بيوتنا.

يا فضيحة المقصرين والمهملين والمفرطين والمخلطين.

فلنعد لذلك المقام مقالاً وللسؤال جواباً وليكن جوابك حقاً صواباً وإلا لا أخالنا ناجين:

عادت وربك تُبَّع وثمود ... فإلام نذهب في الهوى ونعود
فالظالمون الناكبون عن الهدى ... هم والحجارة للجحيم وقود
يا غافلين عن العذاب تنبهوا ... والله إن حياتكم ستبيد
إن الذي أفنى الأوائل قادر ... أن يهلك الباقين وهو مجيد

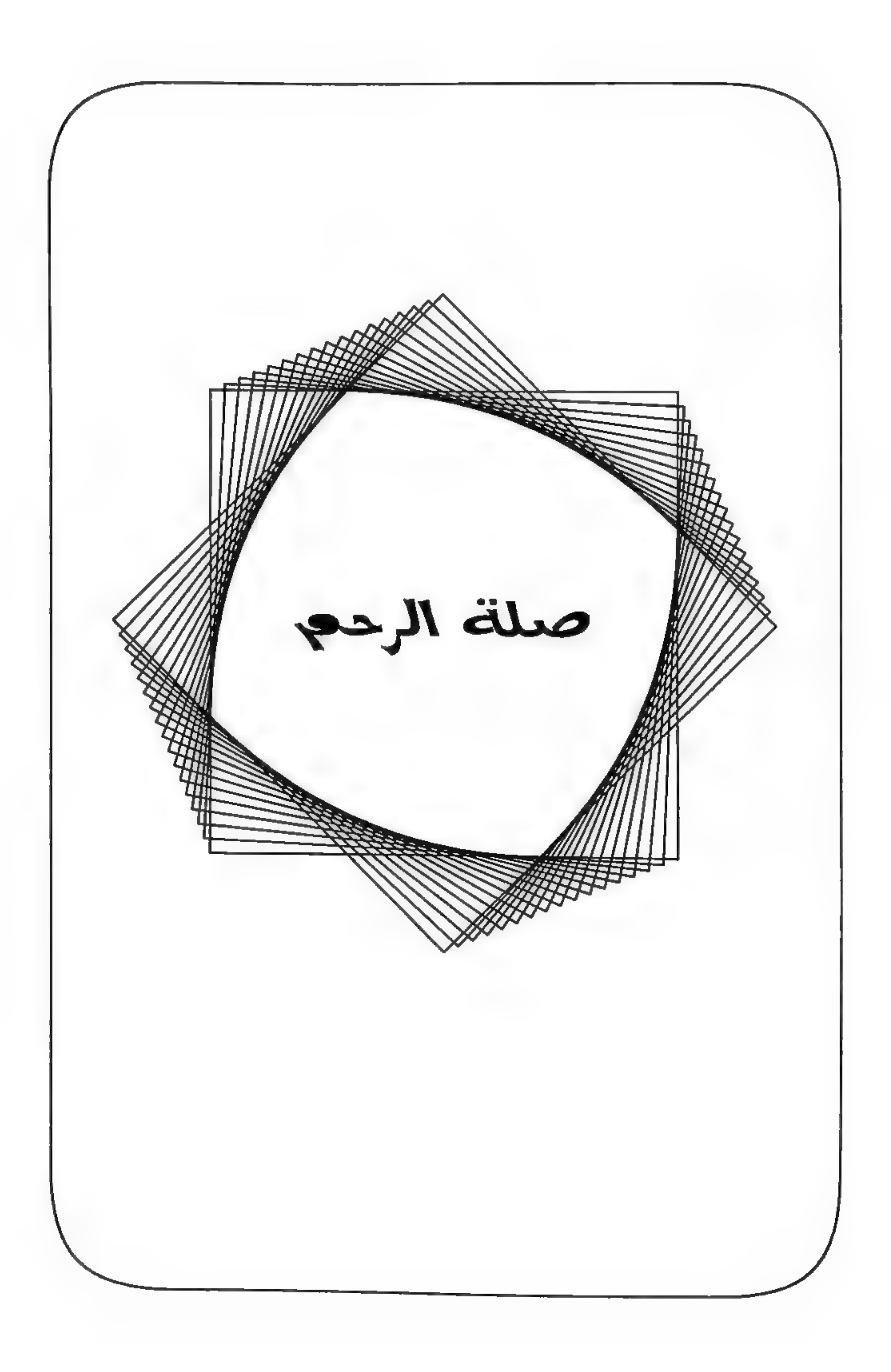
فما حال الذين فرطوا في الطاعات وأضاعوا الأمانات من الأولاد والبنات، وغشوا وخدعوا وخانوا ما ولّاهم وما خولهم في هذه الحياة.

○ إخواني: ـ إن الأمر خطير جد خطير. فاتقوا الله في أولادكم وربوهم على حب الله وخوفه والرجاء فيما عنده ومراقبته والوقوف عند حدوده والإذعان لأوامره والتمسك بدينه، أدبوهم بأدب نبيكم عوّدوهم على الطاعة.

إن الحديث عن تربية الأولاد ومسؤوليات الآباء تجاه الأبناء حديث طويل والمسؤولية عظيمة وما ذكرناه فيه كفاية بإذن الله.

ملكنا هذه الدنيا قرونا ... وأخضعها جدود قادرونا
وسطرنا صحائف من ضياء ... فما نسي الزمان ولا نسينا

حملناها سيوفاً لامعاتٍ غداة الروع تأبى أن تلينا
إذا خرجت من الأغماد يوماً رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يأخذنا ولي بطغيان ندوس له الجبينا
تفيض قلوبنا بالهدي بأساً فما تغضي عن الظلم الجفونا
وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخرونا
وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمته سنينا
وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر أين المسلمينا
ترى هل ترجع الماضي فإني أذوب لذلك الماضي حنينا
بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب صالحونا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا
هم وردوا الحياض مباركات فسالت عندهم ماء معينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكُّون المعاقل والحصونا
وإن جنَّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
شباب لم تحطمه الأعادي ولم يسلم إلى الخصم العرينا
ولم تشهد الأقداح يوماً وقد ملأوا نواديهم مجونا
وما عرفوا الأغاني مائعات ولكن العلا صيغت لحونا
وقد دانوا بأعظمهم نضالاً وعلماً لا بأجرئهم عيوناً
فيتحدون أخلاقاً عذاباً ويأتلفون مجتمعاً رزينا
فما عرف الخلاعة في بنات ولا عرف التخنث في بنينا
ولم يتشدقوا بقشور علم ولم يتقلبوا في الملحدينا
ولم يتبجحوا في كل أمر خطير كي يقال مثقفونا
كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مخلصاً حراً أمينا
وعلمه الكرامة كيف تبنى فيأبى أن يقيد أو يهونا
دعوني من أمان كاذبات فلم أجد المنى إلا ظنونا
وهاتوا لي من الإيمان نوراً وقووا بين جنبي اليقينا
أمد يدي فأنتزع الرواسي وأبني المجد مؤتلقاً مكينا


صلة الرحم

● صلة الرحم ●

وهي من أنفس القربات، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمَّها نفعاً في الدنيا والآخرة، كما أن قطيعتها من أفظع أنواع المعاصي قبحاً، وأخطرها شؤماً، وأسرعها عقوبةً، وأسوؤها في العاجل والآجل.

● فضل صلة الرحم ●

لقد عني القرآن الكريم بشأن الرحم عناية بالغة واهتم بها اهتماماً عظيماً، ولذلك فلا عجب أن نرى القرآن ذكر الرحم مع ذكر الله في آية واحدة قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[1]، وفي آية أخرى يأمرنا ﷻ بالإحسان إلى ذوي القربى بعد الإحسان إلى الوالدين ويجمع ذلك في آية واحدة، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].

وقد أمر الله بصلة الرحم من سبقنا من الأمم فذكر حقوق ذوي القربى حتى بعد حق الوالدين بعد الأمر بعبادته وتوحيده وهذا يعلمنا أن الإنسان الموحد لله العابد المطيع لا بد أن يكون وَصولاً لرحمه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾[3].

والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فنقتصر على بعض منها: يقول ﷺ: «... ومن كان

---

(١) سورة النساء: الآية (١).

(٢) سورة النساء: الآية (٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (٨٣).

يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[1]. وجاء إلى النبي ﷺ أعرابي فقال: «أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»[2]، وسئل ﷺ عن أحب الأعمال فقال: «الإيمان بالله، فقال السائل: يا رسول الله ثم مه؟ قال: ثم تصل الرحم...»[3]. وفي الحديث القدسي يقول ﷺ: «قال الله ﷻ: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت له اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته...) إلخ[4].

• ظنٌّ خاطئٌ •

قد يظن كثير من الناس أن صلة الرحم تذهب الأوقات والأموال، فأخبر الرسول ﷺ أن الأمر على خلاف ما يظنون، ففي الحديث الذي يرويه أنس بن مالك ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «من أحب أن يبسط الله له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[5].

• خطورة وفظاعة وشناعة قطيعة الرحم •

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، أي اتقوا الله وخافوا الله في الأرحام صلوها وبروها واحذروا قطيعتها.

---

(١) البخاري (٦١٣٦ ـ ٦١٣٨)، مسلم (٤٨).

(٢) البخاري (٥٩٨٣)، مسلم (١٣).

(٣) المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٠٠)، أبو يعلى (٦٨٣٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥١).

(٤) أبو داود (١٦٩٤)، الترمذي (١٩٠٧) أحمد (١/ ١٩١ ـ ١٩٤)، وابن حبان (٤٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٠٩).

(٥) رواه البخاري (٥٩٨٦) مسلم (٢٥٥٧).

فقطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب التي توعَّد الله القوي العزيز مرتكبها بألوان الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، كيف لا وقد قال الله للرحم حين عاذت به من القطيعة: «نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى...»[1].

فقاطع الرحم مقطوع من الله ﷻ، فأي خير يرجوه وأي شر وسوء يأمن منه في عاجل أمره وآجله ما دام متصفاً بقطيعة الرحم؟ فعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم». فأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم.

إذا علم ذلك فقطيعة الرحم ـ والعياذ بالله ـ من أسباب طمس القلوب وعمي البصائر والحرمان من العلم النافع بل ومن كل خير لأنها من الفساد في الأرض الذي حكم الله على أهله باللعن وسوء العقاب في الحال والمآل. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[3]. وثبت في الصحيحين أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة يقول ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[4][5].

وقال سفيان: يعني قاطع رحم، وأفاد الحديث التحذير من قطع

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٧) مسلم (٥٢٢٤).

(٢) سورة محمد: الآيات (٢٢ ـ ٢٤).

(٣) سورة الرعد: الآية (٢٥).

(٤) رواه البخاري (٥٩٨٤)، مسلم (٢٥٥٦).

(٥) ومعنى لا يدخل الجنة قاطع رحم أبداً إن أنكر وجوب صلة الرحم لأن من أنكر ذلك فهو كافر مأواه النار خالداً، أو لا يدخلها دخولاً أولياً وذلك بعد أن أخذ نصيبه من العذاب إن مات مؤمناً قاطع رحمه (تذكير شباب الإسلام ببر الوالدين وصلة الأرحام) لابن الجار الله مختصراً (٩٦ ـ ٩٩).

الأرحام والترهيب منها بعدم دخول الجنة ابتداءً أو أبداً إن كان مستحلاً للقطيعة عالماً بتحريمها.

تنبيه:

حديث: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»، حديث ضعيف[1].

● صور من قطيعة الرحم ●

كثير من الناس مضيعون لحق الرحم مفرطون فيه بل مضيعون، تجد الواحد منهم لا يعرف قرابته بصلة لا بمال ولا بجاه ولا بخُلق، تمضي الأيام والشهور وما رآهم ولا قام بزيارتهم ولا تودد إليهم بهدية ولا دفع عنهم ضرورة أو حاجة، بل ربما أساء إليهم بالقول أو بالفعل أو بالقول والفعل جميعاً ليصل البعيد ويقطع القريب.

○ بعض كبار السن ممن لسانه لا يفتر قائم صائم لا يفطر يحمل الضغينة والحقد والحسد للغير ويقطع رحمه.

○ شباب ملتزم لا يصل رحمه بل لا يعرفهم هل هم له أقارب أم أباعد، والبعض إذا سئل عن أقاربه قال هم ليسوا من أقاربي وإنما نشترك معهم في الاسم فقط ـ تهرباً ـ وبعضهم يقول: (يقولون أنهم من أقاربنا) وهذا مخالفة لقول النبي ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر»[2].

○ بل البعض يأنف أن ينتسب إلى قبيلته وعشيرته تكبراً وتعالياً عليهم.

(١) انظر: ضعيف الجامع للألباني (١٤٦٣)، والضعيفة (١٤٥٥).

(٢) السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٢٠).

أقول يا هذا اتق الله واحذر لعنة الله.

○ أخوان شقيقان من أجل حطام الدنيا ومتاعها الزائل تخاصما بل تبرأ كل منهما من الآخر، وهكذا أولادهما ومن أتى بعدهم.

○ آخر أُخبر أن أخاه الشقيق في المقبرة يغسَّل وأُلِحَّ عليه أن يشيع جنازة شقيقه فرفض حتى التعزية.

ما هذه أخلاق المؤمنين، فتب إلى الله وارجع وأنب.

○ وآخر يوصي أنه متبرئ من شقيقه حياً وميتاً ويرفض أن يشيع جنازته أو يحضر عزاءه إذا مات، ثم يأتي أخوه يسأل هل أشيع جنازته وهو قد أوصى عدم حضوري جنازته؟

(والله ما هذه أخلاق المؤمنين، فتب إلى الله وارجع وأنب، واجعل يرعاك الله العمر فرصة لفتح صفحة جديدة مع الأقارب والأصدقاء، واعلم أن أيام العمر قليلة فهي لا تحتمل منّا الهجر ولا وقت لذلك، فقد عتب حكيم على حكيم ذات يوم وكتب المعتوب عليه إلى العاتب: يا أخي إن أيام العمر أقصر من أن تتحمل الهجر فرجع إليه. وقد قال ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[1]. وقال النووي رحمه الله: (التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم).

وعن أبي خراشة السّلمي رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[2]. وسفك دمه: أي كأنما أراق دمه

---

(١) مسلم (٢٨١٢).

(٢) أبو داود (٤٩١٥)، وأحمد (٤/ ٢٢٠)، والحاكم (٤/ ١٦٣)، البخاري في الأدب المفرد (٤٠٤)، الصحيحة (٩٢٨)، أما إن وجد سبب شرعي للهجران كترك الصلاة أو إصرار على فاحشة فإن كان الهجر يفيد المخطئ ويعيده إلى صوابه أو يشعره بخطئه صار الهجر واجباً. وأما إن كان لا يزيد المذنب إلا إعراضاً ولا نتج عنه إلا عتواً ونفوراً وازدياداً في الإثم فعند ذلك لا يسوغ الهجر لأنه لا تتحقق به المصلحة=

عدواناً، وفيه ترهيب من الهجران والمقاطعة لأنها قتل معنوي لا يقل سوءًا عن القتل المادي المحسوس. قلت: فكيف بحال بعض الناس اليوم نرى الرجل منهم يهجر أخاه وعمّه وخاله ولا يزوره ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل أعجب وما لي لا أعجب والعجب لا ينقضي حينما أرى شخصاً جامعياً أو مدرساً أو مثقفاً أو... أو... أو... قد قطع خاله وعمّه وربما أخاه وأمه ولم يزرهم بل لم يتكلف في رفع سماعة الهاتف للسؤال عنهم، بل وأكثر من ذلك يسمع أنهم مرضى أو أصابهم مكروه ولم يتواضع للسؤال عنهم، فيا لله ما أقسى هذه القلوب ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1].

ألم تسمع يا مسكين قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[2]. قال العلامة ابن كثير في تفسيره: (هذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل وقد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال...) اهـ. وعن أبي هرير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحِقْوَي الرحمن فقال له: مه، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال تعالى: (ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك)، قال أبو هريرة ﷺ: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[3]، وعن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ:

= الشرعية بل تزيد المفسدة، فيكون من الصواب الاستمرار في الإحسان والنصح والتذكير.

(١) سورة البقرة: الآية (٧٤).

(٢) سورة محمد: الآيتان (٢٢، ٢٣).

(٣) البخاري (٤٨٣٠).

«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»[1]..

أخي الحبيب: والله لو نظرت إلى هذه الأحاديث نظرة معاتب لنفسه لبكيت على إفراطك، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»[2]، وما بعد الحق إلا الضلال، فهيا أُخيّ ابدأ من الآن وصل رحمك فالعمر قصير وأيام العمر أقصر من أن تتحمل الهجر، واعلم أخي في الله أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر فاقتصرت على ذكر القليل لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

• من هم ذوو الأرحام •

ولعل سائلاً يسأل: من هم ذوو أرحامي؟ فنقول: هم كل من ترتبط بهم أيها الإنسان بصلة القرابة والنسب.

وهم على الترتيب:

الآباء والأمهات والأولاد والأجداد والجدات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولاد الجميع من ذكور وإناث، ثم من يليهم من الأقرباء الأقرب فالأقرب.

بم تكون الصلة؟

وسائل آخر يقول: ما معنى صلتهم؟ فنقول صلتهم بالزيارة والمال والعون على الحاجات ودفع الضرر عنهم وبطلاقة الوجه والتواد والتناصح وتفقد الأحوال والتغافل عن الزلات والعثرات وإظهار محبتهم والاجتهاد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الصحيحة (٢/٩١٨).

في إيصال كفايتهم خصوصاً عند فقرهم وسد حاجتهم وبذل المعروف. فصلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة تكون بالخدمة وتارة تكون بالزيارة والسلام وغير ذلك.

والمعنى الجامع للصلة:

أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم بحسب الوسع والطاقة وهم أولى الناس بالمعروف، فصلة الرحم واجبة ولو كانت بسلام وتحية وهدية ومعاونة ومجالسة ومكالمة وتلطف وإحسان.

والناس مع أرحامهم على ثلاث درجات:

واصل، ومكافئ، وقاطع.

١ ـ واصل: من يتفضل على الغير ولا يتفضل الغير عليه، يصل ولا يوصل.

٢ ـ والمكافئ: الذي يُوصل إذا وُصِل.

٣ ـ والقاطع: الذي لا يُصل ولا يصل.

وقد يكون التقاطع من الطرفين والبادئ بالصلة يسمى الواصل.

يقول ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[1].

فعليك أخي المسلم أن تصل الرحم وإن قطعتك، وعليك أن توطن نفسك على تحمل المكروه من أقاربك لترضي ربك تبارك وتعالى، فإذا طرقت باب أرحامك وصدوك وطردوك فبإمكانك أن تصلهم محتسباً ذلك

---

(١) البخاري (٥٩٩١)، أبو داود ١٦٩٧)، الترمذي (١٩٠٨)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٧١٤).

عند الله تعالى، وتأمل الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن لهم ويسيئون إليّ وأحلم عليهم ويجهلون عليّ فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»)[1]، أي كأنما تضع التراب أو الرماد الحار في أفواههم.

فيا عبد الله: صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك.

ولله در الشاعر وهو يحكي عن بني عمومته:

وإن أكلوا لحمي وفَّرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

• تنبيه على بعض المسائل •

○ الزواج من القريبات مباح لا حرج فيه ولكن الأفضل عدمه لأنه ربما يحصل طلاق بينهما فيؤدي إلى قطيعة الرحم والشحناء بين أهل الزوجين بخلاف ما إذا تزوج من غير قريباته فحصل طلاق فحينئذ لا يؤدي إلى قطيعة الرحم.

○ بنات العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة كلهن من الأقارب ولكن هن أجنبيات بالنسبة لحرمة الخلوة بهن أو السفر بهن أو كشف الوجه أو مصافحتهن أو كونهن محارم. فيجوز أن يتزوج منهن.

○ يظن بعض الناس أن تحجب بنات العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة وكذا زوجة الأخ وعدم مصافحتهن يعتبر إهانة وقطيعة رحم وعدم ثقة، والأمر بخلاف ذلك فتحجبهن وعدم مصافحتهن هو الأمر المشروع المأمور به وخلاف ذلك نزغة شيطانية إبليسية.

---

(١) مسلم (٢٥٥٨ ـ ٦٤٧٧)، الترغيب والترهيب (٣٨١٣).

○ من أعظم صلة الرحم هو دعوتهم إلى الله ونصحهم وتوجيههم ورحمتهم بترغيبهم في طاعة الله وترهيبهم من معصية الله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1].

❁ فتاوى ❁

منع الزوجة من صلة رحمها

سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان: هل يجوز للزوج أن يمنع الزوجة من صلة رحمها، خصوصاً الوالدة والوالد؟

فأجاب فضيلته: صلة الرحم واجبة، ولا يجوز للزوج أن يمنع زوجته منها، لأن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب، ولا يحق للزوجة أن تطيعه في ذلك، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، بل تصل رحمها من مالها الخاص، وتراسله وتزوره، إلا إذا ترتب على الزيارة مفسدة في حق الزوج، بأن يخشى أن قريبها يفسدها عليه، فله أن يمنعها من زيارته، لكن تصله بغير الزيارة مما لا مفسدة فيه، والله أعلم[2].

الواجب مقاطعة هذه المجالس

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: في مجالسنا التي تجمع الأسرة غيبة ودخان ولعب بالورق ومشاهدة مسلسلات، وأنا لا أستطيع الإنكار عليهم خوفاً من تماديهم ووقوعهم في أعراض الدعاة والعلماء كعادتهم في بعض المجالس. فهل أترك مجالستهم أم ماذا أفعل؟

فأجاب فضيلته: الواجب عليك إذا كنت لا تستطيع تغيير المنكر الذي

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

(٢) المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان.

وقع فيه هؤلاء أن تقاطع مجالستهم لأن من جالس فاعل المنكر كان عليه من أثمه، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[1]. ولا يضر أنهم قاطعوك وقطعوا الصلة بينك وبينهم في المستقبل بناء على مقاطعة مجالسهم التي تشتمل على المنكر، وإذا قاطعوك وقطعوا صلتك ففي هذا الحال صلهم بما تستطيع، يكون عليهم إثم القطيعة ولك أجر الصلة[2].

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: نويت الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، ولكن قيل لي عند الذهاب إلى مكة لا بد من زيارة أقاربي حتى لا يقطع الرحم، فرفضت الذهاب للعمرة ابتغاء وجه الله تعالى حتى لا أقابل أخا زوجي الذي أضطر إلى مقابلته بواسطة أقاربي، وأضطر كذلك إلى كشف وجهي أمامه، فهل هذا صحيح أم لا؟ وبماذا تنصحوني.

فأجاب فضيلته: قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]. فجعل طاعة أولياء الأمور تابعة لطاعة الله ورسوله، فإذا تعارضت طاعة الله ورسوله مع طاعة أولي الأمر فالمقدم طاعة الله ورسوله. ولهذا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يحل كشف الوجه أمام أخي الزوج وأنت تعلمين أنه حرام، فالواجب عليك ستره حتى لو أدى إلى قطيعة بينك وبين أقاربك، لأنهم هم الذين قطعوا، وليس لهم طاعة في معصية الله ﷻ، فعليك أن تؤدي ما أوجب عليك، واعلمي أنك منصورة عليهم إذا قطعوك من أجل إقامتك لحدود الله ﷻ، والواجب عليهم

---

(١) سورة النساء: الآية (١٤٠).

(٢) فتاوى إسلامية.

(٣) سورة النساء: الآية (٩٥).

أن يقولوا في أحكام الله سمعنا وأطعنا، وأن لا يُغلِّبوا العادات على شريعة الله لأن شريعة الله هي الحاكمة وليست محكوماً عليها، والعادات محكوم عليها وليست حاكمة.

● أقارب الزوج من أخطر الأشياء على المرأة ●

وليُعلم أن من أخطر الأشياء على المرأة أقارب الزوج، وقد يكونون أخطر من الأجانب، لقول النبي ﷺ حين نهى عن الدخول على النساء وحذر منه فقال: «إياكم والدخول على النساء»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[1]، يعني أنه الشر الذي يجب الفرار منه ـ أي: من الخلوة به ـ وكذلك لأن (الحمو) هو قريب الزوج يدخل على بيت قريبه دون أن ينكر عليه أحد لكونه قريباً، ويدخل وهو يعتقد أن البيت بيته ولا يبالي، فيجري الشيطان منه مجرى الدم ويوسوس له في الفتنة حتى تحصل الفتنة وكم من قتيل للشيطان في هذه المسألة، لهذا يجب الحذر وغاية الحذر من التعرض للفتنة في أقارب الزوج.

وخلاصة الجواب: أنه يجب على المرأة السائلة أن تغطي وجهها عن أخي زوجها ولو أدى ذلك إلى غضبهم وإلى هجرهم لكن هي عليها أن تقوم بالواجب من صلة الرحم، وإذا قصروا فالإثم عليهم.

ذكرهم بحق القرابة

سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين: حينما كنت عند أخي الكبير مع إخوتي جلسنا نتذكر بعض المواضيع، وفجأة حصل خلاف بسبب موضوع عن تربية الأطفال، ثم قال لي أخي الكبير: اخرج من بيتي، ثم بعد ذلك قام وضربني، وقام إخوتي كذلك لمساعدته في ضربي. هل مقاطعتي لأخي

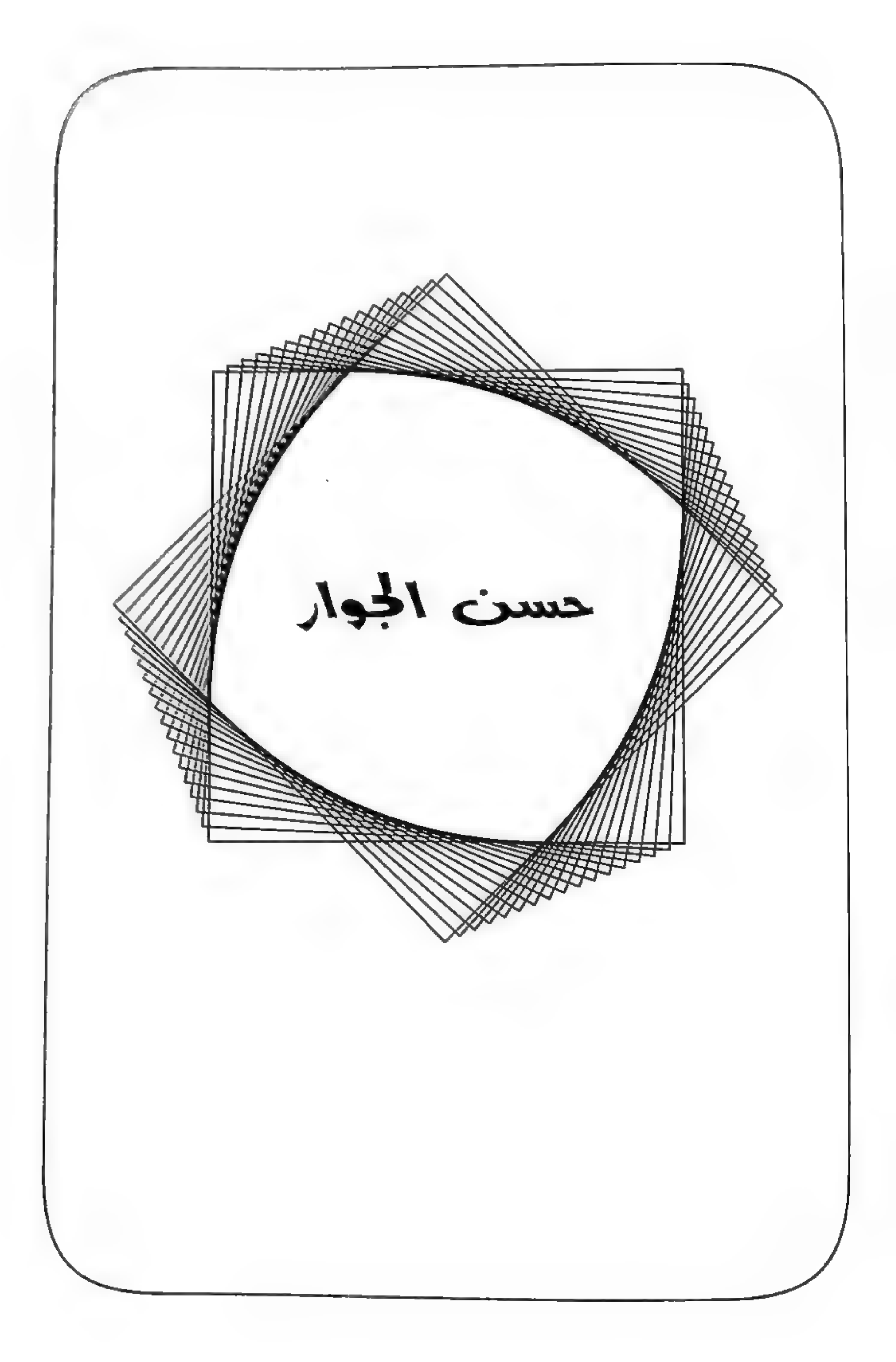
---

(١) متفق عليه البخاري (٩/٢٨٩ ـ ٢٩٠)، مسلم (٢١٧٢).

الكبير وإخوتي بعد ضربي وإهانتي فيه إثم عليّ؟ وإذا كان عليّ إثم فماذا أفعل وأنا حساس جداً؟

فأجاب فضيلته: لا بد أن يكون هناك أسباب حسية لهذا الضرب، فيمكن أنك أسأت الأدب معهم أو عبتهم في تصرفهم أو حقرتهم بشيء من الانتقاد مما نتج عنه أن ضربك الأكبر وأعانوه لعلمهم أنك تستحق الضرب. فإن كان الأمر كذلك فأرى ترجع إليهم وتعتذر متنصّلاً مما بدر منك، مظهراً للأسف والندم فلعلهم أن يعذروك ويعودوا إلى مقتضى الأخوة، ثم أرى حتى ولو كانوا خاطئين أن تراجعهم وتبدي عذرك، وتقر بأنك أخطأت في حقهم، طالباً منهم التغاضي عن الخطأ، ذاكراً لهم حق القرابة وذوي الأرحام وأن من قطعها قطعه الله، فلعل ذلك يكون له الأثر البليغ. والله الموفق[1] . . .

(١) مجموع فتاوى ابن جبرين.



حسن الجوار

❁ حسن الجوار ❁

لقد أوصى الإسلام بالجار، وأعلى من قدره، فللجار في الإسلام حرمة مصونة، وحقوق كثيرة لم تعرفها قوانين الأخلاق، ولا شرائع البشر. بل إن تلك القوانين والشرائع الوضعية لتتنكر للجار وتستمرئ العبث بحرمه، إذْ غالباً ما يكون العبث بحق الجار أسهل تناولاً، وأقل كلفة، وأسنح فرصة.

ولقد بلغ من عظم حق الجار في الإسلام أن قرن الله حق الجار بعبادته وتوحيده ـ تبارك وتعالى ـ وبالإحسان إلى الوالدين واليتامى، والأرحام، قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: هو الذي بينك وبينه قرابة، وقيل: هو الذي قرب جواره، وقيل المسلم وقيل الزوجة.

وقوله: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: قيل هو الذي يعد في العرف جاراً وبينك وبينه منزله فسحة. وقيل هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، وقيل: الزوجة، وقيل: غير المسلم.

أما السنة النبوية فقد استفاضت نصوصها في بيان رعاية حقوق الجار، والوصاية به، وصيانة عرضه، والحفاظ على شرفه وستر عورته، وسد خلّته، وغض البصر عن محارمه، والبعد عن ما يريبه ويسيء إليه. ومن أجلِّ تلك النصوص وأعظمها ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه

(١) سورة النساء: الآية (٣٦).

سيورثه»[1]، أي: ظننت أنه سيبلغني عن الله الأمر بتوريث الجار الجار.

وهذه كلمة جامعة بالغة، فإن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه وإسداء الخير إليه، وقوله ﷺ: «حتى ظننت أنه سيورثه»، يدل على أن الوصاية بالجار كانت على جانب عظيم من التأكد والحث على رعاية حقوقه[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي شريح ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[4].

فنفى الإيمان إلا بمحبة الجيران: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ـ أو قال: لأخيه ـ ما يحب لنفسه»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: (يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ـ وفي لفظ: تصوم النهار وتقوم الليل ـ وتؤذي جيرانها، قال: «هي في النار»، قيل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة»)[6]، الأثوار: القطع.

---

(١) البخاري (٦٠١٤ ـ ٦٠١٥)، مسلم (٢٦٢٤ ـ ٢٦٢٥).
(٢) باختصار من التقصير في حقوق الجار للحمد (١١، ١٢، ١٣).
(٣) البخاري (٦٠١٦)، مسلم (٤٦).
(٤) البخاري (٦١٣٦)، مسلم (٤٧).
(٥) مسلم (٧٢).
(٦) أحمد (٢/ ٤٤)، الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٩)، والبزار (١٩٠٢)، وابن حبان (٥٧٦٤)، الحاكم (٤/ ١٦٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٦٧)، صحيح الترغيب (٢/ ٢٥٦٠).

وأخبر ﷺ عن خصومة الجيران فقال ﷺ: «أول خصمين يوم القيامة جاران»[1].

وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره»، وقال مثله في السرقة[2].

ويقول ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»[3].

وفي الصحيحين[4] أن النبي ﷺ قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»، ولمسلم أيضاً: «فليحسن إلى جاره»[5]. وفي حديث آخر: «... وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً...» الحديث[6].

فلا يكفي الرجل في حسن الجوار أن يكف أذاه عن جاره أو أن يدفع عنه بيده أو جاهه يداً طاغية أو لساناً مقذعاً، بل يدخل حسن الجوار في أن يحسن إليه في كافة وجوه الإحسان، فذلك دليل الفضل وبرهان الإيمان وعنوان الصدق.

وقد ورد عن الرسول ﷺ: «صلة الرحم وحسن الجوار أو حسن

---

(١) الطبراني في الكبير بسند صحيح (٨٣٦، ٨٥٢)، أحمد (٤/ ١٥١)، وجوده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٤٩)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٦٤).

(٢) أحمد (٦/ ٨)، الهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٨)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٤٧)، رواه البخاري في الأدب المفرد وانظر الصحيحة.

(٣) الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٧) أبو يعلى (٢٦٩٩)، والحاكم (٢/ ١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٧٣)، وانظر الصحيحة (١٤٩)، والحاكم وأبو يعلى والطبراني وصحيح الترغيب (٢/ ٢٥٦٢)، والبخاري (٦٠١٨)، مسلم (٤٧).

(٤) البخاري (٦٠١٨)، مسلم (٤٧).

(٥) مسلم (٤٧ ـ ٧٦).

(٦) أحمد (٣/ ٣١٠)، الترمذي (٢٣٠٥)، والبيهقي في الزهد (٨٢٢)، ابن ماجه (٤٢٣٧)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٧٧٨).

الخُلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[1].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[2]، أي حافر شاة، وفي هذا توجيه نبوي لسبب من أسباب التحاب والتوادد بين الجيران وهو الهدية وإن صغرت وقلّت.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره» متفق عليه[3].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[4].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ فقال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت»[5].

وفي هذا بيان لعظم قدر الجيران ومنزلة إطلاقهم بوصف الإحسان أو الإساءة على الشخص، وقلة الإحسان إلى الجار نقيصة تزري بصاحبها وتدل على ضعف إيمانه وقلة رسوخه في الفضيلة، وإلا فإن الكرام يحسنون إلى جيرانهم غاية الإحسان.

وعن ابن عمر ﷺ قال: (لقد أتى علينا زمان ـ أو قال حين ـ وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب هذا أغلق بابه دوني

---

(١) أحمد الفتح الرباني (١٩/ ٥٤ ـ ١٩٠)، والصحيحة (٢/ ٣٤) صحيح الترغيب (٢/ ٢٥٢٤).
(٢) البخاري (٢٥٦٦)، مسلم (١٠٣٠).
(٣) البخاري (٦٤٦٣)، مسلم (١٦٠٩).،
(٤) رواه أحمد والترمذي وانظر الصحيحة (١٠٣)، وصحيح الترغيب (٢/٢٥٦٨).
(٥) أحمد الفتح الرباني (٩/ ٢٢٠)، وانظر الصحيحة (١٣٢٧)، وصحيح الجامع للألباني (٦١٠).

فمنع معروفه»[1]، وفي لفظ: «كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب! سل هذا: لم أغلق عني بابه ومنعني فضله؟!»[2].

• من حقوق الجار التي شرعها الإسلام •

السلام عليه ـ عيادته في مرضه ـ تهنئته في فرحه ـ الصفح عن زلاته ـ عدم التطلع إلى عورته ـ عدم مضايقته ـ ملاحظة داره عند غيابه ـ غض البصر عن محارمه ـ إرشاده إلى ما ينفعه في الدين والدنيا ـ إعانته على الخير ـ نصرته ـ إقراضه ـ الإحسان إليه حسب الطاقة.

• تعريف الجار باختصار وإيجاز •

الجوار: المجاورة والجار الذي يجاورك.

اصطلاحاً: من جاورك جواراً شرعياً سواء كان مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، صديقاً أو عدواً، محسناً أو مسيئاً، نافعاً أو ضاراً، قريباً أو أجنبياً، بلدياً أو غريباً. وله مراتب بعضها أعلى من بعض تزيد وتنقص بحسب قربه وقرابته ودينه وتقواه ونحو ذلك، فيعطى بحسب ماله وما يستحق. واختلفت عبارات أهل العلم في حد الجوار المعتبر شرعاً: فقيل أربعون داراً من كل جانب، وقيل عشرة دور من كل جانب، وقيل من سمع النداء فهو جار، وقيل الجار هو الملاصق الملازق، وقيل الذي يجمعهم مسجد واحد.

والأقرب والله أعلم أن حد الجوار يرجع فيه إلى العرف، فما علم عرفاً أنه جار فهو جار.

---

(١) البخاري في الأدب المفرد (١١١)، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨١)، حسن لغيره.

(٢) صحيح الترغيب (٣/ ٢٥٦٤).

وذلك لأن النصوص الواردة في الجوار عموماً جاءت مطلقه غير مقيدة بقيد أو بحد معين، ولم يدل نص شرعي ثابت بأن حد الجوار هو كذا وكذا فيرجع في ذلك إلى العرف.

والجوار في المسكن هو أجلى صور الجار وأوضحها، ولكن مفهوم الجار لا يقتصر على الجوار في المسكن فحسب بل هو أعم من ذلك، فالجار معتبر في المتجر والسوق والزرعة والمكتب ومقعد الدرس[1].

• فائدة •

حديث (النبي وصى على سابع جار) هذا لا أصل له وإنما يدور على ألسنة العامة، فالوصاة بالجار ثابتة لكن تحديد السابع منها لا أصل له مرفوعاً والله أعلم[2].

والجار المسلم حقه مقدم على غير المسلم، فقد روي أن «الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم».

وهو حديث ضعيف[3]، ولكن معناه صحيح.

---

(١) باختصار وإيجاز من التقصير في حقوق الجار للحمد (٧ ـ ٩)، وانظر: جوامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٤٣٧)، وفتح الباري (١٠/ ٤٥٥ ـ ٤٦١)، وانظر: رسالة (أحكام الجوار)، رسالة جامعية.

(٢) انظر: حقوق الجار في صحيح السنة والآثار، لعلي عبد الحميد (٤١).

(٣) هذا حديث مرفوع عن جابر ﷺ ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٩٥)، عن البزار وذكره ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٤٢)، من غير إسناد وهو ضعيف، وقد رواه الذهبي معلقاً عن ابن فديك، انظر: كتاب حق الجار للذهبي وما عليه من تعليق (٤٦)، ومعناه صحيح وقد ذكره ابن القيم من كلام الإمام أحمد في إعلام الموقعين (٢/ ١١٦)، انظر: حق الجوار، للحيد (٢٣)، وانظر: رسالة حقوق الجار في صحيح السنة والآثار، لعلي عبد الحميد (٢٨ ـ ٤٠).

● (صور من مراعاة حقوق الجار عند السلف الصالح)[1] ●

لقد أخذ سلفنا الصالح بالنصوص الواردة في الوصاة بالجار وجعلوها واقعاً عملياً وضربوا أروع الأمثلة في حفظ الجوار والقيام بحقوقه، وأذكر هنا بعض الأمثلة وإلا فهناك الكثير الكثير.

١ ـ جاء في المسند والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ذبح شاة فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ ثلاث مرات ثم قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

٢ ـ قال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ: «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمعروف»[3].

٣ ـ قال الحسن: (ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار احتمال الأذى).

٤ ـ كان للإمام أبي حنيفة جار إسكاف (صانع)، يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه، أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشرب فيه رفع صوته وهو يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وأبو حنيفة يسمع صوته وكان يصلي الليل ففقد صوته فسأل عنه فقالوا: سجنه الأمير، فسار إليه فقال الأمير: يطلق، فركب أبو حنيفة والإسكاف وراءه فقال له

---

(١) باختصار وتصرف من رسالة لفت الأنظار إلى حقوق الجار لمشبب الأحمري (٥٥ ـ ٥٩ ـ ٦٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مسلم (٢٦٢٥).

أبو حنيفة: يا فتى أضعناك؟ فقال له: بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار، وتاب الرجل.

٥ ـ كان لعبد الله بن سهل التستري جار نصراني وانهدم جزء من الجدار الفاصل بين منزليهما مما يلي كنيف الجار النصراني، فكانت النجاسة تخرج إلى بيت سهل الذي يقوم مساء كل يوم بإخراجها، ومكث على هذا الحال زمناً طويلاً حتى مرض فاستدعى جاره النصراني وأخبره عن ذلك خشية أن يموت فيجيء جار لا يصبر على هذا الأذى فعجب النصراني من هذا الصنيع وأسلم.

غير أن كثير من المسلمين قد فرط في هذ الحق العظيم أيما تفريط.

• صور من التفريط في حق الجار •

فمن الناس من لا همَّ له إلا خاصة نفسه وما عدا ذلك لا يعنيه في قليل ولا كثير، ففرح الناس وحزنهم ومشكلاتهم لا تشغل حيزاً من تفكيره ولو كان جاره القريب. ومن الناس من لا يعرف جاره الملاصق وربما دامت الجيرة سنوات عديدة وهم على هذه الحال إما تجاهلاً أو تهاوناً أو اشتغالاً بالدنيا وقلة الفراغ للتعرف على الجيران أو نحو ذلك.

ومن الناس من لا يربي أولاده على رعاية الجار واحترامه وترك أذيته. بل ربما رأى أولاده يسيؤون للجار دون أن يحرك ساكناً. بل ربما دافع عنهم إذا شكا منهم أحد الجيران بسبب أذيتهم وتسلطهم.

وكثيراً ما يشكو بعض الجيران من مضايقة جيرانهم لهم بوضع مخلفات البناء والنفايات أو إيقاف السيارات أمام أبواب منازلهم مما يسبب لهم الضيق والحرج. أو فتح النوافذ على بيته والإطلال منها لكشف عوراته أو إيذائه بالأصوات المزعجة كالطرق والصياح وخصوصاً في أوقات النوم والراحة، وبعض الخونة ينتهز غياب جاره في نوبته الليلية ويدخل بيته

ليعيث فيه الفساد، فالويل له فالويل له من عذاب يوم أليم.

أقول: إن من الظواهر التي تلفت الأنظار، وتبعث على الأسى، وهي أن الناس في الحي الواحد من أحياء البلد الكبير، ليس بينهم تواصل وتزاور واجتماعات أسبوعية أو شهرية، ولا يكاد يعرف بعضهم بعضاً، الجار يجهل جاره لا يعرف اسمه كاملاً لا يعرفه إلا بكنيته، لا يدري أين يعمل ومن أي القبائل هو، مع أنه يراه في المسجد وقد يكون بجانبه فيه، كل واحد منهم قد أغلق عليه بابه، لو أتى أحد غريب عن هذا الحي وسأل أهله عن أحد الساكنين فيه، فلن يعطى جواباً، كل ما يقول له: لا أدري، ما أعرف، قد يكون في هذا الحي أسرة محتاجة فقيرة، فلا يدري أهل الحي عنها، قد يكون فيه أسرة مكلومة مهمومة فلا ينتبه لها، بل إن لم أبالغ قد يكون في هذا الحي قريب لأحد ساكنيه فلا يعلم قريبه عنه شيئاً، يمرض أحدهم ويشفى وجيرانه الساكنون في هذا الحي لا يعلمون بمرضه، قد يموت ولا يشعرون بموته، ولا شك أن هذه ظاهرة غريبة على مجتمعنا، لم تكن معروفة في أسلافنا، وهي تنافي ما أمر الله به ﷻ وأمر به رسوله عليه الصلاة والسلام، من التواصل والتعارف بين الناس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. وفي قوله ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2].

كون هذا الأمر يحصل في المجتمعات الكافرة التي نبذت دين الله ﷻ وراءها ظهرياً، واستبدلت الأخلاق الفاضلة بالأخلاق الرذيلة، فليس بالغريب بل أن هذا هو نتاج الكفر بالله ﷻ، ولا سيما في هذا البلد غريب حقاً ومؤلم جداً، إن لهذه الظاهرة أسباباً ودواعي يأتي في مقدمة هذه الأسباب وعلى رأسها ضعف الباعث الديني في القلوب، ليس في القلوب

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٢) الترمذي (١٩٤٠).

باعث ديني قوي يبعث على التواصل والتعارف والتزاور بين الناس في الحي الواحد، لأن هؤلاء الذين حصلت منهم هذه الظاهرة لو فكروا وتأملوا ما في التواصل بين الناس ـ لا سيما بين القريب وقريبه والجار وجاره ـ من الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله وأيقنوا بهذا إيقاناً تاماً، لما حصل منهم هذا التقاطع وهذا التباعد، ولو فكروا وتأملوا ـ أيضاً ـ ما في التواصل والتزاور من الأثر العظيم على القلوب من حلول المحبة والمودة فيها، وذهاب البغض والحقد والحسد منها، لما حصل منهم هذا الأمر، ولو علموا أن في التواصل والتزاور إغاظة لشيطان ولأوليائه من الأنس والجن وأن في هذه الإغاظة أجراً من الله وثواباً، لبادروا إليه بطيب نفس ورضى قلب، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

ولكن جهلهم بهذا هو الذي أدى بهم إلى الوقوع في هذا الأمر الغريب على مجتمعنا. ومن الأسباب التي جعلها هؤلاء أسباباً لهذه الظاهرة: أن كل واحد منهم يرى أنه أحق بالزيارة والسؤال عنه من غيره لكونه شريفاً أو وجيهاً أو نسيباً أو حسيباً أو ذا مال أو منصب، وهذه في الحقيقة رؤية جاهلية، ونظرة عمياء صماء، هل في بني آدم كلهم أشرف وأكرم وأوجه وأفضل نسباً وحسباً من رسول الله ﷺ؟ أبداً، وليس في بني آدم كلهم أشرف وأكرم وأوجه وأفضل نسباً وحسباً من رسول الله ﷺ، ومع هذا كان يزور الضعفاء والفقراء، والأعراب، ويسأل عن أحوالهم ويتفقد أمورهم، ويعود المرضى ويشهد الجنازة ويجيب الدعوة ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم ولم ينظر إلى ما نظر إليه هؤلاء.

ومن الأسباب: أن بعضهم يتعذر بكثرة الأعمال والارتباطات ويجعلها

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٢٠).

هي الحائل بينه وبين التواصل والتعارف والتزاور مع أهل حيِّه، وهذا لا يسلم له، فهل هو كل ليله ونهاره وأيامه في ارتباط وعمل؟ أبداً وهل هو أكثر عملاً وأشد مسؤولية من رسول الله ﷺ؟!

الذي تمنعه مسؤوليته أداء الرسالة والدعوة إلى الله من زيارة أقاربه وأصحابه ومن حوله ووصلهم والسؤال عنهم، أفلا يتخذ هذا يوماً في أسبوعه يتعرف على جيرانه وأهل حيه ويتواصل معهم ويتعرف عليهم فقد يكون مسؤولاً مهماً في الدولة فيسعى في قضاء حاجة المحتاج من جيرانه وأهل حيه، وتسهيل أمورهم، أو ثرياً فيواسي الفقراء والمحتاجين من ماله ويعينهم على نوائب الدهر، أو وجيهاً فيستفيد الناس من جاهه، وقد قال النبي ﷺ يوماً لأصحابه وهم جلوس حوله: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»[1].

ومن الأسباب الشخصية التي تكون في بعض الناس لا في كلهم الاستحياء من مقابلة الناس والدخول معهم والتعرف عليهم، والخوف مما قد يحصل له من الأذى القولي والفعلي، وهذا استحياء مذموم، والنبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[2].

ومن الأسباب الشخصية الذاتية: الانزواء، تجده منزوياً على نفسه لا يكلم أحداً ولا يختلط بأحد من بيته إلى مسجده إلى عمله، وهذه عزلة مذمومة لم يأت وقتها ولمَّا يأت، وهذا ـ أيضاً ـ مرض نفسي ـ نسأل الله السلامة والعافية منه ـ جدير بصاحبه أن يطلب له علاجاً وينشط في علاجه ولا يستسلم له، لأن هذا المرض إذا استفحل به، فإنه كما قطعه عن الناس فسوف يقطعه عن نفسه وعن النظر في مصلحتها ومنفعتها، ومن أحسن

---

(١) رواه البخاري (١٤٣٢).

(٢) أحمد (٢/٤٣)، البخاري في الأدب المفرد (٣٨٨)، الترمذي (٤/٢٥٧)، ابن ماجه (٢/٤٠٣٢).

الأدوية له مخالطة الناس ومنادمتهم والحديث معهم.

أقول: ما يراه المسلم في العصر الحاضر من تقصير أكثر الناس في حقوق جيرانهم وعدم القيام بما يجب عليهم لجيرانهم وما يجري في المحاكم الشرعية من دعاوى ومنازعات بين الجيران ذلك كله نتيجة لضعف الوازع الديني وغلبة حب الدنيا والجهل بحقوق الجيران وتعقد أمور الحياة وكثرة المشاغل وتباعد المساكن وتوسع العمران.

تنبيه:

تجد كثيراً من الناس لا يبالي باختيار الجار الصالح، خصوصاً إذا أراد بناء منزل جديد أو شرائه، فتراه يحرص على حسن الموقع وقربه من الخدمات. أما صلاح الجيران من عدمه فلا يشغل باله ولا يمر بخياله، وهذا خلل وخطر وخطأ وخطل.

يقول ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»[(١)].

بل قد تعوذ النبي ﷺ من الجار السوء فكان يقول: «اللهم أني أعوذ بك من جاء السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول»[(٢)(٣)].

ومن كلام علي رضي الله عنه: (الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق)[(٤)(٥)].

---

(١) أحمد (١/ ١٦٨)، ابن حبان (٣٢)، البزار (١٤١٢)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٧٨٦).

(٢) ابن حبان (١٠٢٩)، النسائي (٨/ ٢٧٤)، البخاري في الأدب المفرد (١١٧)، الحاكم (١/ ٥٣٢)، المنذري في الترغيب (٣/ ٣٧٦٣).

(٣) باختصار من التقصير في حقوق الجار (٧٦ ـ ٧٧).

(٤) بهجة الجالس (١/ ٢٩١)، والآداب الشرعية.

(٥) الجار قبل الدار ثبت موقوفاً عن علي، أما مرفوعاً فلم يثبت، وانظر: رسالة: (حقوق الجار في صحيح السنة والآثار لعلي عبد الحميد (٣٧ ـ ٣٨).

وأخذه الشاعر فقال:

يقولون قبل الدار جار موافق   وقبل الطريق النهج أنس رفيق

وقال آخر:

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم   لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

• مقترحات •

١ - يقترح عقد اجتماع شهري للجيران مبني على مصلحة المجتمع الدينية والأخلاقية والاجتماعية والمادية، بحيث يكون هذا الاجتماع يهدف إلى بحث الحالات التي تحتاج إلى مساعدة من أهل الحي الواحد كالأسر الفقيرة وطلبة العلم المحتاجين، أو الآباء العاجزين عن العمل، أو الأيتام الذين ليس لهم من يعولهم، أو المعاقين وذوي العاهات الذين يحتاجون إلى تقديم أي خدمة لهم من أهل الحي.

ويكون ضمن هذا الاجتماع أناس من أهل الثروة والجاه والقادرين على العطاء والمساعدة، ويخصص لهم شخص أو شخصين أي لبحث الحالات التي تحتاج مساعدة أو زكاة أو صدقة أو نحوها. ويكون هناك أشخاص آخرون لبحث بعض الحالات التي يلاحظ عليه تغير في الأخلاق والتصرفات لتوجيه النصح والإرشاد لهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وكذلك الذين يلاحظ عليهم تقصير في حضور الصلوات ويكون ذلك بالزيارة ولين العبارة وتذكير المقصر بما أوجب الله عليه ويكون ذلك بسرية تامة وعدم النصح في التجمعات أو الشارع بل في بيته بطريقة لا تجرح الشعور ولا تسبب البغضاء والشحناء، فإن بعضاً ممن أرادوا النصح ودعوة الناس للخير جانبوا الصواب بالأسلوب الغليظ والتهجم على الناس بما لا يقره الشرع الحنيف، وهذا الأسلوب ضرره أعظم من نفعه!!

٢ - يقترح توزيع رسالة هادفة على أسرة الحي (الجيران في كل حي)

من خلال المسجد أو الاجتماع الذي يعقد شهرياً لدراسة ومناقشة أوضاع الحي، فإن هذه الطريقة لها فائدة عظيمة حيث تصل الرسالة إلى أناس بعضهم لم تمس يده رسالة دينية منذ صغره، إما لبعده عن الخير أو لعدم معرفته لمثل تلك الرسائل، أو لعدم رغبته في شرائها من المكتبات لأنه يريد كل شيء يصله مجاناً والله المستعان، وكذلك الشريط الإسلامي النافع الذي يتحدث عن أمور تهم المسلم في حياته وبعد مماته، وقد جرب هذا ووجد أن الشريط أنفع من الرسالة لأمور منها: وجود بعض أفراد المجتمع لا يحسن القراءة ولا الكتابة فيكون الشريط نافعاً له ولسهولة السماع لأنها لا تأخذ وقتاً من الإنسان فقد يسمعه وهو ذاهب لغرضه أو آتٍ ونحو ذلك[1].



(١) باختصار من لفت الأنظار (٥١ ـ ٥٢).



رعاية اليتيم

● رعاية اليتيم[1] ●

اليتيم: هو من فقد أباه قبل أن يبلغ الحلُم، فإذا بلغ الحُلُم فإنه لا يسمى يتيماً، وإطلاق اليتيم عليه بعد البلوغ مجاز وليس حقيقة.

وقال القرطبي: قال الماوردي: إن اليتيم يقال في بني آدم في فقد الأم، ثم قال القرطبي: والأول هو معروف. يعني أن اليتيم في بني آدم من فقد أباه، وأما اليتيم بفقد الأم فهو في البهائم... اهـ[2].

وعلى ذلك فإن من فقد أباه وأمه وهو صغير تكون مصيبته أكبر وحالته أسوأ ممن فقد أباه فقط أو أمه فقط، خصوصاً إذا فقدهما أو أحدهما وهو رضيع أو قريب منه. ورعاية كل أمور اليتيم فرض على أقرب الناس إليه فإذا قام به هذا القريب سقط هذا الفرض عن باقي الأقارب، وإذا لم يقم به أقرب الناس إليه، أو أساء التصرف مع اليتيم أو اليتيمة، فرض على الأقارب الآخرين التدخل لتصحيح الوضع، فإن لم يفعلوا وجب على من يعلم أن يبلغ حاكم البلد ليتدخل، فيعزر القريب المسيء، أو يعين غيره كفيلاً للصبي ووصياً عليه رجلاً كان أو امرأة، لأن كفالة اليتيم فرض كفاية يجب على الأمة كلها، فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين.

ورعاية أمور اليتيم تشمل كل احتياجاته التي يحتاجها أمثاله ومن ذلك حسن تربيته وتعليمه التعليم المناسب لأمثاله، سواءً أكان تعليم صنعة أو حرفة يتعيش ويكتسب منها إن كان فقيراً، أو تعليمه تعليماً عالياً مناسباً إن كان غنياً. كما تشمل كفالته ورعايته الاهتمام بماله حفظاً وتنمية وعدم الإسراف فيه، وله أن يتاجر بهذا المال ويشارك فيه حسبما يرى أنه يصلح له، وللكفيل أن ينفق على نفسه من مال اليتيم بالمعروف إن كان فقيراً،

---

(١) باختصار وتصرف من السلوك الاجتماعي لحسن أيوب (٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٤).

وكان استثمار مال اليتيم يشغله عن التكسب لنفسه. وله أن يخلط مال اليتيم بماله ويخصم منه قدر نفقة الصبي حسب التقدير العادل عرفاً، فإن الصحابة ﷺ بعد أن نزلت الآيات محذرة من أموال اليتامى، عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، وصاروا يطعمونهم منعزلين عن أبنائهم فشق ذلك على اليتامى وعلى الأوصياء الذين يكفلونهم، فأنزل الله تعالى حكم التخفيف عنهم في ذلك وأباح لهم خلط أموال اليتامى بأموالهم فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

غير أن القرآن حذر الأوصياء على اليتامى من أمرين تحذيراً شديداً.

الأول: أكل مال اليتامى، بمعنى أخذ أموالهم أو شيء منها بغير وجه حق. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[2]. كما عد النبي ﷺ أكل مال اليتيم من السبع الموبقات، وقرنه بالشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا... نسأل الله السلامة والعافية.

الثاني: أن يستبدل الرديء من ماله بالطيب من مال اليتيم، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾[3]﴾[4].

فليتق الله أولئك الأوصياء. فليتق الله أولئك الأوصياء الذين ينتهزون فرصة صغر اليتيم فيبددون أمواله ويأكلونها ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

وإذا كان اليتيم عاجزاً عن المراجعة والمحاسبة والمراقبة فما الله بغافل

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٢٠).
(٢) سورة النساء: الآية (١٠).
(٣) إثماً عظيماً.
(٤) سورة النساء: الآية (٢).

عما يعمل الظالمون، يقول تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾[1].

فعلى من كان في حجره يتيماً أن يحسن إليه حتى في الخطاب فلا يخاطبه إلا بنحو يا بني مما يخاطب به أولاده. وكما تدين تدان، أي كما تفعل يُفعل معك. بينما الإنسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به فيجزيه الله في ماله وذريته وعياله بنظير ما فعله مع غيره إن خيراً فخير وإن شراً فشر. فليخش العاقل على أولاده وماله إن لم يكن له خشية على دينه، وتصرَّف على الأيتام الذين في حجره بما يحب أن يتصرف وليُّ أولاده لو كانوا أيتاماً عليهم في ماله.

وأعلم أنك تزرع ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة.

ألا أيها المغرور ما لك تلعب ... تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الموت ينقضّ مسرعاً ... عليك يقيناً طعمه ليس يعذب
كأنك توصي واليتامى تراهم ... وأمهم الثكلى تنوح وتندب
تغص بحزن ثم تلطم خدها ... يراها رجال بعدما هي تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ... ويحثي عليك الترب والعين تسكب

فحينئذ تقول أنت:

وأقبلت الصغرى تمرغ خدها ... على وجنتي حيناً وحيناً على صدري
وتخمش خديها وتبكي بحرقة ... تنادي أبي إني غلبت على الصبر
حبيبي أبي من لليتامى تركتهم ... كأفراخ زغب في بعيد من الوكر

وقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية برعاية اليتيم وكفالته والعناية بشأنه اهتماماً لا يخطر ببال الإنسان، ونال اليتيم من العناية به ما لم ينله أي قريب محتاج من ذوي الرحم المحرم، وكأن الإسلام جند المسلمين جميعاً للقيام بحق اليتامى، والتقرب إلى الله بالعطف عليهم، ونيل أعظم الدرجات

---

(١) سورة النساء: الآية (٩).

بسبب البذل لهم والقيام بما يحتاجون إليه، من الرحمة، وحسن التربية، والإقبال عليهم، والتبسم في وجوههم ومسح رؤوسهم وتفقد شؤونهم في كل حين، خصوصاً في المواسم السارة كأيام الأعياد، وذلك ليشعر اليتيم أنه إن كان فقد أباه فقد وجد في الرحماء آباء يعطفون عليه ويتولون أمره، فلا تنكسر نفسه ولا يشعر بذلة أو حزن وهو يرى كل ولد يسير بجوار أبيه، ويقبل بفرح عليه ويترامى بين أحضانه، لأنه وجد له من المسلمين أكثر من واحد يصنع معه ذلك. وكذلك تجد الفتاة أكثر من امرأة تحاول تعويضها عن أمها... وهذا هو نفس المنهج الإسلامي في إدخال السرور على الجميع، وفي نشر روح السعادة بين أفراد المجتمع، وفي تحقيق أكبر قدر من العناية والرعاية والعطف للضعفاء والمحرومين. عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره[٢] أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى»[٣]، وعن أبي الدرداء ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه. قال: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»[٤]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»[٥]، وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك ومن أنتِ؟ فتقول أنا امرأة قعدت على

---

(١) البخاري (٦٠٥٥)، الترمذي (١٩٢٣) أبو داود (٥١٥٠).

(٢) يعني قريباً كان أو أجنبياً.

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٤) انظر: صحيح الترغيب (٢/ ٢٥٤٤).

(٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٨/ ١٦٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٣)، وانظر: صحيح الترغيب (٢٥٤٥).

أيتام لي»[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة[2] والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبه قال: ـ وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»[3].

والحديث جئت به هنا حتى لا أجعل له باباً خاصاً، وله صلة كبيرة بما نحن فيه فإن اليتيم ضعيف من ناحية والأرملة ضعيفة من ناحية، وعلى أن الأرملة قد تكون قائمة برعاية يتامى في حجرها فتكون رعايتها والسعي عليها، بمعنى جلب الرزق لها ومساعدتها في أمور المعيشة رعاية لمن معها من اليتامى، فينال ثواب الاثنين معاً وما أعظمه من ثواب لكن الناس غافلون.



(١) مجمع الزوائد (٨/١٢٦)، أبو يعلى (٦٦٥١)، الترغيب والترهيب (٣/٣٧٤٢)، وقال المنذري: إسناده حسن إن شاء الله.
(٢) التي لا زوج لها.
(٣) البخاري (٦٠٠٧)، مسلم (٢٩٨٢).


الوصية
بالخدم والعمال

● الوصية بالخدم والعمال ●

أخي المسلم: ـ إن النبي ﷺ كان آخر ما تكلم به وأوصى به الناس وكرر مراراً حين حضره الموت (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)، كما قال أنس ﷺ: (كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه)[1]. وفي قول النبي ﷺ: «ما ملكت أيمانكم» رد على أعداء الإسلام الذين ينتقدونه بأنه دين الإقطاع وهضم الحقوق ويضربون الأمثلة بالرق والعبيد مع أنهم يعلمون أن نظام الإسلام لا مثيل له.

يقول العلامة الشيخ ابن عثيمين حفظه الله: (من مكارم الأخلاق أيضاً الرفق بالمملوك والخدم، والمملوك يشمل المملوك الآدمي والبهيم). والرفق بالمملوك الآدمي: يكون بأن تطعمه إذا طعمت وتكسوه إذا اكتسيت ولا تكلفه ما لا يطيق، والرفق بالمملوك من البهائم سواء كانت مما تركب أو تحلب أو تقتنى، يختلف بحسب ما يحتاج إليه، ففي الشتاء تجعل في الأماكن الدافئة إذا كانت لا تتحمل البرد، وفي الصيف في الأماكن الباردة إذا كانت لا تتحمل الحر، ويؤتى لها بالطعام والشراب إن لم تحصل عليه بنفسها بالرعي، وإذا كانت مما تحمل فلا تحمل ما لا تطيق. وهذا يدل على كمال الشرع وأنه لم ينس حتى البهائم بل جعل لها حقاً.

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[2]، وقال ﷺ: «بينما كلب يطيف بركيَّة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت

---

(١) ابن ماجه (٢٦٩٧)، النسائي في الوفاة (١٨ ـ ٢٤)، أحمد (٣/١١٧)، الحاكم (٣/ ٥٧)، ابن حبان (٦٥٧١).

(٢) مسلم (٢٢٤٢).

موقها فاستسقت له به فسقته فغُفر لها به»[1]. فانظر يا هذا إلى رحمة الإسلام بالبهائم.

فيا من يظلم الخادم والعمال ويضطهدهم ويضيق عليه ويهضم حقهم أو يكلفهم ما لا يطيقون ولا يحتملون أو يسخرهم عنده كالبهائم احتقاراً لهم. وبعضهم ينتهز فرصة ضعف الخدم والعمال فيوقعون بهم ألوان الأذى والسب والشتم وكأنه ليس بآدمي أو ينقض العهود والاتفاقات التي بموجبها جاء بهم إلى البلاد فيعيشون عيشة ظلم وقهر وهضم للحقوق، أو ينقص من أجره أو يستحل شيئاً من راتبه، أو يؤخر رواتب العمال عن وقتها.

أخي المسلم: أترضى أن يتأخر راتبك الشهري خمسة أيام أو ستة؟! إذا كان لا يرضيك هذا فكيف ترضى لمسكين أو مسكينة تأخير رواتبهم شهوراً، وهم ما أتوا لهذه البلاد إلا لكي يطعموا من تحت أيديهم في بلادهم الفقيرة، فلهم طفل وشيخ وابن وابنة!

بل بعض أقاربهم لربما يموت بسبب المرض نظراً لتأخر وصول مبلغ شراء الدواء!.

فليخف الله المماطلون الظالمون المعتدون وليتقوا عذابه وليعلموا أن دعوة المظلوم لا ترد حتى وإن كانت من كافر. عن جابر ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[2].

وقال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته. وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[3].

---

(١) مسلم (٢٢٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٩).

وعليك يا أخي المسلم بحديث الرسول ﷺ: «أعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه»[1].

ولا تأخذ من أموالهم شيئاً وادفع إليهم ما كان في عقودهم من راتب إجازة أو غيره. وتأمل في حال رجل خرج يقاتل مع رسول الله ﷺ فيقتل ولكن أين مكانه وقد أخذ شيئاً يسيراً من الغنائم؟!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضةً إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم، فوجهه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا بسهم عابر فقتله فقال الناس هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة ـ كل ما اشتمل به من الكساء ـ التي أخذها يوم خيبر من المغانم التي لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «شراك من نار أو شراكان من نار»[2].

ويقول ﷺ: «قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[3].

أقول لهؤلاء الظلمة المعتدين الجائرين: إن الله ﷻ إذا ملك أحداً شيئاً فاستبدَّ به وأساء، سلبه ما ملَّك وأعد له سوء المنقلب. وللظالم يوم وللمظلوم دعوة مستجابة ولو بعد حين، وعلى الباغي تدور الدوائر والله مع المظلوم حتى يأخذ حقه وليس الله بغافل عما يعمل الظالمون.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٤٣)، الإرواء (١٤٩٨).
(٢) رواه البخاري (٦٧٠٧).
(٣) رواه البخاري (٢٢٧٠).

ولله در القائل:

لا تهين الفقير علّك أن ... تركع يوماً والله قد رفعه

ويقول الآخر:

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

يا ظالم إنك مهدد بمحق البركة وخراب البيوت، ومهدد بأن يسلط الله عليك ظالماً أقوى منك، ومهدد بلعنة الله وغضبه وبشدة سكرات الموت وبدعاء الناس عليك، وتذكر قول الله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3].

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غداً عند المليك من الملوم

ويقول الآخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأقول: اتق الله، خف الله في هذا الضعيف المسكين، هذا لا يحل لك، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس وإن كان شيئاً يسيراً، أعطه حقه كاملاً مستوفى، بل أعطه أجره قبل أن يجف عرقه قبل أن يكون هذا المال عليك جمراً وناراً وغضباً ولعنة، لأنك ظلمته ولماله بخسته وغصبته.

---

(١) سورة غافر: الآية (٥٢).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٤٢).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٥٠).

اتق الله فيمن جعلهم الله عندك خدماً وعمالاً، ارفق بهم لا تكلفهم ما لا يطيقون، وإذا كلفتهم فأعنهم لا تبخسهم حقهم تجاوز عن سقطاتهم اغفر هفواتهم، وفي الحديث: «إخوانكم خولكم جعلهم الله قنية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»[1].

وكما تقول عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة ولا خادماً ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله)[2].

حذار حذار من ظلمهم أو انتهاك حرمتهم أو ضربهم، فقد رهَّب الإسلام من هذه القسوة وتوعد عليها، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي يقول: اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني فإذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى، فقال ﷺ: «لو لم تفعل للفحتك النار»[3]. ويقول ﷺ: «من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة»[4]، ويقول ﷺ: «من ضرب مملوكاً ظلماً أُقيد منه يوم القيامة»[5].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه؟ ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال ﷺ: «كل يوم سبعين مرة»[6]. فحرام إهانة المسلم وخذله وإن كان خادماً وجعله كالبهيمة أو كالآلة. ولا يكن هؤلاء الأجراء طريقاً لك إلى

---

(١) متفق عليه البخاري (٣٠)، مسلم (١٦٦١).
(٢) رواه مسلم (٨٤ ـ ٨٥)، نووي.
(٣) مسلم (١٦٥٩)، وغيره.
(٤) البيهقي في السنن (٨/ ٤٥)، صحيح الأدب المفرد (١٣٧)، صحيح الجامع (٦٣٧٤).
(٥) مجمع الزوائد (٣/ ٢١١)، كنز العمال (٢٥٠٢١)، صحيح الجامع (٦٣٧٤).
(٦) صحيح الترمذي (٣/ ١٥٩٠)، الصحيحة (٤٨٨).

النار يوردونك الموارد إما بتكشف الخادمة أمامك أو أمام أبنائك أو أمام الجيران أو غيرهم. بل سارع إلى سترها وحشمتها ولا تدعها تخرج للشارع أو غيره إلا باللباس الشرعي فإنها أمانة عندك والله مسترعيك وسائلك عنها.

ثم احذر إن كان لديك سائق أو عامل أن يخلو بأحد نسائك أو بناتك فإن في ذلك خطراً عظيماً وشراً مستطيراً، ونسمع بحوادث تشيب لها الذوائب، وثق بأهلك ومحارمك ولكن لا تثق برجل أجنبي عنهم وبعضهم لا يستأمن على قطيع غنم فكيف تستأمنه على شرفك وعرضك؟ أو كيف يضيع نساؤك أمام عينك؟ وتقدم حديث (الحمو: الموت).

فإذا كان الأخ من النسب صاحب الشهامة والغيرة يحذر النبي ﷺ من دخوله على بيت أخيه، فما بالك بإنسان أجنبي ليس فيه غيرة، وليس محرماً لأهلك.

وأقول: لا يجوز اتخاذ الخدم أو السائق إلا للضرورة الملحة والحاجة الماسة، ومن ابتلي بشيء منهم فعليه:

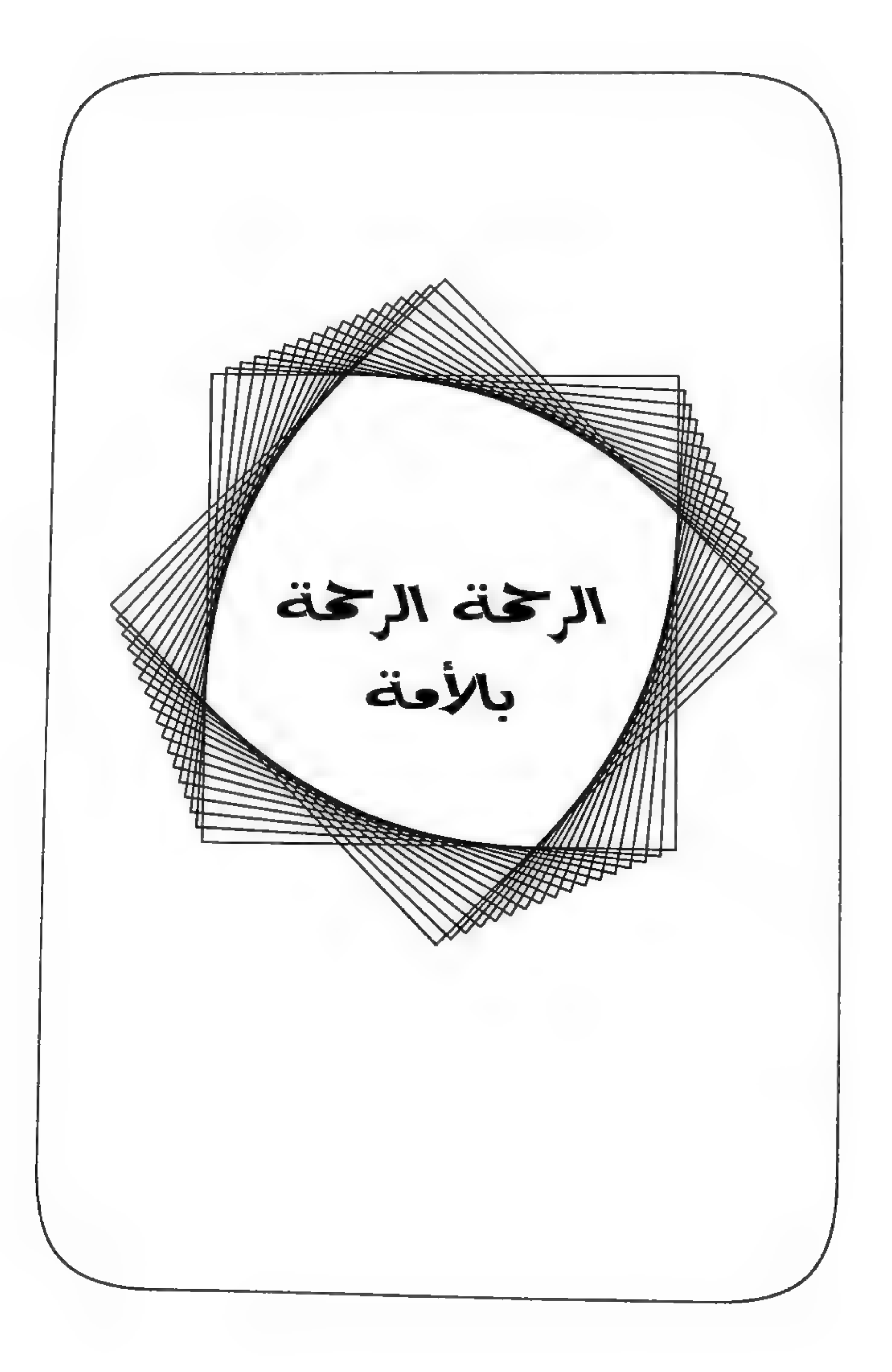
١ ـ اختيار النوعية الصالحة منهم التي حسن إسلامها.

٢ ـ مراقبة إسلامهم وهذا هو الأهم، ويكون ذلك بتعليمهم العقيدة الصحيحة وغرسها في نفوسهم وبمراقبتهم في أداء الفرائض كالصلاة وفي السلوك الإسلامي والاحتشام وعدم الاختلاط، والسير على تقاليد الأسرة المسلمة وتعليمهم الدين الحنيف.

٣ ـ استعمالهم كخادمات وخدم فقط لهم حدود معينة في الخدمة.

٤ ـ أن يرفق بهم ويحسن إليهم وينقذهم من النار وأسبابها وأن لا يترك لهم منفذاً للمعاصي والمنكرات، وأن يكون لهم ناصحاً أميناً لا يخون الخادم أو الخادمة بتدنيس أعراضهم أو لمساً أو نظرة محرمة، فهذا خيانة بالخدم والخادمات، وبأي وجه يلقى الله من يلمس الخادمة أو ينظر إلى

زينتها ووجهها وكفيها أو أن تجلس المرأة بجانب السائق أو يخلو بالخادمة، فيوم القيامة تقف بين يديك وتطالب بحقها يوم القيامة. فهل لك قدرة على نفحة ولفحة النار؟ أين وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» ومن ابتلي بسائق أو خادم كافر فليتق الله وليحرص على إسلامه بترغيبه ومعاملته بالحسنى حتى يملك قلبه فإذا ملك قلبه سمع كلامه واستجاب لندائه ولعله يرجع إلى بلاده داعية إلى الله ﷻ.


الرحمة الرحمة
بالأمة

● الرحمة الرحمة بالأمة
وذلك يكون بـ (الدعوة إلى الله) ●

إن مقام الدعوة إلى الله مقام عظيم، وكلما بعد الناس عن هدي الكتاب والسنة، واكتنفتهم البدع والأهواء والمعاصي والمخالفات، احتاجوا إلى الدعوة المباركة التي تحيي القلوب وتوقظ الضمائر، وتحرك كوامن الخير في النفوس حتى تتحقق العبادة لله وحده لا شريك له، فالدعوة إلى الله هي القطب الأعظم في الدين وهي المهمة التي بعث الله بها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطها وأهمل علمها وعملها لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمَّت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وتخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد. فتن كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيراناً تنذر الأمة بشؤم عقاب يوم أليم، وسكوت كثير من المسلمين عنها وكأن الأمر لا يعنيهم وترك السفهاء في الأرض يعيثون فساداً ولا يجدون من يأخذ بأيديهم كل ذلك نذير عقوبة من الله ﷻ... إذ ليس بيننا وبينه ﷻ نسب ولا عهد فيجاملنا ويغض الطرف عن مساوئنا... كما نسمع من أخبار الزلازل والفيضانات والبراكين الحارقة والحروب المدمرة وعقوبات وسنن إلهية... فهل اعتبرنا من هذه الحوادث من قبل أن يصلنا ما وصل أولئك القوم الظالمين.

أخي المسلم إن الدعوة إلى الخير وحث الناس على تقوى الله وطاعته واتباع نور الله الذي أنزله على رسوله ﷺ لهو الحل الأمثل لننجوا مما حل بغيرنا من العقوبات المؤلمة التي نعلمها ونسمعها ونشاهدها كل يوم وآخر...

أخي الحبيب إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وعلم فقه الدعوة إلى الله.

وكل سكوت من المسلم القادر إقرار للباطل وإتاحة له أن يصول ويجول، فما رفع الباطل رأسه في يوم من الأيام إلا عندما كان أهل الحق في غفلة ونوم وانشغال.

وإنني حين أقدم على كتابة هذه الرسالة عن الدعوة إلى الله لأستحي من الله ﷻ حيث قصّرت في حقها، حتى صدق فيَّ قول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

وقول القائل:

والله لو علم الأنام قبيح سريرتي ... لأبى السلام عليّ من يلقاني

ولكنني أعود فأتذكر قول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: (على شارب الكاس أن ينهي الجلاس). فإن ضيعت خيراً في التطبيق فقد يجعل الله خيراً في شخص آخر يقرأ فيطبق، (فلرب مبلغ أوعى من سامع).

أسأل الله أن ينفعني وإخواني المسلمين بهذه الكلمات ويوفقنا إلى دعوة صالحة أو نصيحة صادقة، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

o حكم الدعوة إلى الله ﷻ في هذا الزمان، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد حسب طاقته)[1].

واعلم أن وظيفة النبي ﷺ الرئيسية الأولى الدعوة إلى الله ﷻ، فهي شعار رسالته الحقيقية ووظيفته وعنوان مهمته ﷺ.

واعلم أنه كما أن الدعوة إلى الله ﷻ واجبة على الرسول ﷺ فهي كذلك واجبة على أتباعه كل بحسب حاله واستطاعته، لا يسعه تركها بحال

---

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في الدعوة، لزياد السعدون.

من الأحوال، وأن نصيبه من متابعة النبي ﷺ بمقدار نصيبه من الدعوة بل إن الصلاح الشخصي الذي لا يتجاوز صاحبه وهو يرى حدود الله ﷻ تُنْتَهَكُ ومحارمه تُسْتَبَاحُ وهو بارد القلب هادئ البال لا يُجْدِيهِ غداً عند الله كما ورد في الحديث: (إن الله أمر جبريل أن يأخذ قرية فيقلب عاليها سافلها. فقالت الملائكة: يا رب إن فيها عبدك فلاناً لم تصعد له معصية منذ كذا وكذا. فقال الله ﷻ: «**به فابدأ، فإنه لم يتمعّر وجهه يوماً من أجلي**»)[1].

فهذا على الرغم من صلاحه فمع الباطل جعله عند الله أول الهالكين.

وانظر قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمَّهم الله تعالى بعقاب»[3].

○ هل الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، أم تقتصر على العلماء وطلاب العلم فقط، وهل يجوز للعامي أن يدعو إلى الله؟

إذا كان الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه فلا فرق بين أن يكون عالماً كبيراً يشار إليه أو طالب علم مجداً في طلبه، أو عامياً، لكنه علم المسألة علماً يقيناً، لأن الرسول ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية»[4]، ولا يشترط في الداعية أن يبلغ مبلغاً كبيراً في العلم. ولكن يشترط أن يكون عالماً فيما يدعو إليه. إما أن يقوم عن جهل ويدعو بناء على عاطفة عنده فإن هذا لا يجوز، ولهذا نجد من الإخوة الذين يدعون إلى الله وليس عندهم من العلم إلا قليل، نجدهم لقوة عاطفتهم يحرمون ما لم يحرمه الله، ويوجبون

---

(١) شعب الإيمان (٦/ ٩٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٦٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٣١٦)، ابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١/ ١٦، ٢٩، ٥٣)، شاكر، أحمد (٣١/ ١٩٢٣٠) وصححه الألباني.

(٤) البخاري (١٤٥).

ما لم يوجبه الله على عباده، وهذا أمر خطير جداً، لأن تحريم ما أحل الله كتحليل ما حرم الله، فهم إذا أنكروا على غيرهم تحليل هذا الشيء فغيرهم ينكر عليهم تحريمه أيضاً لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[(١)]، أما العامي فلا يدعو وهو لا يعلم، بل لا بد أولاً من العلم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[(٢)]. فلا بد أن يدعو إلى الله على بصيرة لكن الشيء البين، أو المعروف البين، فله أن يأمر به إذا كان معروفاً وينهى عنه إذا كان منكراً.

أما الدعوة فلا بد أن تسبق بعلم لأن من دعا بلا علم فإنه يفسد أكثر مما يصلح كما هو ظاهر. فالواجب أن يتعلم الإنسان أولاً ثم يدعو ثانياً، أما المنكرات الظاهرة، والأمر بالمعروف الظاهر، فهذا يؤمر بالمعروف فيه وينهى عن المنكر. وانظر قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[(٣)]، لتجد أن الدعوة إلى الله ﷻ واجبة في حق كل مكلف، فالخطاب هنا أمر والأمر ـ كما في القاعدة الأصولية ـ للوجوب ما لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا بل حتى أساليب الدعوة أوجب الله ﷻ علينا أن نسلك أفضلها وأحكمها.

وأنك لتجد المسلم المتقاعس عن القيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ قد أفلس من كل عذر وحجة وهو يسمع قول النبي ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية»[(٤)]، بل إن السمة البارزة والعلامة الفارقة لأمة الإسلام بين الأمم هي أنها أمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر تعيش لهذه القضية وتشتغل بهذه

---

(١) سورة النحل: الآية (١١٦، ١١٧).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٤) تقدم تخريجه.

الوظيفة تصبغ بها حضارتها وتدخل في جميع تفاصيل حياتها وتنال بها الحظوة والرفعة والتميز، قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ولو لم يكن دافعاً للنهي عن المنكر إلا خشية سؤال الله يوم القيامة لكفى، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لا يحقر أحدكم نفسه! قالوا: يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»[2]. وإنك أخي المسلم لتدرك خطورة الأمر وأنت تستمع إلى المصطفى ﷺ وهو ينفي الإيمان عن كل من لم يقم بواجب الدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حده الأدنى وصورته الصغرى وهي إنكار الباطل والدعوة إلى الحق بالقلب عند العجز عن ممارسة ذلك باللسان والجوارح وذلك في قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس بعد ذلك مثقال حبة خردل من إيمان»[3][4].

دل الحديث على أن إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، أما إنكار القلب فلا بد منه، فإذا لم ينكر بالقلب دل على ذهاب الإيمان منه. والإنكار بالقلب يستلزم مغادرة مكان المنكر، ومفارقة أصحابه، ولأن الجلوس معهم مع القدرة على مفارقتهم هو نوع من الإقرار الممنوع في دين الله تعالى. قال عبد الواحد بن زيد للحسن البصري ـ وكلاهما من التابعين ـ: (يا أبا سعيد

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٢) حديث حسن رواه أحمد في مسنده الفتح الرباني (١٩/ ١٧٤)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٤١٠)، وقال: رواه ابن ماجه ورواته ثقات، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن ماجه (٤٠٠٨).

(٣) مسلم (١/ ٦٩).

(٤) معالم الدعوة الراشدة، لعوض القرني.

أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب بن أبي صفرة[1]، إلا أنه عاون بلسانه ورضي بقلبه)، فقال الحسن: (يا ابن أخي كم يد عقرت الناقة؟»، قلت: «يدٌ واحدة»، قال: «أليس قد هلك القوم جميعاً برضاهم وتماليهم؟»[2].

• تساؤل •

فيا هذا: هلم بنا نتساءل عن مساحة وحجم هذا الدين؟ كم نبذل للدين؟ كم نجهد للدين؟!! كم نهتم للدين؟!! هل هو قضية في حياتنا تتراءى لنا وتؤرقنا؟!! أم رضينا بعبادات تحولت إلى عادات؟!!. ماذا قدمت لأمتك؟ ماذا قدمنا لديننا الذي ندين الله به؟ ماذا قدمنا لإسلامنا؟ ماذا قدمنا لآخرتنا؟ هل أمرنا بالمعروف؟ هل نهينا عن المنكر؟ من يقم بالدين إذ لم نقم نحن؟

الدين ديننا من يحمل همّهُ؟ من ينشر سلعة الإيمان؟ من يحمل هذا الدين؟ من يبلِّغ دين الله ويحمله للعالمين؟ من يرحم به العالمين؟ إنه أنت، أنت أيها المسلم، الذي كملت نفسك وتكمل غيرك.

العمل للدين مسؤولية الجميع ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[3]، العمل لهذا الدين لا يقف عند زمن محدود أو في مكان محدود، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، لقد كانت حياته كلها عمل لهذا الدين ودعوة إلى الله ﷻ وجهاد في سبيله، ومن ثم أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان. وليس موقوفاً على جهة أو فئة أو طائفة، بل مسؤولية ملقاة على عاتق كل مسلم، العمل موزع أدواراً بين المسلمين، وليس مسلم

---

(١) كان قد انشق عن الدولة العباسية معتمداً على وجاهة أبيه، وكان أبوه ﷺ مبيداً للخوارج.

(٢) الزهد، للإمام أحمد (٢٨٩).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٤٤).

يعجز أن يتخذ له دوراً، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾[1].

العمل للدين قرين الانتماء إليه، العمل للدين وظيفة العمر ليس موقتاً بوقت ولا محدداً بزمن وإنما هو وظيفة العمر كله، العمل للدين قضية كل مسلم في كل لفتة وفلتة، فهل وعينا الدور والمهمة الكبيرة المناطة بنا؟.

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ أمير المؤمنين الفاروق يعطي الدروس على فراش الموت، وهو على فراش الموت في آخر رمق من حياته لا يذهل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دخل ألوف من الناس يعودونه ﷺ وهو في لحظاته الأخيرة يودع الدنيا، وأخذ ينظر إليهم بطرف عينيه الذابلتين وهو لا يكادُ يقوى على النّطق بكلمة، وحدث أن دخل عليه في هذه اللحظات شاب من الأنصار يلبس جلباباً إلى تحت كعبيه، ينظر إليه عمر ﷺ وأشار إليه أن أقبل، ثم أمره أن يقترب إلى فمه ليسمع همساته التي سيهمسها إليه، فلما فعل قال ﷺ: (يا أخي قصر ثيابك، فإن هذا أطهر لصلاتك وأنقى لثوبك)[2]، الله أكبر وهو على فراش الموت لم يشغله ما هو فيه من أن يعطي الدروس للأمة، لله درك يا عمر، فهل تلد لنا الأُمهات من أبناء الإسلام شبيهاً بعمر؟.

قال الشاعر:

ماذا أقول لربي حين يسألنا   عن الشريعة لم نحمي معاليها
ومن يجيب الحبيب إذا قال لنا   أذهبتم سنتي والله مبقيها

وقال آخر:

تهون الحياة وكلٌ يهون   ولكن إسلامنا لا يهون

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٦).

(٢) إن الإسبال منكر من الكبائر وخشي عمر على من وقع في هذا المنكر من عذاب الله فهل انتبه المسبل واستدرك حاله ورجع إلى ربه وأناب وتذكر قول النبي ﷺ: «ما أسفل الكعبين من الإزار في النار»، هذا مجرد لبس بلا قصد للخيلاء، وأما لبس الخيلاء فإنه لا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

وقال آخر:

كـل بـذل إذا الـعـقـيـدة ريعـت دون بـذل الـنـفـوس نـزرٌ زهـيـد

وقال آخر:

عـارٌ عـلى أمة دان الـوجـود لـهـا أن يستبيح حماها خائنُ الذمم

كـنـا أسـاتـذة الـدنـيـا وقـادتـهـا ما بالنا اليوم أصبحنا من الخدم

يا ويلنا من الله حين نقرأ أن سلفنا الصالح هم الذين حملوا الإسلام إلى مجاهل أفريقيا وإلى أقصى شمال أفريقيا، حتى وقفوا على شاطئ المحيط الأطلسي، وعبروا البحر، وفتحوا الأندلس وكادوا يهزمون فرنسا، حين نقرأ أن الدعاة الأول، حملة رسالة الإسلام كانوا تجاراً ومع سلعهم وتجارتهم كانوا يحملون الإسلام ويقدمونه عملياً في أشخاصهم خلقاً وسلوكاً ومعاملة فيعجب الناس بهذا الدين الذي حمله هؤلاء الرجال فيؤمنوا به ويدخلون فيه أفواجاً، حين نقرأ أن بخارى التي أنجبت الإمام البخاري وما جاورها من الولايات كانت كلها تدين بالإسلام وها هي اليوم تدين بالشيوعية[1].

وحين نرى تراجع الإسلام عن أوروبا وإسبانيا تاركاً خلفه الآثار والملامح العربية الإسلامية التي تنبه الغافلين وتصرخ فيهم بأن هذه الديار كانت تستظل براية الإسلام راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحين نرى دول أفريقيا السمراء اعتنق أغلب أهلها النصرانية وتتكلم الإنجليزية أو الفرنسية بدل من العربية، وقد بدل الاستعمار أسماءهم من محمد وعبد الله وآدم إلى فكتور وبوكاسا وسنجور، وحين نقرأ عن نشاط المنصرين في الأحراج الإفريقية متحملين أجواء تلك البلاد في سبيل عقيدتهم. وحين نرى تقاعس المسلمين عن العمل بالإسلام حتى دَاخل بلادهم، نوقن أن الله سيسألنا عن ذلك كله سؤالاً عسيراً وخصوصاً من كان قادراً على تبليغ

(١) لكن ولله الحمد يوجد بها الآن نسبة لا يستهان بها من المسلمين.

الرسالة، بل ربما تكون مسؤولية هؤلاء أثقل من مسؤولية هؤلاء الذين لم يجدوا أحداً يدلهم على الطريق إلى الله، ويهديهم لدينه الخاتم، يا ويلنا من الله ثم يا ويلنا من الله[1].

عباد الله إن هذا الدين عزيز وغال لا ترتقي إليه همة الضعفاء والعجزة وإن الله تكفل بحفظ هذ الدين ولو كره الكافرون طال الزمن أو قصر. لذا لا ينبغي للمسلم أن يمنح نفسه إجازة من العمل للدعوة إلى الله. وإن نكوص البعض عن الدعوة لا يزيد النفوس المؤمنة إلا مضاء وثباتاً، وهذه هي طريقة الأنبياء، قال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[2].

وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[3].

فتخيل أيها المسلم! عظمة الذي يأتيك من الأجر، فكيف لو هدى الله على يديك ملايين؟ فهنيئاً لك أيها الداعية بهذا الخير العظيم، هنيئاً ثم هنيئاً ثم هنيئاً، فكيف تنشغل أيها المسلم عن الدعوة إلى الله وتترك هذا الخير العظيم؟ أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة إلى الله ﷻ تنام ويأتيك أجر، وتموت ويأتيك أجر؟ أفلا يحملك هذا الفضل ألا تدخر وسعاً ولا تألو جهداً إلا بذلته في الدعوة؟.

ألا يحملك هذا الفضل العظيم أن تدعو الناس سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، طمعاً في هذا الأجر العظيم الذي هو خير لك من الدنيا وما فيها؟.

أنسيت قول الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ

---

(١) من لطائف من سيرة الرسول والسلف الصالح، لحسن آدم وجمال فريد (١٢٤).

(٢) مسلم (٣/ ١٨٩٣ ـ ٢٠٦٠).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٦٠ ـ ٢٦٧٤).

﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1]، وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك الله ﷻ ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه؟ أما تعلم أن هذا العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه، وعمل المصطفين من أتباعهم؟ فكما اصطفى الله الأنبياء لهذا الواجب، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب أيضاً، وأنك والله لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة، لأنك لست من المصطفين الذين قال النبي ﷺ عنهم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2]، ففهم منه أن من لم يتفقه في الدين لم يرد الله به خيراً، فكيف بمن تفقه في الدين وفقه الناس معه؟ كيف بمن تعلّم وعلّم؟ إنه والله لمغبوط كما قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين ـ وذكر منهم ـ: رجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»[3][4]. وإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عز وجل: (على كل مسلم عرف شيئاً من الدين أن يدعو إليه بعد التبصّر وفقه المسألة التي يدعو إليها).

وكن أخي الدّاعي حليماً في دعوتك رفيقاً فيها، متحملاً صبوراً كما فعل النبي ﷺ، وإياك والعجلة وإياك والعنف والشدة، قال ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[5]، وفي الحديث الصحيح: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه»[6].

---

(١) سورة يونس: الآية (٥٨).
(٢) متفق عليه، البخاري (١٣/ ٧٣١٢)، مسلم (٢/ ١٠٣٧).
(٣) متفق عليه، البخاري (٧٣ و٧١٤١ و٧٣١٦)، ومسلم (٨١٦ و٢٦٨).
(٤) مجلة الأصالة (١٧/ ٤١ ـ ٤٢).
(٥) سورة طه: الآية (٤٤).
(٦) مسلم (١٢/ ٢١٢).

فعليك أن تكون لين الكلام طيب النفس حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، وأما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع.

فلا بد من الرفق في كل شيء، قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1].

وقال ﷺ: «من يُحرم الرفق، يُحرم الخير كله»[2].

فعلى المسلم أن يصحب في دعوته الرفق والأسلوب الحسن، حتى تستجاب دعوته، وحتى لا يقابل بالرد أو الأسلوب الذي لا يناسبه[3]، وما أحوج الداعية إلى الصبر، الصبر وعدم استعجال النتائج..

ولا تحقد عليه ولا تغلظ له القول، ليعلم أنه ليس غرضك إهانته وإقحامه، وإنما غرضك إقناعه والوصول به إلى الحق، فأنا أدعو شبابنا ـ أهل الغيرة ـ أن يلتزموا الحكمة في دعوتهم إلى الله ويرتكزوا عليها.

لست أقول للشباب لا تتحركوا، ولا تدعوا إلى الله ودعوا الناس: الفاسق فاسقاً، والمطيع مطيعاً، بل أقول أنكروا المنكر وأثبتوا المعروف، وادعوا إلى الله بقدر ما تستطيعون ليلاً ونهاراً: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

لكني أقول وأؤكد على استعمال الحكمة، والتأني في الأمور، وأن تؤتى البيوت من أبوابها.

ولنفرض مثلاً أننا رأينا منكراً في مجتمع ما، فهل من اللائق أن نهجم

---

(١) مسلم (١٦/١٤٦).

(٢) مسلم (١٦/١٤٥).

(٣) من أقوال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في الدعوة (٥٦ ـ ٥٨) باختصار.

(٤) سورة آل عمران: الآية (٢٠٠).

على هذا المنكر ونكسره أو نمزقه أو نتكلم بشدة مع فاعليه؟ أو من الأليق أن نتكلم باللين واللطف، فإن أجدى وإلا رفعنا الأمر إلى أناس آخرين يبلغون ولاة الأمر؟ لا شك أن التأني هو الأولى، فعليك استعمال اللين واللطف فإن أجدى في زوال المنكر فذلك المطلوب، وإلا رفعت الأمر إلى أناس أرفع مستوى، يوصلون الأمر إلى ولاة الأمر، وبذلك تبرأ الذمة لأن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

ولو أننا هاجمنا على هذا المنكر وكسرنا ما كسرنا، أو مزقنا ما مزقنا، فإن الغالب أن تكون النتيجة عكسية، فلا يحصل المقصود، ولا ننجوا من الأذى، وربما يكون هذا وصمة على الدعوة عموماً.

فلهذا أنا أحثكم ـ من هذا المكان ـ وأقول لكم كلاماً وأعتبر نفسي مسؤولاً عنه أمام الله ﷻ، وذلك لأن العامة يقولون، وأقولها باللسان العامي (كم مجرب خير من طبيب)، لأن المجرب وقعت عليه أشياء هو باشرها بنفسه، ولكن الطبيب يصف الدواء، وهو يفيد وقد لا يفيد.

وعليك أيها الداعية أن تتفرس في المدعوين، فتعرف بفطنتك أصنافهم والوسيلة التي تناسبهم، كما عليك أن تتفرس فتعرف بحكمتك ما يناسبهم فتدعوهم إليه وتذكرهم به، فلا تتكلم معهم في موضوع لا ينفعهم وتترك ما يحتاجونه[2].

• دروس نبوية في تقديم النصيحة •

انظر كيف يُقَرِّرُ الرسول ﷺ المنصوح بالحق فينصاع لأمر الله، فعن أبي أُمامة قال: (إن فَتَى شَاباً أَتَى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذنْ لي بالزنا.

---

(١) سورة التغابن: الآية (١٦).

(٢) الأصالة (١٧/٤٦).

فأقبل القوم عليه فزجروه، فقالوا: مه مه.

فقال ﷺ: «أتُحِبُّهُ لأُمِّكَ».

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال ﷺ: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم».

قال ﷺ: «أفتحبه لابنتك».

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال ﷺ: «ولا الناس يحبونه لبناتهم».

قال ﷺ: «أفتحبه لأختك».

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال ﷺ: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم».

قال ﷺ: «أفتحبه لعماتك».

قال: لا والله، جعلني فداءك.

قال ﷺ: «ولا الناس يحبونه لعماتهم».

قال ﷺ: «أفتحبه لخالتك».

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال ﷺ: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم».

قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء»[1].

---

(١) مسند أحمد (٥/٢٥٦ - ٢٥٧).

❁ من رحمة الرسول ﷺ في النصيحة ❁

وعن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين»[1].

وفي رواية: (فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «لقد تحجَّرت واسعاً»)[2]، فلم يلبث أن بال في المسجد.

❁ تعليمه ﷺ أصحابه كيف ينصحون ❁

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أُمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»)[3].

وانظر يا رعاك الله أدب الحسن والحسين رضي الله عنهما، فقد رأيا ذات يوم شيخاً كبير السن لا يحسن الوضوء، فأرادا إرشاده بطريقة لا تحمله ذل التعلم، فقالا له: يا شيخ ـ احكم بيننا فإن كلًّا منا يدعي أنه يحسن الوضوء

---

(١) البخاري (٢٢٠).

(٢) الترمذي (١٤٧).

(٣) مسلم (٥٣٧).

عن أخيه... وتوضأ هذا وأحسن، وتوضأ الثاني وأتقن... وسألاه الحكم بينهما فقال: كلاكما مُحسن وأنا المخطئ، جزاكما الله خيراً يا آل بيت النبوة.

● ما هكذا تكون الدعوة إلى الله ●

ذهب أحد الوعاظ إلى هارون الرشيد ليعظه، إلا أنه كان قاسياً غليظاً في موعظته... فنظر إليه هارون قائلاً له: (إن الله ﷻ قد أرسل من هو خير منك[1] إلى من هو شر مني[2]، ومع ذلك قال ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[3].

● أضواءٌ على دروس في كيفية النصيحة[4] ●

لعلك لاحظت أيها القارئ الكريم: كيف كان الشاب الذي أتى النبي ﷺ متشوقاً للزنى، ثم بعد ذلك الحوار الذي دار بينه وبين النبي المختار انظر كيف صار. وذلك بفضل الله ﷻ ثم بحكمة الرسول ﷺ وحسن توجيهه ﷺ.

○ وكذلك في حديث الأعرابي الذي بال في [طائفة] المسجد كيف كان موقف الصحابة الكرام ﷺ منه، وكيف كان نصح الرسول ﷺ له، حتى أن الأعرابي قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً.

---

(١) موسى وأخوه هارون ﷺ.

(٢) فرعون.

(٣) سورة طه: الآية (٤٤).

(٤) قال ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف ضيعته ويحوطه ورائه»، رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٣)، وأبو داود (٤٩٨١)، بسند حسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وانظر: شرح السنة للبغوي تحقيق الأرنؤوط (١٣/ ٩٣).

○ وفي حديث معاوية السلمي أخذ الصحابة ﷺ يرمونه بأبصارهم ويضربون على أفخاذهم. فلما انتهوا من الصلاة، ما نهره النبي ﷺ ولا قهره، ولكن نصحه برفق كما تقدم.

○ وانظر إلى الحسن والحسين ﷺ في حسن توجيههما إلى الشيخ الذي لم يُحسن الوضوء حتى عرف الصواب من الخطأ دون أن يُحرجاه.

○ وهذا خليفة المسلمين الذي كان يحج عاماً ويغزو عاماً ـ هارون الرشيد ـ يُبَيِّنُ للواعظ أن الله ﷻ حينما أرسل نبي الله موسى ﷺ وأخاه هارون ﷺ إلى فرعون أمرهما أن يقولا له قولاً ليناً، ولماذا؟

الجواب لعله يتذكر أو يخشى.

وليحرص أن ينصح أخاه بينه وبينه، لا بين الملأ (من أمر أخاه على رؤوس الخلائق فقد عيّره).

فاسأل الله العظيم أن يفقهنا في ديننا ويعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا ويرزقنا الحكمة والإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه[1].

قال الشافعي:

تعهدني بنصحك في انفرادي	وجانبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي	فلا تغضب إذا لم تعط طاعة

وهو القائل:

(من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه).

أخي الحبيب: عليك بالإحسان إلى المدعو وإيثاره. . . بالمباحات إذا

(١) تجنب النصيحة في تقديم النصيحة (٦٨ ـ ٧٣)، لأبي بكر الحنبلي.

أمكن، فالإحسان كثيراً ما يستعبد الإنسان، ولله در القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

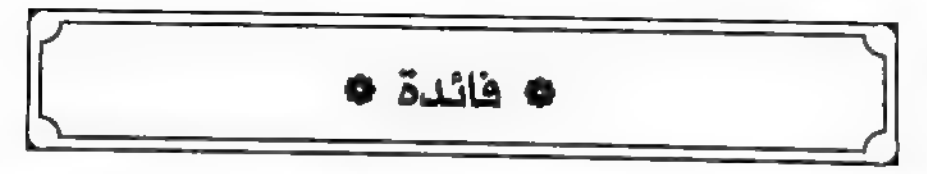
فيا من كرَّمك الله وشرفك بالدعوة إليه، الله الله في الحكمة والموعظة الحسنة، والمعاملة بالحسنى والرفق واللين والكلمة الطيبة.

قال حكيم لابنه: (يا بني لتكن كلمتك طيبة ووجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء).

والابتسامة الابتسامة، قيل لأحد أهل العلم: بم نملك القلوب؟ قال: (تبسمك في وجوه الرجال).

وذلك لأن البسمة تأخذ بمجامع القلوب، فحري بالدعاة إلى الله ﷻ أن يتعاهدوها، ولذا قيل:

أبُنَيَّ إن البر شيء هين   وجه طليق وكلام لين



• فائدة •

في أهم الوسائل في الدعوة إلى الله ﷻ: إن وسائل الدعوة إلى الله كثيرة لا يمكن حصرها ولكن أهمها:

وقبل ذكر أهم وسائل الدعوة، أقول:

إن الدعوة إلى الله أمر جليل ودعامة من دعائم ترسيخ المبادئ الحقة في المجتمع المسلم، ومن أهم طرق الدعوة إلى الله والتي يكون مردودها أوقع وأقوى في النفوس القدوة الصالحة والتي يرى فيها الناس واقعاً معاشاً للمبادئ التي يدعو إليها.. القول فيها صنو العمل، والتأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده.

الدعوة بالكلمة الهادفة سواء كانت تلك الكلمة محاضرة أو درساً أو خطبة أو موعظة أو نصيحة شخصية بينه وبين المدعو، أو مهاتفة، أو

الشريط، أو الكتيب أو النشرة الصغيرة أو ما يسمى بالمطويات، أو الملصقات، أو المراسلة أو المقالة في صحيفة أو الجريدة.

فالدعوة إلى الله هي كل قول أو فعل أو كتابة أو حركة أو سكنة!! أو خلق أو نشاط بالمال أو الجاه أو بأي عمل يخدم الدعوة ولا يخالف الحكمة ويقصد به رفعة الإسلام ونشره بين الناس ونفي ما علق به من الشوائب.

فهل بذلت جهداً في الدعوة إلى الله ﷻ ولو كان قليلاً.

❁ فهم خاطئ ❁

يقول بعض الناس كيف أدعو الناس وأنا عليَّ ذنوب وخطايا؟.

فيقال له: كل من نرى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب وخطايا.

وقال رسولك محمد ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[1].

وقال ابن مسعود ﷺ لأصحابه وقد تبعوه: (لو علمتم بذنوبي لرجمتموني بالحجارة).

إي والله أُخَيَّ لقد أحرقتنا الذنوب، وآلمتنا المعاصي، ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يارعاك الله.

إن هذه الخطايا ما سلمنا منها ولن نسلم، ولكن الخطر أن تسمح للشيطان أن يستثمر ذنبك ويرابي في خطيئتك. أتدري كيف ذلك؟!!

○ يلقي في رُوعك أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه لا تستطيع الخروج منه.

---

(١) مسلم (٤/٢٧٤٩).

يلقي في رُوعك أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل للدين أو الاهتمام به ولا يزال يوحي إليك: دع أمر الدين والدعوة لأصحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع الدين لهم فما أنت منهم!!

هكذا يُضخم هذا الوهم في نفسك حتى يشعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى.

وهذا يا أخي حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تمر عليه، فأنت يا أخي متدين من المتدينين.. أنت تتعبد الله بأعظم عبادة تعبد بها بشر لله، أنت تعبد الله بالتوحيد.

أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضوء، وعظمت ربّك بالركوع، وخضعت له بالسجود.

أنت صاحب الفم المعطر بذكر الله ﷻ ودعائه، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلاله. فهنيئاً لك توحيدك وهنيئاً لك إيمانك.

إنك يا أخي صاحب قضية كبرى وعظمى.

- أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يكسب أو يخسر.
- أنت أكبر من أن تدور همومك حول شريط غنائي أو سفرة للخارج.
- أنت أكبر من أن تدور همومك حول المتعة والأكل.

فذلك كله ليس شأنك، إن ذلك شأن غيرك ممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1].

أي أُخيَّ أنت من يعيش لقضية أخطر وأكبر هي:

هذا الدين الذي تتعبد الله به الذي هو سبب وجودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة محمد: الآية (١٢).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

يا عبد الله لا تحتقر نفسك ولا تقلل من شأنك فأنت عبد الله تدعو إلى الله تدعو إلى القوي العظيم، جبار السماوات والأرض. لست مسكيناً هيناً ذليلاً حقيراً.

قيل لأبي حازم: إنك لمسكين.

فقال: كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى[1].

وأذن لي أن أذكرك مرة أخرى أن تقصيري وإيَّاك في طاعة ربنا أو خطئي وإيَّاك في سلوكنا لا يحللنا أبداً من هذه المسؤولية الكبرى ولا يعفينا من القضية الخطيرة.

أخي: هذه المنكرات التي في مجتمعنا وقد غص بها، لم تنتشر في يوم وليلة، ولكن انتشرت لأن واحداً فعل، وواحداً سكت، وهما شريكان في ذلك المنكر لقوله ﷺ: «من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً، **ومن سنَّ سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئاً**»[2].

فهل استشعرت وجوب مشاركتك في إزالة المنكر؟!! وعلمت أنه لا بد أن تكون مساهماً في الإنكار...

أخي... لا أريد أن أهون الذنوب، فإنها إذا اجتمعت أهلكت.

لا أريد أن أهون الخطايا، فربّ خطيئة كان عقابها طمس البصيرة.

---

(١) أقوال مأثورة (١٧٦).

(٢) قال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ نحو هذا. وقد روي هذا الحديث عن المنذر بن جرير بن عبد الله بن أبيه عن النبي ﷺ، وقد روي عن عبيد الله بن جرير عن أبيه عن النبي ﷺ أيضاً، وفي الباب عن حذيفة اهـ. أخرجه مسلم (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، والنسائي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (٢٠٣)، وأحمد (١٨٧٠١).

ولكن أقول: ينبغي أن لا تكون الذنوب خندقاً يحاصرنا عن العمل لهذا الدين، فكن أنت من هذا يا أخي على ذكر وحذر. فيا أخي لا تقل أنا عاص فكيف أغير المنكر وأنا كذلك؟.

فيقال لك: غيِّر المنكر وإن كنت عاصياً، فقد قال الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾[1].

مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار، وهذا هو مذهب عامة العلماء، بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر.

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب   فمن يعظ العاصين بعد محمد

قال سعيد بن جبير: ولو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينه عن المنكر لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. وقال مالك: وصدق، ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟

من الذي ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

يقول ابن الجوزي يرحمه الله: (وقد يلبس إبليس على الواعظة المحقق فيقول له: مثلك إنما يعظ متيقظ، فيحمله على السكون والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير)[2].

ووقوعك في المعصية لا يسوِّغ لك الوقوع في أخرى، أعني مصيبة السكوت عليها وعدم إنكارها.

واحذر الخجل: فإن كثيرين ـ لعدم تعودهم ـ يعانون من الخوف والخجل والهيبة من الناس، وهذا الشعور لا يزول إلا بالممارسة العملية، فعلى المسلم أن يكسر هذا الحاجز وأن يبدأ بالطريق فسوف يزول الخجل

---

(١) سورة المائدة: الآيتان (٧٨، ٧٩).

(٢) تلبيس إبليس (١٢٥).

تدريجياً بصورة تلقائية[1].

ولا تقل: أنا لست عاصياً، ولكن لي أخاً عاصياً، فكيف أنكر على الناس وهم يرون أخي واقعاً فيما يقترفون من الذنوب؟

فيقال لك: هذا ليس بعذر، لأنك لست سلطاناً على قلب أخيك، فقد أمرته ونهيته، فلم يمتثل، ومضيت تأمر غيره وتنهاه، فامض في ذلك، ولا تكترث للذين يُعَيِّرونك بأخيك العاصي، فإنهم إنما يريدون أن يؤذوك، ويثنوك عن واجبك، لتتركهم في عصيانهم، مع العلم بأنك حاولت في هداية أخيك، ولكن ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2].

وفي ختام الرسالة أذكر باختصار وإيجاز: أسباب نجاح واستمرار الدعوة إلى الله.

○ الإخلاص لله تعالى وإيمان الداعية بما يدعو إليه ،فالدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة والإيمان والاعتماد على الله لا بد أن تؤثر وتؤتي أكلها، فالإخلاص أمر مهم لنجاح الدعوة واستمرارها.

○ أن يعمل الداعية بما يقول إليه ويبتعد عما ينهى عنه ـ وتقدم ـ.

○ عدم اليأس أو استعجال النتائج وضرورة التعقل وبُعد النظر. وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الدعاة. فنجد أحدهم يتعجل النتائج، ويستغرب بطء استجابة الناس له، وينسى قول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[3].

فيجب على الداعية أن يكون واقعياً، ولا يغفل عن ما أحدثته وسائل الهدم في عقول الناس وأفكارهم، وأن ذلك قد استغرق وقتاً طويلاً، فلا نستغرب أن نحتاج إلى وقت مماثل لإعادتهم إلى طريق الهداية.

---

(١) حتى لا تغرق السفينة، لسلمان العودة (٨٤ ـ ٨٥).

(٢) سورة القصص: الآية (٥٦).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

o الانتباه إلى أن الانفتاح مع المدعوين ودعوتهم يجب ألا يؤدي إلى مداهنة الداعية فيشارك أو يحضر بعض المنكرات التي لا يجوز حضورها، أو يسكت عن بعض المنكرات التي لا ينبغي له التأخر في إنكارها.

o أن يعلم الداعية بأن أي مجتمع لا يقبل أن ينتقل من وضع معين ألفه لفترة طويلة إلى وضع جديد دفعة واحدة ولكنه يقبل التدرج في التغيير.

o أن يعلم الداعية حال من يدعو، لأن الناس يختلفون في مدى تقبلهم للدعوة، فمنهم من يرضى بها ويقبل عليها، ويتفاعل معها، ويستجيب لأصحابها ويثني عليهم، ويتقبل كلامهم، ويدعو لهم، ومنهم من يغلق قلبه أمامها، ويصم أذنيه عن سماعها، ويرفض أن يتفاعل معها، وكل شخص من هؤلاء يحتاج إلى معاملة خاصة. أيضاً يجب أن يعلم الداعية أن النفس البشرية لشخص واحد تختلف من وقت إلى آخر فيجب مراعاة ذلك.

o أحياناً يكون من منهج الدعوة: النصح والإرشاد وعدم البدء بالحديث عن المنكرات أو المخالفات الموجودة في المدعوين وعدم طرح مواضيع غير مناسبة أو تصطدم بواقع الموجودين، حتى لا يحدث نفوراً عند المدعوين. وهذه نقطة هامة جداً ومؤثرة، مع العلم أنها لا تناقض ما تقدم.

o التركيز على بناء العقيدة وتثبيت الإيمان، لأنها الأساس والأهم، والخطوة الأولى في الدعوة، وذلك عن طريق التركيز على:

١ ـ مواضيع العقيدة والإيمان مثل تعليم التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وما يضاد ذلك، مثل اليوم الآخر والجنة والنار والخوف من الله ومحبته وترسيخ التوحيد بمعانيه الشاملة.

٢ ـ بناء الحصانات الفكرية ضد الشبهات الموجهة للإسلام وبناء الحصانة ضد الفرق الضالة كالصوفية والرافضة وغيرهم.

٣ ـ تصحيح المفاهيم في القضايا التي شوهها أعداء الإسلام وطرح المفاهيم الغائبة التي يحتاج إليها المسلم.

o العناية بجانب الوعظ والرقائق والترغيب والترهيب، وتعظيم الله في

القلوب، وربط المدعوين بالقدوات الصالحة من السلف وبيان محاسن الإسلام وجوانب الإعجاز في تشريعه.

○ بيان أضرار المعاصي وآثارها السيئة من خلال النصوص والنماذج الحية والتمثيل بالواقع.

○ عدم التعالي أو الظهور بمظهر العالم أو الأستاذ، لكي لا يثير المدعوين، وخصوصاً كبار السن منهم، وليحرص الداعية دائماً على إثارة غيرة الآخرين منه.

○ الحرص على المظهر الحسن، فليس من الدين في شيء أن يكون الداعية رث الثياب، بل إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده كما قال النبي ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[1].

○ استخدام التوجيه غير المباشر وعدم المواجهة بالعتاب حيث يقوم الداعية بالتوجيه دون أن يعلم المدعوين من المقصود بهذا التوجيه. وهذا منهج نبوي، حيث كان النبي ﷺ حين ينكر على أصحابه بعض الأعمال يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، وبهذا الأسلوب يتفادى الداعية التصادم أو إثارة الرفض والاستعلاء لدى المدعو.

○ الصبر وسعة الصدر واحتمال الأذى لأن من يتصدى للدعوة إلى الله لا بد أن يناله أذى وابتلاء من الله ﷻ. وهذا هو طريق الأنبياء والرسل وكل من قام بهذه المهمة العظيمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[2].

فيجب على الداعية أن يستوعب ذلك ويصبر، ويتسم بطول النفس وبُعد النظر حتى تتحقق له الغاية المنشودة.

○ وعلى الداعية إلى الله أن يداري ولا يداهن؛ فالأولى: سنّة، والثانية: معصية، والمسلم الذي يتصدى لدعوة الخلق وتعليمهم وهدايتهم

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٢٠)، وسنده حسن.

(٢) سورة الأنعام: الآية (٣٤).

لطريق الحق سوف يلقى كثيراً من العنت وكثيراً من الأذى وسيجد بالمقابل أصنافاً من الناس فيهم خير مشوب بجهل أو غفلة فإذا صبر على أمثال هؤلاء واستعمل المداراة على وجهها الصحيح فإن العاقبة بإذن الله له. وما المداراة إلا حسن العشرة غير مشوبة بمعصية، أو كما وصفها الشيخ رشيد رضا بالكياسة التي لا تهدم حقاً ولا تبني باطلاً، وحتى يكون للداعية أثره وشخصيته المتميزة لا بد أن يبتعد عن المداهنة، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده إليه أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على الباطل ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق، والدليل على المداراة ما في الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة ـ أو ابن العشيرة ـ»، فلما دخل ألان له الكلام، قلت: يا رسول الله قلتَ الذي قلتَ ثم ألنتَ له الكلام، قال: «أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء شره». وفي البخاري في كتاب الأدب: ما جاء عن أبي الدرداء ﵁ أنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم).

قال العلماء: (ما كان من أمر الدين مثل أن يفتي بغير الحق أو يكذب أو يترك شيئاً من الواجبات فهذه مداهنة محرمة، والمداراة مثل أن تعطيه مالك أو تحسن إليه). ويفصل ابن بطال أنواع المداراة التي يكون المسلم على بينة من أمره فيقول: (والمداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، فالمداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه).

وإذا فقه المسلم حديث رسول الله ﷺ وكيف أنه استعمل المداراة ليعلم المسلمين بآداب الدعوة مع أن الله ﷻ عصمه من الناس، وإذا فقه أقوال العلماء الذين نقلنا عنهم، فسوف يتألف أناساً أو يبعد شر آخرين،

وأما الفظ الجوَّاظ فلا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، وهذه هي الدنيا بصفوها وكدرها[1].

تنبيه: أوصي باقتناء رسالة قيمة في موضوعها بعنوان: «كيف أخدم الإسلام» لعبد الملك القاسم، نفع الله به.

❁ ❁ ❁

(١) مجلة البيان العدد ٨١ ص٣٥، ٣٦ لمحمد العبدة.


حقيقة
لا بد من التوقف
عندها وتأملها

● [حقيقة لا بد من التوقف عندها وتأملها][1] ●

[الوقت هو الحياة]

تكر الأيام وتمر الليالي، وتمضي الأعوام وينقضي العمر.. ولا ينتبه المرء من لعب الصبا وقد أثقلته أعباء الكهولة، ولا يستريح من أعمال الشباب حتى تحني الشيخوخة ظهره.. ثم يأتيه الأجل المحتوم.

ولله در القائل:

شيخ كبيرٌ له ذنوب	تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالي	وسودت قلبه الخطايا

وأخاطب نفسي قائلاً:

يا شيخ كف عن الذنوب والزلل	واعمل لنفسك صالحاً قبل الأجل
واقصد مصالحها واعمل لها	ما دام يمكنك العمل
أما الشباب فقد مضى	ومشيب رأسك قد نزل

❀ ❀ ❀

أترجو أن تكون وأنت شيخ	كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب	دريس كالجديد من الثياب

❀ ❀ ❀

شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب	وضاع وقتك بين اللهو واللعب
مضى زمن الصبا وحب الحبائب	كفى عيباً وشيباً ذيب الذوائب

❀ ❀ ❀

الشيب عنوان المنية	وهو تاريخ الكبر
وبياض شعرك موت شعرك	ثم أنت على الأثر
فإذا رأيت الشيب عـ	ـم الرأس فالحذر الحذر

---

(١) وانظر ما تقدم (٩٨ـ١٠٦) من هذا البحث، ورسالة (١٢٥ طريقة لحفظ الوقت) لأبي القعقاع.

لا تخطون إلى خطأ ولا خطا　　من بعد ما الشيب في فوديك قد خطا
فأي عذر لمن شابت مفارقه　　إذا مشى في ميادين الصبا وخطا

أفليس جديراً بنا أن نقف قليلاً للحساب، حساب أنفسنا ومراجعة ما مضى منا وتقويمه بمقاييس شرع الله؟

إن هذه الوقفة المتأملة وتلك الرجعة الواعية ضرورة تفرضه الرغبة في النجاة يوم القيامة.

أخي المسلم، في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1]، حقيقة لا بد من التوقف عندها وتأملها، تلك الحقيقة هي أن المسلم ليس له حق التصرف في شيء من أمر نفسه، بل هو وقف لله ﷻ ولدعوته والجهاد في سبيله، فكل شعرة فيه، بل كل حاسة من حواسه، وعضو من أعضائه، بل كل نعمة أنعمها الله عليه أو موهبة يجب التصرف فيها في الوجه الذي يحبه الله ﷻ، ومن هذه النعم الكثيرة التي أنعم الله ﷻ على عباده بل أجلها، نعمة الوقت والفراغ، الذي هو أغلى من أي شيء، فالوقت هو الحياة، فعلى العاقل أن يعطي كل لحظة حقها يستفيدها أو خيراً يفعله، فالواجبات أكثر من الأوقات فاحرص على أوقاتك ولا تصرفها إلا في الجد، ولا يلهينك الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقطع نهارك بكيت وكيت فإنه محفوظ عليك ما قلت وما عملت، فليس الزمان خطاً ممتداً إلى غير نهاية وغاية ولا هو بمقياس الليل والنهار خلود دائم.

قال شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له　　إن الحياة دقائق وثوان!
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها　　فالذكر للإنسان عمر ثانِ

يقول الحسن البصري رحمه الله: (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي منادٍ:

(١) سورة الأنعام: الآيتان (١٦٢، ١٦٣).

يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة)[1].

وقال: (أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم[2]، وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت.

وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت دون أن يتزودوا منها بعلم نافع أو عمل صالح أو مجاهدة للنفس أو إسداء نفع للغير حتى لا تتسرب الأعمار سدى وتضيع هباء وتذهب جفاء وهم لا يشعرون. فهو يمر مر السحاب ويجري جري الريح، يقول أحد الشعراء:

مرّت سنين بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيام هجر بعدها ... فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير، ما دام الموت نهاية كل حي:

إذا كان آخر العمر موتاً ... فسواء قصيره والطويل

وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود التي عاشها الإنسان، حتى كأنها لحظات قلائل مرت كالبرق الخاطف، وكذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾[3].

أخي في الله الذي مضى انقضى بخيره وشره والله به عليم، فلماذا لا

---

(١) الحلية (٢/١٤٧).
(٢) ولاحظ أخي أن الحسن يقول هذا الكلام للتابعين الذين جاءوا بعد الصحابة الكرام، فليت شعري لو أدرك الحسن زماننا هذا الذي صار الوقت فيه أرخص وأهون من التراب الذي يداس بالأقدام ماذا عساه أن يقول؟!.
(٣) سورة الأحقاف: الآية (٣٥).

تبدأ من هذه اللحظة ببدء صفحة جديدة بيضاء مشرقة وتوبة صادقة ورجعة إلى الله تبارك وتعالى، وكل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

كأن شيئاً لم يكن إذا انقضى ومضى مما مضى فقد مضى
ستفضي بك الأيام في بعض مرها إلى ساعة لا ساعة لك بعدها

أخي أخي: إن الليل والنهار رأس مال المؤمن، ربحها الجنة وخسارتها النار.

وأنشد بعضهم:

وإنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجر للإنسان والأيام سوق

فالوقت رأس مال العبد وأنفاسه المعدودة خطاه إلى قبره، فإن ضيع وقته في غير ما يحب الله كان ندمه شديداً وحسرته عظيمة، لأن ما فات لا يمكن أن يرجع ويعود. ويوم القيامة لا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرّت عليهم ولم يذكروا الله فيها.

قال إبراهيم بن أدهم: دخلنا على عابد مريض وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرتا في سبيل الله تعالى، وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يوم مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبت ما قمتها وساعة لم أذكر الله فيها.

ومجالس الدنيا الخالية من ذكر الله والصلاة والسلام على نبينا ﷺ تكون حسرة على أصحابها يوم القيامة كذلك، فالكيس[1] هو الذي يعرف أهمية الوقت وأنه من أجلّ النعم لكي يجتهد في شكرها...

والإنسان يقطع منذ ولادته وحتى مماته رحلة تسمى: العمر أو الزمن أو الوقت، الذي اختصه الله ﷻ بصفات وخصائص ليست في بقية الأشياء، والأيام خمسة:

---

(١) العاقل.

١ ـ يوم مفقود، وهو أمسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه.

٢ ـ ويوم مشهود، وهو يومك الذي أنت فيه، فتزود فيه من عمل الخير تزود تزود.

٣ ـ يوم مورود، وهو الغد، فلا تدري هل هو من أيامك أم لا.

٤ ـ يوم موعود، وهو آخر أيامك في الدنيا، فاجعله نصب عينيك، ولا تدري لعله أن يكون في هذه اللحظة أو بعدها أو قبلها، بل في هذا النفس.

٥ ـ يوم ممدود، وهو آخرتك، هو يوم لا انقضاء له، فاهتم له غاية اهتمامك، فهو إما نعيم مقيم أو جحيم مديم.

خصائص الوقت: يمتاز الوقت بخصائص فريدة لا توجد في غيره من الأشياء مما يجعله عنصراً مهماً بل الأهم لدى الإنسان.

ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي:

- هو ملك لله تعالى وليس ملك لأحد.
- هو الحياة.
- هو عمر الإنسان.
- أنفس وأثمن ما يملك الإنسان.
- سريع الانقضاء.
- ما مضى منه لا يرجع أبداً ولا يعوض ولا يمكن استعادته.
- ينقص من عمر الإنسان.
- يبعد عن الدنيا.
- يقرب من الموت والقبر والآخرة.
- حفظه أصل كل خير وصلاح ونفع.
- تضييعه منشأ كل شر وضرر وفساد(١).

---

(١) مقال للدكتور عبد الرحمٰن بن سعد بن عبد الرحمٰن بعنوان [الوقت وكيفية استثماره] مجلة الدعوة العدد ١٨١١/ ١٤٢٢هـ ص٧٨.

لما كان الوقت محدوداً وسريع الانقضاء، وما فات منه لا يمكن تعويضه أو استعادته، كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع نفاسته إلى كونه وعاء لكل عمل وإنتاج، فهو رأس المال الحقيقي للإنسان فرداً ومجتمعاً بل هو حياته.

ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدره ونفاسته، وقيمة العمل به، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن الكريم موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار حين يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[١]. لقد كان الرد على هذه الأمنية الفارغة (تأخير الوفاة) قاطعاً ومانعاً.

الموقف الثاني: في الآخرة حيث توفى كل نفس ما عملت، وتجزى بما كسبت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

والموقف الثالث هو ما قبلهما وهو يوم ولادته، ولما كانت هذه المواقف أشد وأصعب ما يمر على ابن آدم سلَّم الله على نبيه يحيى عليه السلام في هذه المواقف الثلاثة فقال ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

وأخطأ من يقول: (الوقت من ذهب) والحقيقة أن الوقت أغلى وأثمن

---

(١) سورة المنافقون: الآيات (٩ ـ ١١).

(٢) سورة فاطر: الآية (٣٦ ـ ٣٧).

وأنفس وأسمى وأسنى من الذهب، لأن الذهب يباع ويُشرى أما الوقت فلا يباع ولا يُشرى.

ليت وهل ينفعُ ليت ... ليت شباباً بوع فاشتريت

وقال الشاعر:

ولست بمرجع ما فات مني ... بلَيْتَ ولا لو ولا لو أني

وقال الآخر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

وقال آخر:

بكيت على الشباب بدمع عيني ... فلم يُغن البكاءُ ولا النحيبُ

فيا أسفاً أسفت على الشباب ... نعاه الشيب والرأس الخضيب

عريت من الشباب وكنت غضّاً ... كما يعرى من الورق القضيب

ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل المشيب

وقال الآخر:

هل الشباب الذي قد فات مردود ... أم هل دواء يرد الشيب موجود؟

ولما رأيت الشيب أيقنت أنه ... رجوع غضاراتِ الشباب بعيد

وقال الأخر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسلٍ ... إلى غد إن يوم العاجزين غد

ولو علم المسلم أهمية الوقت في حياته لسقاه لأبنائه مع اللبن منذ طفولتهم لكي ينشأوا عليه، لأن الجهل به إغراق وضياع وخسران للأمة الإسلامية[1].

---

(١) الوقت بين حرص السلف وتفريط الخلف، لأنور البيلاوي.

إذا كنت أعلم علماً يقيناً   بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنيناً بها   وأجعلها في صلاح وطاعة

وقال الشاعر:

أيام عمر تذهب   وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك   منك فأين المهرب

وقد كان السلف ﷺ أحرص ما يكونون على أوقاتهم لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها.

فالمسلم ابن وقته يضرب في كل غنيمة بسهم (مع المتعلمين متعلم، ومع الغزاة غاز، ومع المصلين مصلي، ومع المتصدقين متصدق، وهكذا يتنقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية وهو مستقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه إلى غيره)[1].

ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها، شغلته بما يضره، ولا بد (وقد خلق الله ﷻ النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته)[2].

وعلى المسلم أن يراقب نفسه فيم قضى وقته وكيف قضاه ومراقبة النفس أشبه بشريط التسجيل فلو أنك تعلم علم اليقين أن الشريط قد وضع إلى جانبك يسجل كل كلمة ينطق بها لسانك من خير أو شر فإنك في مثل هذه الحال تبقى دائم الاحتراز والانتباه واليقظة ولا تتكلم إلا بعد تفكير وتدبر، وبعد أن تزن ما تقوله كي لا يسجل عليك إلا ما تحب وترضى.. فاذكر قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (٦١٨).

(٢) الفوائد (٢٢٦).

ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

فالواجب علينا أن نهتم بأوقاتنا وأن نعمرها بطاعة الله، وأن نتقي الله في أوقات الفراغ والإجازات وغيرها، فلا نضيعها فيما يضر ولا ينفع من سفر محرم أو نظر محرم أو قول محرم أو قتل للوقت ونحو ذلك[١].

يقول الشافعي رحمه الله: (صحبت الصوفية[٢] فلم أستفد سوى حرفين (أي كلمتين) إحداهما: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والأخرى: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)[٣]، نعم إن الوقت لا يقف محايداً بل إما لك وإما عليك.. والوقت هو الحياة وأقول: يتفق العقلاء جميعاً على أن الوقت هو الحياة وهو العمر الحقيقي للإنسان، وما دام الأمر كذلك فلا بد من بيان حقيقة مهمة جداً، ألا وهي أن حفظ الوقت واغتنام العمر في الصالحات هو أصل كل خير وصلاح، ومنشأ كل بر وتقوى، وعلى النقيض من ذلك فإن إضاعة الأوقات وإهدار لحظات العمر ودقائقه الثمينة في غير فائدة هو أصل ومنشأ كل المفاسد والبلايا الدينية والدنيوية[٤].

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، فما كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره

---

(١) والأمور التي يضيع الشباب فيها أوقاتهم كثيرة من سهر على الأفلام أو المخدرات أو العود والأغاني أو التفحيط أو لعب الورق أو المعاكسات أو السفر لبلاد الكفر والفسق والمجون أو رحلات للبر لا يصلون فيها بل معظمها حرام ومعصية، نسأل الله لنا ولهم الهداية إلى صراطه المستقيم. (أين تقضي الإجازة لرياض الحقيل).

(٢) ولا صوفية في الإسلام لا صوفية في الإسلام، فالتصوف إما أن يكون هو الإسلام فلا داعي لإطلاق التصوف عليه، وإما أن يكون التصوف غير الإسلام، فيكون باطلاً وليس من الإسلام في شيء.

(٣) الجواب الكافي، لابن القيم.

(٤) (١٢٥) طريقة لحفظ الوقت ص٦٠.

وغير ذلك محسوباً من حياته، وإن عاش فيعيش عيشة البهائم فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة فموت هذا خيراً له من حياته)[1].

وهو القائل رحمه الله: (فوات الوقت أعظم من فوات الروح، لأن فوات الروح انقطاع عن الخلق.. أما فوات الوقت انقطاع عن الحق تبارك وتعالى).

الحسرة كل الحسرة أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشتغل بالعمل الذي يقربه لهذه الدار - دار الآخرة - فكيف إذا كان يسير بخطاه إلى دار البوار[2].

وإدراك حفظ الوقت سبب لحسن الخاتمة، هناك حقيقة مهمة ينبغي أن ترسخ في النفوس رسوخ الجبال الراسيات، ألا وهي: من اغتنم لحظات عمره في طاعة ربه، واستغل ساعات حياته المعدودة فيما يرضي مولاه وخالقه فإن الله يثبته عند الممات ويختم له بالخاتمة الحسنة، ولا عجب في ذلك فإن من حفظ الله ﷻ في الرخاء حفظه الله ورعاه عند الشدائد والبلاء ومن أعظم ساعات البلاء ساعة الاحتضار[3].

أخي الكريم حفظك الله:

استغل لحظات عمرك فيما يقربك لمولاك، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص أجلي ولم يزدد فيه عملي). وورد عن أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي أنه قال: (أنه لا يحلّ لي أن أضيع ساعة من عمري، وإن أجلّ تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيه الفرص، فالتكاليف كثيرة).

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة وعلم أن اللبث في القبور طويل، فإذا تفكر في

---

(١) الجواب الكافي (١٨٤).

(٢) اخترت لك (٢/ ٥٠).

(٣) (١٢٥) طريقة لحفظ الوقت ص٧٨.

يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا أعاد النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـ فرضنا ستين سنة مثلاً ـ فإنه يمضي منها ثلاثون في النوم ونحو من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبت الباقي كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا أخلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثير، فبماذا تشتري الحياة الأبدية وإنما الثمن هذه الساعات[1].

قيل في ذلك شعراً:

إذا عاش امرؤ ستين عاماً ... فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يذهب ليس يدري ... لغفلته يميناً وشمال
وباقي النصف أسقام وهمٌّ ... وشغل بالمكاسب والعيال

يا هذا فكر معي في مراحل العمر.

ويقول الشاعر في مراحل العمر:

ابن عشر سنين من السنن غلام ... رفعتْ عن نظيره الأقلامُ
وابن عشرين للصبا والتصابي ... ليس يثنيه عن هواهُ ملامُ
وثلاثون قوةٌ وشبابٌ ... وهيامٌ ولوعَةٌ وغرامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فكمالٌ وشِدةٌ وتمامُ
وابن خمسينِ مرَّ عنه صباه ... فيراهُ كأنه أحلامُ
وابن ستين صيَّرتْهُ الليالي ... هدفاً للمنونِ وهي سهامُ
وابن سبعين لا تسلني عنه ... فابن سبعين ما عليه كلامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... بلغ الغاية التي لا تُرامُ
وابن تسعين عاش ما قد كفاه ... واعترته وساوس وسقامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فهو حي كميت والسلامُ[2]

---

(١) من رسالة إلى والدي، للحافظ ابن الجوزي ص٢٩.

(٢) معجم أجمل ما كتب شعراء العربية إعداد حامد كمال عبد الله حسين العربي ص٣٦٤.

فكّر معي قليلاً من أين جئت ومن الذي جاء بك ولماذا جئت وإلى أين تسير وإلى أين المصير لقد كنت جنيناً في بطن أمك ثم وليداً ثم رضيعاً ثم فطيماً ثم طفلاً ثم مميزاً ثم مراهقاً ثم بالغاً ثم أشداً حتى الأربعين ثم كهلاً ثم شيخاً ثم شيبة ثم هرماً قد رد إلى أرذل العمر ثم موت.

فهذه مقاييس العمر.

الوليد: وهوالمولود ساعة ولادته ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

الرضيع: وهو الطفل الذي يرضع اللبن من أمه وتبدأ هذه المرحلة منذ الولادة حتى عامين ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[2].

الطفل: وهو الولد الصغير ولم تحدده العرب بسن معينة إلا أن الصغر من أهم سماته ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[3] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾[4].

الصبي: وهو أكبر من الطفل وأصغر من الغلام ولم يحدد بالسنوات ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾[5].

الغلام: وهو الصبي الذي شب وقارب سن البلوغ وبعضهم يطلق عليه (يافعاً) لأن اليافع هو الذي قارب البلوغ: ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ﴾[6] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾[7].

---

(١) سورة الشعراء: الآية (١٨).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٣٣).
(٣) سورة النور: الآية (٣١).
(٤) سورة النور: الآية (٥٩).
(٥) سورة مريم: الآية (١٢).
(٦) سورة يوسف: الآية (١٩).
(٧) سورة الكهف: الآية (٨٠).

الشاب: وهو ما بين البلوغ إلى نحو الثلاثين والفتى يمثل المرحلة الأولى من الشباب: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾[1] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾[2] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾[3].

الكهل: وهو من كانت سنه بين الثلاثين والخمسين تقريباً ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[4].

الشيخ: وهو الذي بلغ الشيخوخة وهي غالباً ما فوق الخمسين ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾[5] ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾[6] ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[7][8].

فاغتنم ـ رحمك الله ـ حياتك النفسية واحتفظ بأوقاتك العزيزة واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم. وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف عام في النعيم المقيم الذي لا حصر له، أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمة له، فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل، ولا تذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها، فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٣).
(٢) سورة الكهف: الآية (٦٠).
(٣) سورة يوسف: الآية (٣٦).
(٤) سورة آل عمران: الآية (٤٦).
(٥) سورة يوسف: الآية (٧٨).
(٦) سورة غافر: الآية (٦٧).
(٧) سورة القصص: الآية (٢٣).
(٨) تقويم هجري لعام ١٤٢٣هـ الإصدار التاسع بإشراف الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الإحساء ص٥٧.

الدنيا، فضاعت لحزنت عليها حزناً شديداً، بل لو ضاع منك دينار لساءك.

فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك؟!

كيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض؟!

وقد قيل:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

❁ ❁ ❁

فيا هذا:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم أفل

إن أهنأ عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والإثم حل

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل

والمؤمن إذا لم يكن حاضره خيراً من أمسه، وغده خيراً من حاضره، فهو على خطر عظيم، فالمؤمن يرتقي من حسن إلى أحسن، ومن هام إلى أهم. فيا هذا العجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه. فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته. لا لما سبق من جناياته، وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته. فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال: قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم، وكأنه لم ينبأ أن عذاب الله هو العذاب الأليم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ولما علم الموفقون لما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه. ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول،

ولا ينفد بصبابة عيش، وإنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف. فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي، وباع جنة عرضها السموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهم الياقوت والمرجان بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهار من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمٰن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا، بغناء المغنين:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخَّر عنه ولا متقدَّمُ

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللُّوَّمُ

(وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة. ويتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن

ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال)، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله[1].

وإذا كانت الأنفاس تعد، والرحال تشد، والعارية ترد، والتراب بعد ذلك ينتظر الخد، وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما عقبى الباقي غير اللحاق بالماضي، وما ثم إلا أمل مكذوب وأجل مكتوب، فعيب أن تمضي أيام المسكين ولياليه وهو يرتع كالحيوان في ملذاته وشهواته غير عابئ بحلال أو حرام، ودون تمييز بين طيب وخبيث، فيُسيء إلى نفسه ويبخسها حقها إذ يُضيع طاقتها على العمل النافع وعلى الطاعة الواجبة في اللهو واللعب. بل كيف تضيّع الأوقات والأعمال في التلفاز والفيديو والمذياع والسينما، أو في الورق والغيبة والنميمة والكرة، بل وقد تضيع أوقات الآخرين فيما لا يضر ولا ينفع، وفيما يفسد ولا يصلح، وأنت تمر بهذه الآيات البينات: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾[2] وقال الله ﷻ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾[3]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[4].

فانتبه لنفسك واستمع لقول ربك: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[5].

إذا شغَّل الضُّيَّاع آلات لهوهم ... وطاب لهم عند الملاهي محفلُ

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة يونس: الآية (٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

(٤) سورة الفرقان: الآية (٦٢).

(٥) سورة الكهف: الآية (٢٨).

وسُرُّوا لما فيه هلاك نفوسهم ... ودينهم والأهل والمال أول
فقم وتوضّأ واقصد الله الذي ... إذا ما مضى الثلثان لليل نزل
يقول ألا من سائل يعطى سؤله ... ومستغفر يُغفَرُ له ما يؤمل
ومن مذنب مما جنى جاء تائباً ... إلى غافر للذنب للتوب يقبل
وكرِّر سؤالاً والدعاء بتضرع ... لعلك تحظى بالفلاح فتقبل
وقل عبد مسكين قد جاء تائباً ... ويرجوك توفيقاً وللعفو يأمل
فجُد وتجاوز يا جواد لمن أتى ... وليس له إلا رجاءُك موئل

في وصية الإمام الموفق ابن قدامة: (فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير والباقي منه يسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في نعيم أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يُعادل أكثر من ألف عام في نعيم لا خطر له أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمة لها، فلا تضيع جواهر عمر النفيسة في غير طاعة أو قربة تقرب لها، فإنك لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك، فكيف تفرط في ساعاتك وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض) اهـ.

وعن عمر بن ذر أنه كان يقول: (اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فإن المغبون من غُبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جُعِلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالاً للآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيى القلوب بذكر الله ﷻ، وكم من قائم لله ﷻ في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومته عندما يرى من كرمه الله ﷻ للعابدين غداً، فاغتنموا ممر السّاعات والليالي والأيّام رحمكم الله، وراقبوا الله ﷻ في كل لحظة وداوموا شكره) اهـ.

فينبغي للعاقل اللبيب أن لا يُضيّع أيّام صحته وفراغ وقته بالتقصير في طاعة الله ﷻ، وألا يثق بسالف عمل، ويجعل الاجتهاد غنيم صحته، ويجعل العمل فرصة فراغه، فليس الزمان كله مستعداً، ولا ما فات مستدركاً.

وعن ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس: الصّحةُ والفراغ»[1]، ومعناه أن أكثر الناس مضيعون لهاتين النعمتين: الصحة والفراغ، ولا يحسنون اغتنامهما واستثمارهما على الوجه المطلوب.

واعلم يارعاك الله: أن الدين يسر، ولن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَة والقصد تبلغوا.

عباد الله: الأيام تمر والصحائف تُطوى والأعمال ترفع، فمن الذي يوقظ النائم ويُنبه الوَسْنان، وإلا فغداً يكشف الغطاء ونسأل الله الستر.

الناس في غفلاتهم ... ورحى المنية تطحن

❁ ❁ ❁

اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي ... وغداً تموت وترفع الأقلام

❁ ❁ ❁

إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيب

❁ ❁ ❁

وللمرء يوم ينقضي في عمره ... وموت وقبر ضيق فيه يولج

واعلموا علم اليقين بأن الدنيا أيام سفر والزمان زمان إحرام، وأن كل ما هو آت فهو قريب، وأن عمره لا محالة على القرب سينتهي كما ستنتهي

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢/١١)، الترمذي (٢٣٠٤/٤)، ابن ماجه (٤١٧٠/٢).

هـذه الأيـام بـل وهـذا الـعـام، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[1].

ألم ترَ إلى هذه الشهور تهل فيها الأهلة صغيرة كما يولد الأطفال، ثم تنمو رويداً رويداً كما تنمو الأجسام، حتى إذا تكامل نموها أخذت بالنقص والاضمحلال، وهكذا عمر الإنسان سواء، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وما يحدث في الشهور يحدث مثله في الأعوام تتجدد عاماً بعد عام، فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظر البعيد، ثم تمر به الأيام سِراعاً فينصرم العام كلمح البصر فإذا هو في آخر العام، هكذا عمر الإنسان يتطلع إلى آخره تطلع البعيد، فإذا به قد هجم عليه الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[2]. ربـمـا يـؤمـل الإنسان بطول العمر ويتسلّى بالأماني فإذا بحبل الأمل قد انصرم وبناء الأماني قد انهدم، فاغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، وبادروا بالصالحات، وإلا فماذا تنتظرون، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر.

وعليك بمراقبة الله يا عبد الله: (قال محمد بن علي الترمذي: (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه) اهـ.

وقال ابن القيم: (العبد من حين استقرَّت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره عمره، والأيام والليالي مراحل، فلا يزال يطويها حتى ينتهي السَّفر، فالكيِّس لا يزال مهتماً بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ﷻ ليجد ما قدَّم محضراً).

---

(١) سورة النور: الآية (٤٤).

(٢) سورة ق: الآية (١٩).

ثم الناس منقسمون إلى أقسام:

منهم: من قطعها متزوداً بما يقربه إلى دار الشقاء، من الكفر وأنواع المعاصي.

ومنهم: من قطعها سائراً فيها إلى الله ﷻ وإلى دار السلام.

وهم ثلاثة أقسام:

١ ـ سابقون؛ أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها، وتركوا المحارم والمكروهات وقضوا المباحات.

٢ ـ ومقتصدون أدوا الفرائض وتركوا المحارم.

٣ ـ والظالم لنفسه: الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم في ذلك درجات يتفاوتون تفاوتاً عظيماً). اهـ)[١].

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع المرء منه لحظة، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»[٢]، فكم يضيع الآدمي من الساعات يفوته فيها هذا الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعة فهل يجوز للعاقل أن يتوقف عن البذر أو يتوانى.

وإن تعجب فاعجب لفرحهم بمرور الأيام وسرورهم بانقضائها ناسين أو متناسين أن كل لحظة ودقيقة تمضي من أعمارهم تقربهم إلى القبر والآخرة، وتباعدهم عن الأموال والأولاد والزوجات ورحم الله ذلك الشاعر اللبيب الذي أدرك هذه الحقيقة المهمة فأخبرنا عنها بقوله:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى جزء من العمر

وكل يوم من الأيام يعجبنا ... فإنما هو نقصان من العمر

---

(١) الوصية بالأشهر العربية (٨٢ ـ ٨٣).

(٢) الترمذي (٣٤٦٠)، وابن حبان (٢٣٣٥)، والحاكم (١/٥٠١ ـ ٥٠٢).

إن مما يدمي الكبد ويقطع نياط القلب ما نراه عند المسلمين اليوم من إضاعة لأوقاتهم فيما لا ينفع ولا يفيد، وكثيراً ما نسمع بعض العبارات التي تتكرر في المجالس، يقولون: دعونا نقتل الوقت أو نضيع الوقت، أو دعنا نتسلى ونقتل الوقت، فتراهم يجلسون الساعات الطوال أمام التلفزيون لمشاهدة الأفلام أو الأغاني أو الكرة أو يمضون الساعات الطوال من أعمارهم في لعب الورق أو الغيبة أو النميمة أو التسكع في الشوارع أو السفر المحرم، وإذا أنكرت عليهم كان الجواب أقبح، يجيبونك بكل استهتار وعدم مبالاة قائلاً الواحد منهم: نريد أن نقضي الوقت ونقتل الوقت وما يدري الواحد منهم ـ هداهم الله ـ أن من قتل وقته الذي هو رأس ماله وعليه مدار خسارته وربحه فقد قتل في الحقيقة نفسه، فإنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك.

أخي الحبيب: كم من الأقارب والأحباب وضعناهم في قبورهم وردمنا عليهم التراب ثم انصرفنا عنهم وتركناهم، فهل سألت نفسك أيها الحبيب ما حالهم في القبور؟ وماذا يتمنون ويشتهون وهم في تلك الحفر المظلمة الموحشة؟ وعلى ماذا يتحسرون في ذلك الموقف العصيب؟!

أخي، اعلم أن أهل القبور يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ولو ساعة واحدة ليعملوا فيها بطاعة الله وليغتنموها في مرضات الله ﷻ، والله إن الرجل من أهل القبور ليتمنى أن تزاد في صحيفته حسنة واحدة أو تسبيحة أو تهليلة. فيا عجباً لنا نحن الأحياء. فلا إله إلا الله كم في بطون المقابر من الحسرات على ضياع الأوقات يتمنون الحسنة فلا يقدرون عليها ونحن نضيع آلاف الحسنات مع قدرتنا عليها، وأهل القبور يتمنون الرجوع إلى الدنيا ولو ساعة واحدة ليعملوا صالحاً ونحن نهدر أعمارنا وأوقاتنا سدًى!! لكن والله لنندمن كما ندموا على أوقاتهم الضائعة ولنتحسرن على تفريطنا كما تحسروا لكن متى؟ وقت لا ينفع الندم[1].

---

(١) (١٢٥) طريقة ص١٠٤.

ابن آدم كلامك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذ في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب، مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، ليستعتب وليستدرك ما فاته وهيهات!! كان ما كان وأتى ما هو آت وكل بحسب تفريطه. الناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، والسنون مراحله والشهور فراسخه والأيام أمياله، والأنفاس خطواته والطاعات رؤوس أمواله والمعاصي قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار، كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة. وهيهات... هيهات أن ترجع ما مضى من الأيام والليالي ومن الساعات والثواني، فكل ما مضى لا يعود، وكل شيء يرجى عودته إلا العمر، فينبغي للمؤمن أن يكون طول عمره زيادة في عمله «واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير».

أليس من الخسران أن ليالي... تمر بلا نفع وتحسب من عمري.

عبد الله.. إن الدنيا كلها أيام سفر كأيام الحج، وهو زمان إحرام المؤمن عمّا حرم الله عليه من الشهوات، فمن صبر في مدة سفره على إحرامه وكفّ عن الهوى، فإذا انتهى سفر عمره ووصل إلى منى المنى فقد قضى تفثه ووفى نذره فصارت أيامه كلها كأيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله ﷻ، فصارت ضيافة الله ﷻ في جوابه أبد الأبد، ولهذا يقال لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

يا عبد الله العمر يسير وهو يسير، فاقصر من التقصير في القصير، ما هذا التقصير في العمر القصير أشرف الأشياء وقتك وقلبك، فإذا أهملت قلبك وضيعت وقتك: فقد ذهبت منك الفوائد لو كنت تبكي على ما فات فابك على وقتك:

ويبكي على الموتى ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قلَّ عنهم عزاؤه
ولو كان ذا رأي وعقل وفطنة ... لكان عليه لا عليهم بكاؤه

العجب كل العجب من غفلة من تعد عليه لحظاته وتحصى عليه أنفاسه ومطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ولا إلى أي منزل ينزل.

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحلين تنزل[1]

إخواني تفكروا في الحشر والمعاد وتذكروا حين تقوم الأشهاد، إن في القيامة لحسرات، وإن في الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات، وإن الظلم يومئذ لظلمات. والكتب تحوي حتى النظرات واللحظاتِ والخطوات والخطرات. وإن الحسرة العظمى عند السيئات فريق في الجنة يرتقون الدرجات، وفريق في النار يهبطون الدركات، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات وتقول: رب ارجعون، فيقال: الأمر فات.

تفر من الهجير وتتقيه ... فهلّا من جهنم قد فررتا
ولست تطيق أهونها عذاباً ... ولو كنت الحديد بها لذبتا

فكر أخي معي قليلاً إذا مضت عليك الأيام وجاءك اليوم تلو اليوم فانظر إلى آخر الأيام إذا طويت رحلك وأذنت بالرحيل فأين اللذات، وأين الملهيات، وأين الشهوات، كأن لم يكن شيئاً كأنك لم تنزل بذلك المكان.

نزلناها هنا ثم ارتحلنا ... كذا الدنيا نزولٌ فارتحال

نعم مضت الأيام والسنون والأعوام، فالله أعلم بما خبأت فيها من خير ترجوه أو شر تلقى الله به، ولله در القائل:

كأن شيئاً لم يكن إذا انقضى ... وما مضى مما مضى فقد مضى

فيا من لجَّ في بحر المعاصي وغرق في شهواته: ألا تخشى مجيء

---

(١) من رسالة بعنوان: «اغتنم فراغك قبل شغلك»، لعبد الهادي حسن وهبي.

الموت بغتة فتساق من فرش إلى أكفان؟ ألا تخشى الانفضاح عند الموت وهول المطلع؟ ألا تخشى هيبة الوقوف بين يدي الله.

ألا تستشعر وقت ولحظة وزن الأعمال بالميزان وتطاير الصحف، فمتى تتوب وتقلع؟ متى تنيب إلى ربك وترجع؟ متى تنتبه من غفلتك ولهوك؟ أعندما تفاجأ بنزع الروح وسكرات الموت؟ أعندما تنظر إلى هذه الدنيا نظرة الفراق والوداع وعيون أهلك ترمقك بحسرة ولا يستطيعون رد القضاء عنك وقلبك يتقطع حسرة وندامة على خطيئات أسرفت بها على نفسك وعلى أعمال طاعة أضعتها وفرطت فيها.

ثم بادر أهلك بشراء كفنك، ثم قلَّبك المغسِّل، ثم رُفعت على النعش فوق أكتاف الرجال لتودع في قبرك، ثم وضعت في القبر وحيداً فريداً غريباً، وتقدم أحد أقاربك ليجعلك في القبر على الجنب الأيمن موجهاً إلى القبلة فإذا برأسك يميل إلى الأرض فيجعل حثوة من التراب تحته لترفده.

وبعدها ينقطع تعلق الأحياء بك مباشرة مع آخر عقدة يحلها من كفنك ممن تولى دفنك وإنزالك في القبر، ثم يتقدم أبوك أو أخوك أو قريبك ليصف اللبنات على اللحد ويجتهد في سد الثغرات بينها بالطين رحمة بك، وبعد أن يهال عليك التراب ويتم دفنك فإذا بك تبدأ أول مراحل الحياة البرزخية حيث تسمع صوت نعال ذويك وهم ينصرفون من عند قبرك، ثم تواجه مصيرك الذي أعددت له بأعمالك في هذه الدنيا فتتوالى عليك الكربات بدءاً بفتنة القبر وسؤال الملكين.

ستندم يا عبد الله إن فرطت وحان الرحيل وأمسيت مريضاً تُقاد، ومنعت من التصرف فيما جمعت ومُنع عنك العواد، وكفنت بأبيض الثياب وحملت على الأعواد، وأودعت في ضيق لحد وغربة ما لها نفاد، تغدو عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد.

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات

إن في القبر إن نزلت إليه ... لرقاداً يطول بعد الممات

أخي الحبيب: تذكر أول ليلة في القبر حين تنزل في قبرك فريداً وحيداً مملقاً بين أطباق الثرى وظلمات اللحود، وتخيل نفسك وأنت تتحسر وتتأسف في ذلك الموقف الرهيب على أوقاتك التي ذهبت سدى إرضاء لفلان وحرصاً على ألا يغضب علّان، وعصيت الله من أجل فلان وفلان، فقل لي بربك في ذلك الموقف العصيب هل سينفعك أحد من هؤلاء المضيعين للأوقات، بل هل يرضى أحد من هؤلاء الذين ضحَّيت بأوقاتك من أجلهم وأهدرت ساعات عمرك طلباً لرضاهم ولو في سخط الله. قل لي: هل سيرضى أحد منهم أن يظل عند قبرك طوال الليل ليؤنس وحشتك في أول ليلة لك في قبرك؟؟!! كلا والله لن يرضى أحد منهم بذلك، بل كل منهم بعد دفنك سوف يرجع إلى زوجاته وأمواله وأولاده وينسونك!! وتبقى أنت أيها المسكين في حفرتك الموحشة لتواجه ذلك الموقف الرهيب لوحدك!! فانتبه لنفسك ولا يلهينك الناس عن تقديم الزاد الصالح لنفسك. فإنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتدخل قبرك وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك!!

أخي الحبيب ليت شعري ماذا سيكون حالك إذا وقفت بين يدي جبار السمٰوات والأرض وحاسبك على الأوقات التي أهدرتها من عمرك مجاملة لفلان وحياء من فلان، فبأي لسان ستنطق؟!! وبأي حجة ستتكلم؟!!

أخي تذكر أن هؤلاء المضيعين لأوقاتهم وأوقاتك، الذين ضحيت بنفسك من أجلهم سيكونون يوم القيامة أعداء لك كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾[1].

---

(١) (١٢٥) طريقة لحفظ الوقت، ص١٠٠، ١٠١.

أخي؛ اعلم أن مما يعين على اغتنام الأوقات أن يتذكر المرء أن الرب ﷻ سوف يسأله يوم القيامة ـ ذلك اليوم العصيب الرهيب ـ عن عمره ووقته وأنفاسه؟ كيف قضاها؟!! وأين أنفقها؟! وفيم استغلها وبأي شيء ملأها؟ بالطاعات والباقيات الصالحات؟! أم بالتنقل بين المعاصي والسيئات ومبارزة رب الأرض والسموات والجرائم والعظائم؟!

فإن كان المرء ممن اغتنم عمره وحفظ وقته في مرضاة ربه فإنه يسدده ويوفقه في الجواب ويبشر بالحور والدور والغرف والقصور، وإن كان المرء ممن أضاع وقته وأنفق عمره في معصية الله فالويل له كل الويل!! فليت شعري كيف سيكون حاله إذا سئل عن وقته كيف قضاه؟!! وبأي حجة سيتدافع عن إضاعته لعمره وأنفاسه؟

فيا من صرف عمره في الغفلة والعصيان وأنفق وقته فيما يغضب الرحمن، ماذا قدمت لذلك الموقف العصيب؟! وماذا أعددت لذلك السؤال الرهيب؟ هل أعددت له جواباً؟ وهل أعددت للجواب صواباً.

واستمع إلى الرب وهو يقرر لنا هذه الحقيقة الكبرى فيقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾[1]، فتأمل أخي كيف أقسم الرب ﷻ بنفسه لتقرير هذه الحقيقة! فهل يبقى بعد ذلك أي شك أو تردد في صحتها؟!.

واستمع إلى الرسول ﷺ وهو يزيد الأمر إيضاحاً وبياناً فيقول: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم»[2].

فتأمل يا رعاك الله كيف أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن وقته باعتبارين:

---

(١) سورة الحجر: الآيتان (٩٢ ـ ٩٣).

(٢) الترمذي، السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

أ ـ يسأل عن عمره كله كيف قضاه وفيم أنفقه؟!

ب ـ يسأل عن فترة خاصة من فترات العمر ومراحله؛ ألا وهي فترة الشباب فترة الحيوية والنشاط كيف قضاها؟ وبأي شيء ملأها؟ أفي العبادة وقيام الليل والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ و. . .إلخ، أم أنه قضاها على المعاصي والفسق والفجور؟ أم أنه قضاها في اللغو والثرثرة والغفلة والنوم الكثير والقيل والقال، فما عساه يكون جوابك أخي الحبيب؟!![1].

اصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء، وتفكر في قصر عمرك وإن عشت مثلاً مائة سنة فهي قلية بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً، فكيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد، ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك. وقد قرب الموت وقل في نفسك: إني أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة، وأصبر الليل فلعلي أموت غداً، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص، فلا بد من هجومه، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة، ولعله لم يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد، فقدِّر هذا في قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً فيوماً، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليه فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له، وإن تسوَّفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسراً لا آخر له، وعند الصباح يحمد القوم السرى، وعند الليل يأتيك الخبر اليقين، ولتعلمن نبأه بعد حين[2].

---

(١) (١٢٥) طريقة، ص(١٨٠ ـ ١٨١).

(٢) من رسالة بعنوان: «اغتنم فراغك قبل شغلك»، لعبد الهادي حسن وهبي.

أيها النائم والركب سرى … الحق القوم ولا تقصد ورى
واحسرتا قد تقضي العمر وانصرفت … ساعاته بين ذل العجز والكسل
والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد … ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل
أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعاً … ونحن قعود ما الذي أنت صانع
على نفسه فليبك من كان باكياً … أيذهب وقت وهو باللهو ضائع
السقم على الجسم له ترداد … والعمر مضى وزلتي تزداد
ما أبعد شقتي وما لي زاد … ما أكثر بهرجي ولي نقاد

فوا أسفاً لمنقطع دون الركب، متأخر عن لحاق الصحب، يعد الساعات في «متى» و«لعل» ويخلو بفكر «عسى» و«هل»، فاحذر التسويف يا أخي:

ولا تُرْجِ فعل الخير يوماً إلى غد … لعل غداً يأتي وأنت فقيد

إن النَّفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله ﷻ.

ولا أدخر شغل اليوم عن كسل … إلى غد إن يوم العاجزين غد

❋ ❋ ❋

وانتبه من رقدة الغفـ … ـلة فالعمر قليل

❋ ❋ ❋

واطَّرح سوف وحتى … فهما داء دخيل

❋ ❋ ❋

ما مضى فات والمؤمل غيب … ولك الساعة التي أنت فيها

❋ ❋ ❋

إلى متى أنت باللذات مشغول … وأنت عن كل ما قدمت مسؤول
في كل يوم تُرجِّي أن تتوب غداً … وعقد عزمك بالتسويف محلول

أما يُرى لك فيما سرَّ من عمل يوماً نشاط وعما ساء تكسيل
فجَرِّد العزم إنَّ الموت صارمُه مجرد بيد الآمال مسلول
واقطع حبال الأماني التي اتصلت فإنما حبلها بالزور موصول
أنفقت عمرك في مال تحصله وما على غير إثم منك تحصيل
ورحت تعمر داراً لا بقاء لها وأنت عنها وإن عُمِّرت منقول
جاء النذير فشمِّر للمسير بلا مهل فليس مع الإنذار تمهيل
وصُنْ مشيبك عن فعل تُشانُ به فكل ذي صبوة بالشيب معذول
لا تُنكرنْهُ وفي الفودين قد طلعت منه الثريا وفوق الرأس إكليل
فإنَّ أرواحنا مثل النجوم لها من المنية تسيير وترحيل
وإنَّ طالعها منَّا وغاربها جيل يَمرُّ ويأتي بعده جيل
حتى إذا بعث الله العباد إلى يوم به الحكم بين الخلق مفصول
تبين الربح، والخسران في أمم تخالفت بيننا منها الأقاويل

فيا من ينام عن الطاعات ويقضي ليله كله في سبات! خاطب نفسك وقل لها: يا نفس كم تنامين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين بعدهاإلا لصرخة يوم النشور، وكفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقاداً:

إن النوم في القبور طويل والوقوف أمام الله تبارك وتعالى أطول، والخلود في جنة أو نار أبد الآباد.

يا غافلاً يتمادى غداً عليه ينادي
إلى كم ذا التراخي والتمادي وحادي الموت بالأرواح حادي
فلو كنا جماداً لاتعظنا ولَكِنَّا أشد من الجماد

حاسب نفسك ما دمت في دار العمل، وما زال الأمر به فسحة قبل أن لا ينفع الندم قبل الفراق وقبل دنو الأجل، وما الذي يحول بينك وبين محاسبة نفسك؟ ألم تعلم أنك ستقف غداً للحساب والجزاء بين يدي جبار السمٰوات والأرض في يوم مقداره خمسون ألف سنة.

العمر قصير والزاد قليل ويوم القيامة طويل، فماذا أنت صانع يا عبد الله؟ انتبه انتبه قبل الرحيل والوداع.

فناج ربك عبد الله بقلب وجل ولسان صادق وناده وقل: (واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً، ويلي كلما طالت أيامي كثرت ذنوبي وآثامي، ويلي كلما كبرت سني عظمت ذنوبي، فمن كم أتوب وفي كم أعود، واشباباه واشباباه أتراك يا رب منقذاً لرقبتي من سخطك، أتراك مقيلي من عثرتي، أتراك منجيني من نارك أو معذبني بعذابك، أتراك موبخي على رؤوس الخلائق بتفريطي في حقك! أواه من كشف عورتي، أواه لحياء وجهي، أواه لما يلقاه غداً في النار جسدي).

• توبة وندم •

أنا العبد الذي كسب الذنوب ... وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزيناً ... على زلاته قلقاً كئيبا
أنا العبد الذي سُطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت سِرّاً ... فما لي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري ... فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بِلجٍّ بحرٍ ... أصيح لربما ألقى مجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن أناس ... حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الشريد ظلمت نفسي ... وقد وافيت بابكمو منيبا
أنا العبد الفقير مددت كفي ... إليكم فادفعوا عني الخطوبا
أنا الغدار كم عاهدت عهداً ... وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المقطوع فارحمني وصلني ... ويسّر منك لي فرجاً قريبا
أنا المضطر أرجو منك عفواً ... ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فوا أسفا على عمر تقضّى ... ولم أكسب به إلا الذنوبا

وأحذر أن يُعاجلني ممات ... يحيِّر هول مصرعه اللبيبا
ويا حُزناه من حشري ونشري ... بيوم يجعل الولدان شيبا
تفطرت السماء به ومارت ... وأصبحت الجبال به كثيبا
إذا ما قمت حيراناً ظميئاً ... حسير الطرف عرياناً سليبا
ويا خجلاه من قبح اكتسابي ... إذا ما أبدت الصحف العيوبا
وذلة موقف وحساب عدل ... أكون به على نفسي حسيبا
ويا حذراه من نار تلظى ... إذا زفرت وأقلقت القلوبا
تكاد إذا بدت تنشق غيظاً ... على من كان ظلاماً مريبا
فيا من مد في كسب الخطايا ... خطاه أما يأن لك أن تتوبا
ألا فاقلع وتب واجهد فإنا ... رأينا لكل مجتهد نصيبا
وأقبل صادقاً في العزم واقصد ... جناباً للمنيب له رحيبا
وكن للصالحين أخاً وخلًا ... وكن في هذه الدنيا غريبا
وكن عن كل فاحشة جباناً ... وكن في الخير مقداماً نجيبا
فمن يخبر زخارفها يجدها ... مخالبة لطالبها خلوبا
وغض عن المحارم منك طرفاً ... طموحاً يفتن الرجل الأريبا
فخائنة العيون كأسد غاب ... إذا ما أهملت وثبت وثوبا
ومن يغضض فضول الطرف عنها ... يجد في قلبه روحاً وطيبا
ولا تطلق لسانك في كلام ... يجر عليك أحقاداً وحوبا
ولا يبرح لسانك كل وقت ... بذكر الله ريانًا رطيبا
وصل إذا الدجى أرخى سدولاً ... ولا تضجر به تكن هيوبا
تجد أنساً إذا أودعت قبراً ... وفارقت المعاشر والنسيبا
وصم ما تستطيع تجده ريًا ... إذا ما قمت ظمآناً سغيبا
وكن متصدِّقاً سراً وجهراً ... ولا تبخل وكن سمحاً وهوبا
تجد ما قدمته يداك ظلاً ... إذا ما اشتد بالناس الكروبا
وكن حسن السجايا وذا حياءٍ ... طليق الوجه لا شكِساً غضوبا

• يا نفس توبي •

خــــل ادكــــار الأربــــع — والــمــعــهــد الــمــتــربــع
والــظــاعــن الــمــودع — وعــــد عــــنــــه وَدَعْ
وانــدب زمــانــا ســلــفــا — سوَّدت فــيــه الــصُّــحــفــا
ولــم تــزل مــعــتــكــفــا — عــلــى الــقــبــيــح الــشــنــع
كــم لــيــلــة أودعــتــهــا — مــآثــمــا أبــدعــتــهــا
لــشــهــوة أطــعــتــهــا — فــي مــرقــد ومــضــجــع
وكــم خــطــى حــثــثــتــهــا — فــي خــزيــة أحــدثــتــهــا
وتــوبــة نــكــثــتــهــا — لــمــلــعــب ومــرتــع
وكــم تــجــرأت عــلــى — رب الــســمــوات الــعُــلــى
ولــم تــراقــبــه ولا — صــدقــت فــيــمــا تــدعــي
وكــم غــمــصــت بــره — وكــم أمــنــت مــكــره
وكــم نــبــذت أمــره — نــبــذ الــحِــذا الــمُــرَقَّــع
وكــم ركــضــت فــي الــلــعــب — وفــهــت عــمــداً بــالــكــذب
ولــم تــراع مــا يــجــب — مــن عــهــده الــمــتــبــع
فــالــبــس شــعــار الــنــدم — واســكــب شــآبــيــب الــدم
قــبــل زوال الــقــدم — وقــبــل ســوء الــمــصــرع
واخــضــع خــضــوع الــمــعــتــرف — ولُــذ مــلاذ الــمــقــتــرف
واعــص هــواك وانــحــرف — عــنــه انــحــراف الــمــقــلــع
إلام تــســهــو وتــنــي — ومــعــظــم الــعــمــر فــنــي
فــيــمــا يــضــر الــمــقــتــنــي — ولــســت بــالــمــرتــدع
أمــا تــرى الــشــيــب وَخَــط — وخــط فــي الــرأس خــطــط
ومــن يــلــح وفــد الــشــمــط — بــفــوده فــقــد نــعــي
ويــحــك يــا نــفــس احــرصــي — عــلــى ارتــيــاد الــمــخــلــص

وطاوعي وأخلصي	واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى	من القرون وانقضى
واخشي مفاجاة القضاء	وحاذري أن تخدعي
وانتهجي سبل الهدى	وادكري وشك الردى
وأنَّ مثواك غداً	في قعر لحد بلقع
آه إله بيت البلى	والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الألى	واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه	قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسَّعة	قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله	داهية أو أبله
أم معسر أو من له	ملك كملك تُبَّع
وبعده العرض الذي	يحوي الحيي والبذي
والمبتدي والمحتذي	ومن رعَى ومن رعِي
فيا مفاز المتقي	وربح عبد قد وقى
سوء الحساب الموبق	وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى	ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى	لمطعم أو مطمع
يا من عليه المتَّكل	قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل	في عمري المضيع
فاغفر لعبد مجرم	وارحم بكاه المنسجم
فأنت أولى من رحم	وخير مدعوٍ دُعي

وما أحسن المحاسبة حين يأوي المسلم إلى فراشه لينام فيستعرض عند ذلك يومه الذي انقضى من أوله إلى آخره، ولينظر وليتأمل ماذا قدم في هذا اليوم من الزاد والعمل الصالح؟ وهل حفظ وقته في مرضاة ربه؟ وهل استغل أنفاسه في طاعة الله؟ وهل حفظ شيئاً من القرآن والأحاديث النبوية؟ وهل حفظ لسانه عن الحرام؟ من هم الذين أعانوه على حفظ وقته؟ ومن هم

الذين ضيعوا عليه وقته؟ وليقل لنفسه: هذا يوم قد مضى من عمري فليت شعري أيكون شاهداً لي يوم القيامة فأفرح؟ أم يكون شاهداً علي فأحزن. ونحو هذا من الكلام الذي فيه معاتبة للنفس على تقصيرها وإظهار لتفريطها، فإن وجد خيراً فليحمد الله وليسأله المزيد والتوفيق والثبات، وإن رأى نفسه مقصرة فليعقد العزم مع الله عقداً ليس للشيطان فيه نصيب، وليتب إلى الله من تفريطه وتقصيره، وليعلم أن سعادته إذا نام تلك الليلة ولم يعص الله في ذلك اليوم.

وأختم كلامي بكلام بعض السلف لما قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ فقال: العافية يوم لا أعصي الله تعالى فيه.

عصيت الله أيامي وليلي — وفي العصيان قد أسبلت ذيلي
فويلي إن حرمت جنان عدن — وويلي إن دخلت النار ويلي
يا ويح قلبي ما استتاب — مما جنت يد الشباب
يا خجلي يوم الحساب — من ناقد يحصي عليّ

لا شك أن الواحد من الناس ـ رجلاً كان أو امرأة ـ قد فرَّط وقصَّر وأضاع شيئاً من وقته ولو في مرحلة من مراحل عمره بل لعله ما زال يفرط ويسهو ويغفل عن كثير من جليل الأعمال ومكارم الأفعال ويصرف الثمين من أوقاته فيما لا يغني مفرطاً ـ مثلاً ـ في ارتياد الأسواق بكرة وعشياً وفي السفر فيما لا ينفع من ورائه وفي مجالس القيل والقال والغيبة والنميمة ولعب الورق ومشاهدة البرامج الساقطة وسماع الأغاني الماجنة وقراءة الصحف والمجلات الهابطة. والصواب وبعدما عرفت قيمة الوقت وأهميته أن يراقب الإنسان ربه تعالى ويخشاه ويخاف عقابه ويرجو عونه وتوفيقه ويحاسب نفسه على أوقاته ويبدأ بتخطيط أعماله ويشرع في تنفيذها في أوقاتها المحددة ليربح الدنيا والآخرة ولا يقتصر هذا المطلب على الآباء والأمهات وإنما يشمل معهم

من يقع تحت ولايته من أبنائهم وبناتهم[1].

فاللهم يا سامع الصوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت، اللهم إنا نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، اللهم رد هذه الأمة إليك رداً جميلاً، وخذ بناصيتها إلى البر والتقوى، ووفقها للعمل بطاعتك والسير على منهاجك، والاقتداء بهدي نبيك، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم أبرم لأمة الإسلام أمراً رشداً يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا ذا الجلال والإكرام...

فر من الموت أو اثبت له ... لا بد من أنك تلقاه
واكتب بذي الدار ما شئته ... فإنه في تلك ستقراه

❁ ❁ ❁

تبلى يدي بعدما خطت أناملها ... كأنه لم يكن طوعاً له القلم
يا نفس ويحك نوحي حسرة وأسى ... على زمانك إذ وجداننا عدم
واستدركي فارط الزلات واغتنمي ... شرح الشبيبة فالأقات تغتنم
وقدمِي صالحاً تزكو عواقبه ... يوم الحساب إذا ما أبلت الأمم

❁ ❁ ❁

يدوم خطي زماناً في الورى وأنا ... تحت التراب ويبقى وجه بارينا
فأعجب لرسم بقي قد مات راسِمه ... وهذه عادة الباري جرت فينا
فرحمة الله تهدى نحو كاتبه ... يا ناظراً فيه قل بالله آمينا

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه أحمد بن عبد الله السلمي
٢٦/١٠/١٤٢١هـ

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٨١١، ١٤٢٢هـ تحت عنوان الوقت وكيفية استثماره للدكتور ابن سعد بن عبد الرحمٰن ص٧٩.

المحتويات

صدر للمؤلف

١ ـ الإحداد ورسائل أخرى [الصبر ـ خطورة الفتوى ـ موعظة ـ كلمة لا بد منها في أخطر القضايا وأهمها]. تقريظ الشيخ عبد الله بن جبرين، تقديم الشيخ سليمان الماجد [١٤١٨هـ].

٢ ـ أخطاء شائعة واعتقادات باطلة تتعلق بشهر رمضان وزكاة الفطر والعيدين، تقريظ الشيخ عبد الله بن جبرين، تقديم الدكتور صالح بن محمد الحسن [١٤١٦هـ].

٣ ـ أفراحنا ما لها وما عليها ومعالجة بعض الظواهر تقريظ الشيخ عبد المحسن البنيان [١٤١٨هـ].

٤ ـ وفاة سيد البشر وما فيها من الدروس والعظات والعبر [١٤٢٠هـ].

٥ ـ بدع وأخطاء شائعة في الجنائز والقبور والتعازي [١٤١٤هـ].

٦ ـ أخلاق على طريق الضياع وهو هذا الكتاب.

وتحت الطبع ـ بإذن الله ـ بعض الكتب سهل الله إخراجها.